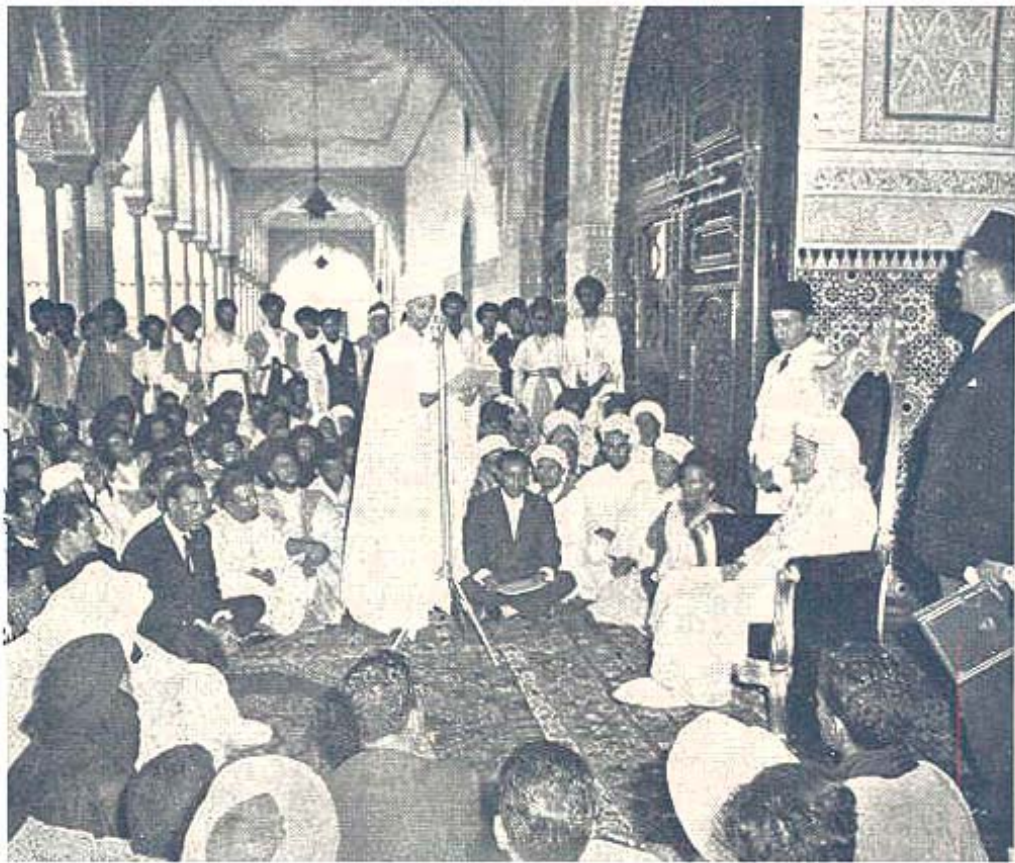


وعروة الخي

مجلة شهرية تغني بالدراسات الإسلامية
و بشؤون الثقافة والفكر

تصدها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الأقصى



العدد الثاني - السنة الرابعة
جمادى الثانية 1380 - نوفمبر 1960
ثمان العدد درهم واحد

العدد الثاني
السنة الرابعة

جمادى الثانية 1380
نومبر 1960

دعوة الحق

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الاوقاف

مجلة شهرية تفتي بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الاوقاف . الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف -
الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1-000 فرنك ، والشرفي 2-000 فرنك
فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

ندفع قيمة الاشتراك في حساب :

« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -

DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف
- الرباط - المغرب .

نرسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط

تليفون 308-10 - الرباط

صورة آلفلاف



وفود الموريطانيين لعرب عن ولائها

وطاعتها لجلالة الملك عقب مؤتمر

موريطانيا الذي انعقد بالرباط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة العدد

العبرة من عرش العرش

العرش كان ولا يزال سندا للشعب ، اكتسب نفوذه الروحي في المغرب عبر قرون واجيال بصفة امامة اسلامية ، ترمي العقيدة وتحمي الشريعة فتدين لصاحبها الجماعة بحسن الولاء والطاعة ، فتوحدت به الميول والنزعات ، فكان عنوان توحيد الكلمة ، والقطب الذي التفت حوله الامة ، ورمز كفاحها وسر نجاحها ، وقد كانت الميول الوطنية التي اختارت ان تجعل للعرش عبدا قوميا توحد به كفاح الشعب مع العرش بتوطيد دعائمه ونفوذه لمصلحة الشعب وضد الاستعمار الذي اراد ان يستغل نفوذ العرش للقضاء على الاماني القومية ، تقول كانت الميول الوطنية التي اختارت هذا السبيل موفقة غاية التوفيق ، فلم تضع هذه الثقة الاجتماعية سدى بل صادفت محل القيادة والزعامة والبطولة والوفاء والامامة ، ذلك المحل الذي هيأته الاقدار الالهية لقيادة هذه الامة وانقاذها من ذل الاستعمار والاستعباد هو محمد الخامس ابو النهضة ، وبطل تحرير المغرب الموفق في قيادته وزعامته وامامته الذي ضرب بنفسه المثل ، وحقق بسعيه مع الشعب الامل ، واخذ يبني صرح المغرب المستقل بالقول والعمل ، والحقيقة ان كفاح العرش مع الشعب كان نتيجة ارتفاع المستوى الروحي الذي عمل الاسلام على تمكينه في هذه الامة منذ قرون ، ذلك المستوى الذي يعتمد قبل كل شيء الايمان والاخلاص في اثار المصلحة العليا على مصالح الافراد ، وتلك هي الميزة التي ساد بها الاسلام ولا زالت سر قوته الى اليوم .

فقد جاء الاسلام بمقاييس جديدة لم تعرفها البشرية منذ امد بعيد ، جاء بقوة ترفع من شأن الروح ، وتعمل على تركية النفوس وتطهيرها من عبادة العادة والهيام بها ، وهذه القوة هي عقيدة الايمان ، فكان الايمان بالله كالقيث نزل على النفوس فاحياها فاورقت وازهرت واتت اكلها ثمرا شهيا ، وعملا رضيا ، جعل هذا الايمان من الامة العربية التي كانت موزعة الاهواء بالنزعات القبلية والشرك والوثنية ، والحياة الجاهلية ، جعل منها الايمان خبر امة اخرجت للناس تاسر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله وكان ذلك برفع المستوى الروحي للامة فالدنيا في نظر الاسلام انما هي بلاغ . فقد كان الرسول يخشى على امته الفتنة في مكاسب الدنيادون خشية الفقر مع يقينه ان الدنيا ستفتح عليهم ، كما قال عليه السلام والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتلهيكم كما تهتهم . فكان هم المسلمين انما هو في توحيد الله وعبادته وجعل كلمة الله هي العليا . وعظمة المومن بايمانه تزداد بزيادته وتنقص بتقصاته وقوته كذلك فالايمن يتفاوت بالزيادة والنقصان حتى يوزن الرجل بعشرة من امثاله وباضعاف ذلك حسب قوته ، وتظهر قوة هذا الايمان في وقت الشدة والبلاء اكثر مما تظهر في وقت السراء والرخاء ، فاية ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين تربنا ما تفعله قوة الايمان في النفوس من رفع مستواها ومعنوياتها الى ارقى الدرجات وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، ومعنويات الجيوش المحاربة لها وزن عظيم في الوقت الحاضر في كسب المعارك او خسرانها كما كان لها ذلك في الماضي .

ويقيم المغاربة في هذه الايام افراحا بمناسبة ذكرى الاستقلال وعيد العرش المغربي العتيق الذي اشرنا اليه ، واولى ما ينبغي لفت النظر اليه في هذا العيد الاغر هو العزائم التي عملت وثابرت على العمل حتى ادركت هذا الاستقلال ، ان هذه العزائم هي القوة الحية في الشعب التي ارتفع مستواها الروحي الى حد استرخاض النفوس وبذلها بالتضحية والفداء من اجل ادراك هذه الفاية حتى ادركتها ، والمساعدة بالمال ومواساة المنكوبين في الكفاح هي دون بذل الارواح ، واننا نسأل الذين يهيمنون في هذا الشعب بخصوص رفع المستوى المادي ويرددونه في كل حين كانه السعادة الكبرى التي يحلم بها الفلاسفة والمثاليون نسائل هؤلاء هل فكر الذين احرزوا على هذا الاستقلال في الامكانيات المادية التي توسلوا بها الى ادراكه وقاسوها ووزنوها بما كان عند المحتلين للمغرب من جنود ومدافع ، وطائرات ودبابات ، وحصون ومعازل ، وسلطة واموال ، اظن اننا لو قسنا امكانياتنا المادية بامكانيات اعدائنا وعملنا على مقتضى وجوب التكافؤ في المعدات لما اقدمنا على خوض معركة الاستقلال ولا كسبناها ، ولكننا اعتمدنا على الله وعلى ايماننا واخلصنا لقضية نراها من حقنا ، واعتمدنا على عزيمتنا ، فارتفع مستوانا المعنوي في هذا الشأن ، فادركنا النصر ، وكسبنا المعركة . والعبرة في هذا هو اننا نريد ان نعمل على احياء هذه الخصال المعنوية في نفوس الشعب حتى يحافظ على القيم الروحية التي هي عدته في الشدائد ، والتي يحافظ بها على هيئته ومكانته في التاريخ وبين الاعداء الذين يتربصون به الدوائر ، وما انتصر

مالك في الموطن عن زيد بن اسلم : كتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب اليه عمر بن الخطاب اما بعد فانه مهما ينزل بعيد مومن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يقلب عسر يسرين وان الله تعالى يقول في كتابه يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فاوصى عمر سعدا بالصبر ومضابرة العدو والرباط والتقوى شدا لعزيمته وتقوية لمعنوياته وروحه حتى يقابل العدو برياطة جأش ووشوق بالنصر ، وكان الاستشهاد في سبيل الله واعلاء كلمته امنية القواد الابطال في الفتوحات لان المؤمنين الصادقين باعوا انفسهم من الله ومن تتبع تاريخ هؤلاء العظماء علم انهم سياقون ليلحقون في ارتفاع مستواهم الروحي وكما كان هذا المستوى عنصرا فعلا في ظفر هؤلاء في الميدان الحربي كذلك كان عاملا هاما في شدة رغبتهم في نشر الدعوة وتعليم المسلمين امر دينهم ابتغاء وجه الله واخلاصا للاسلام واداء للامانة العلمية التي تحملوها ، حتى يتخلصوا من وعيد كتمان العلم الذي توارث به الاحاديث وافصححت عنه الآيات وبذلك نعلم ان انخفاض المستوى الروحي في المجتمع الاسلامي على العموم يتحمل منه العلماء الذين لم يؤدوا مهمتهم في تعليم المسلمين وارشادهم قسطا وافرا من المسؤولية حيث صاروا يكتفون بالتاسف والشكوى على شيوع المناكر والاحلال الاخلاق ومظاهر التنكر للقيم الروحية دون ان يقوموا بما يفرضه عليهم الدين من تعريف به ونصح وارشاد لعامة المسلمين ، وان يكونوا هم القدوة الحسنة بحسن سمتهم واستقامة سلوكهم ، وان كثيرا من جماعات المسلمين تطلب من يهديها ويرشدها ، ولكنها لاتجد ممن يسمون انفسهم بالعلماء الا الاذن الصماء واذا ظهرت من عالم بادرة نصح وارشاد فان القليل من هؤلاء هم المخلصون والكثير برغب في الكسب من وراء عمله غافلا عن خطاب الله لنبيه بقوله « قل ما اسألكه عليه من اجر » وعن قوله « ام تسألهم خراجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين » ، ان النصيحة في الدين ايها العلماء تتطلب بذل جهود متواصلة لتدارك الحال التي فرطتم فيها انتم قبل كل احد ، ان الاسلام عاد غريبا في ديارنا وهو يحتضر بمحضركم وانتم لاتبدلون جهودا لانقاذه واحيائه انه قد احتضر في الاندلس ورحل عنها لما كثر الفساد والانحلال وسيرتحل عن هذه الديار - لا قدر الله - ان لم تقوموا بالدعوة والارشاد وترفعوا من مستواكم الروحي حتى تؤدوا المهمة واذكروا قول الله لرسوله المربي العظيم للامة عليه السلام « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالفداء والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطيا » ونختتم هذه الكلمة بدعاء القراءان « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا » .

دعوى الحق

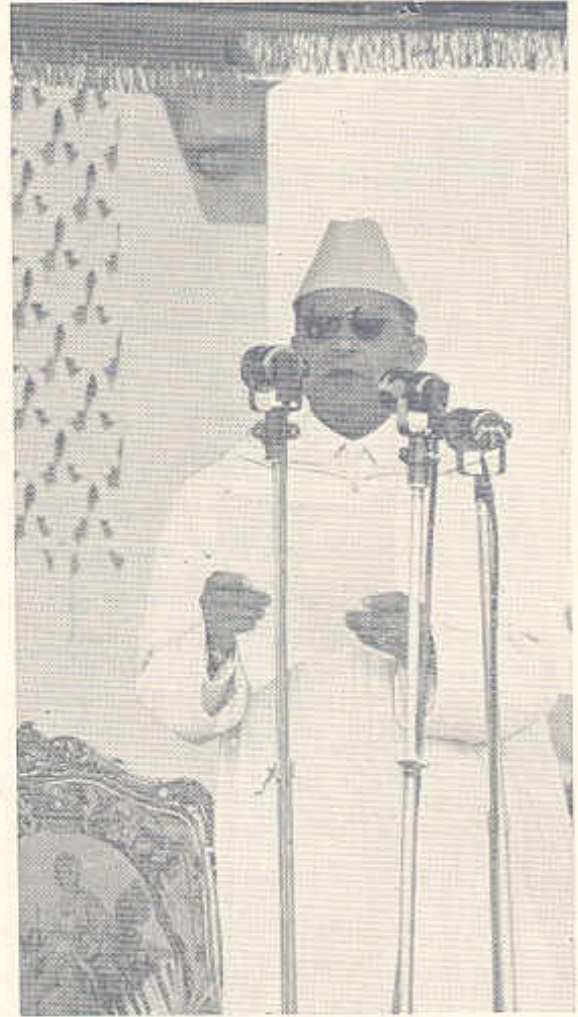
خطبة العرش

مكن ، وتأكيد ما بينهما من تضامن وتعاون قوي متين ،
وننظر جميعا في القضايا التي تواجهنا ، والشؤون التي
تشغل بالنا ، ونستعرض الاشواط التي قطعناها خلال
سنة في سبيل تقدمنا ، واللبات التي وضعناها في صرح
نهضتنا ، والبرامج والمخططات التي اعددناها لاعتزاز
جانب وطننا ، وضمان سعادة اجيالنا الحاضرة والمقبلة .

ولئن كان عيد العرش يوم راحة وافراح ومسرات ،
فقد كان ايضا - وسيبقى - يوم محاسبة النفس
وامتحان الضمير ، وتوضيح المناهج وتحديد الاهداف
وتقوية العزائم وتعبئة الطاقات ، والتعاهد على مواصلة
العمل لتكميل وحدة المغرب وسيادته ، وجعله وطننا
راقيا عظيما يحيى اهله عزيزي الجانب ، موفوري
الكرامة .

فعلى ضوء هذه المعاني التي برزت بمناسبة عيد
العرش من يوم تأسيسه ، وجريا على عادة سالحة
الفنائها منذ سنة شعبنا وجعله عيدا قوميا ، نريد ان
نعلم اليوم اين وصلنا والى اين نسير ؟ نريد ان نعرف
ما انجزنا من اعمال وما ينبغي ان ينجز ، نريد ان نستوعب
احتياجاتنا وما اعددنا من عدد لتلبيتها ، نريد ان نطلع
كل فرد من اعتنا على الجهود المبذولة لتحقيق رقي
المغرب في جميع الميادين كي يكون على بيته من الحقيقة
ولا يفضل الصواب ، بل نريد الى جانب ذلك ان نبين
وجبة نظرنا في القضايا الدولية ، والاتجاهات التي نتجها
في سياستنا الخارجية ، تلك التي نعتقد انها انسب لنا
كشعب عربي مسلم ، وكعضو عامل واع في الاسرة
البشرية .

لقد اسمعنا العالم صوتنا ، واطلعناه على وجهات
نظرنا في كل القضايا التي تهم المغرب بصفة خاصة ،
والاخرى التي تستأثر باهتمام العالم بصفة عامة .



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي .

نحتفل اليوم بالذكرى الثالثة والثلاثين لجلوسنا
على عرش اسلافنا المنعمين ، ونقف فيها مثلما وقفنا في
نظيراتها بنفوس متئالفة ، وافكار متجاوبة ، ومطامح
واماني متحدة ، لتجسيم ما يتبادل الملك والشعب من حب

تعهدت فيه جمهورية الولايات المتحدة بأن تشجع في سحب قواتها سحباً كاملاً يتم قبل نهاية سنة 1963 ، وغداة صدور البلاغ المشترك شرع في تطبيق الاتفاق وفعلاً تسلمنا قاعدة ابن سليمان ومطار سلا ومركز الردار بالسعيدية ومشروع بلقاصيري .

كما وقع الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على جلاء قواتها عن بلدنا جلاء تاماً قبل الثاني من شهر مارس 1961 ، وتحويل قواعدها العسكرية الجوية الى مدارس لتعليم الطيران موضوعة تحت مراقبتنا ومفتوحة أمام طلبتنا ، وستصفى هذه المدارس بدورها قبل نهاية سنة 1963 .

والى يومنا هذا احتل جيشنا جل الثكن الفرنسية السابقة بالدار البيضاء ومدبونة وجميع ثكن عين حرودة والقنيطرة ، كما احتل مطار مدينة الرباط وكافة المنشآت العسكرية التي كانت موجودة بعاصمتنا ، ومنها مركز القيادة العليا الفرنسية .

وقد عينا لجنة وزارية تسهر على تطبيق اتفاقية الجلاء ، وتراقب المدارس الجوية التي فقدت كل صبغة عسكرية ، والتي لن يسمح للقوات المنسحبة أن تتجمع فيها ، ولا أن تستعمل كقاعدة لأعمال حربية ، كما عينا لجنا من القوات المسلحة الملكية تقيم داخل هذه المدارس ، للسهر على تطبيق مقتضيات الاتفاقية تطبيقاً تاماً .

أما الجيوش الإسبانية فقد اجرينا مع حكومة مدريد مفاوضات ومفاوضات في شأن جلائها ، والسى الآن لم تسفر هذه المفاوضات والمفاوضات عن نتائج ايجابية مع الاسف الشديد ، وأنت لا تقبل أن يكون هذا الجلاء محل مساومات ، كما أننا عازمون على تحقيق مطامحننا في هذا المضمار بأنجع الوسائل .

موريطانيا والأراضي المفتتصة

والى جانب قضية الجلاء شغلت قضية أخرى جزءاً كبيراً من نشاطنا ووقتنا ، ألا وهي قضية الأراضي المفتتصة من بلدنا ، وفي طبيعتها موريطانيا العزيرة التي تتعرض الآن لمكيدة استعمارية خطيرة ترمي السى فصلها عن المغرب وطنها الأصلي الذي عاشت منه واليه طيلة تاريخها ، والتي لا يريد أهلها عنه انفصالاً .

ووضحنا ذلك لكثير من رؤساء الدول والحكومات وقادة الشعوب أثناء اجتماعنا بهم داخل المغرب أو خارجه ، كما وضحه لهم وزراؤنا ومندوبو حكومتنا في شتى المناسبات ، ومختلف المؤتمرات الدولية والشعبية التي حضرناها ، سيما على لسان ولي عهدنا من فوق منبر الأمم المتحدة أثناء الدورة الحالية لجمعية العامة .

بيننا للعالم أننا نشدد السلام ، وتسعى لتوطيد الأمن في العالم ، وتؤثر حل المشاكل وحسم الخلافات بالتفاهم .

بيننا أننا متعلقون كل التعلق بالمبادئ والأهداف التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة مؤازرون لها في أداء رسالتها السامية .

بيننا أننا من أنصار الحرية لجميع الشعوب ، والمساواة بين كافة الدول ، والتعاون الحر بين الأمم على ما فيه خيرها المشترك ، وأنتا خصوم لفكرة السيطرة على الشعوب واستغلالها ، ولا تقبل مطلقاً أن ينفرد الأقوياء وحدهم بتقرير مصير العالم .

بيننا أننا نريد التعامل مع الجميع على أساس التساوي واحترام السيادة ، وعدم تدخل دول في الشؤون الداخلية لدولة أخرى ، وأنتا أوفياء لسياسة عدم التبعية التي لا تشايح الكتل والمعسكرات المتطاحنة .

كما برهنا للعالم على أننا مسلمة عربية أفريقية حريصة كل الحرص على أن تتعاون مع جميع الشعوب تعاوناً صادقاً مثمراً .

قضية الجلاء

شعبنا الوفي .

أن من بين القضايا الكبرى التي ظلت تشغل بالنا، وتنازل حظاً وافراً من اهتمامنا ، قضية جلاء الجيوش الأجنبية التي يتنافى وجودها فوق ترابنا مع سيادتنا . لقد اعطينا الأولوية لهذه القضية المهمة ، واتجهنا السى تصفيتها بحزم وجد مع الدول التي يعينها الأمر ، فكان من نتائج جهودنا المبذولة في هذا الميدان أن تم اتفاق بيننا وبين الرئيس إيزنهاور أثناء اجتماعنا معه بالدار البيضاء حول الجلاء عن القواعد الأمريكية ، وصدر بلاغ مشترك

المغرب العربي ، فلم يبق الا ان تتدخل الامم المتحدة في المشكلة قصد ايقاف الحرب وتمكين الشعب الجزائري من التمتع باستقلاله وسيادته .

سياسة المغرب الافريقية

لقد كنا في السنة الماضية اعربنا من فوق هذا المنبر عن املنا في رؤية الاقطار الافريقية تتحرر وتستعيد سيادتها ، وحيينا الشعوب التي كانت يومئذ تكافح في سبيل حريتها ، وقد حقق الله جل ذلك الامل في هذه السنة التي يمكن اعتبارها بحق سنة انبعاث افريقيا ، واننا نكرر التهنئة للدول الافريقية التي استعادت حريتها ، وتتمنى لها التوفيق في حياتها الجديدة ، ونرحب باحد رؤسائها السيد محمدو ضياء رئيس حكومة دولة السينغال المسلمة الحاضر معنا الآن ، كما نعلن تضامننا وتأييدنا للشعوب الاخرى المناضلة ، متمنين لها الفوز في كفاحها ليكمل بتحريرها تحرر القارة الافريقية ، ويتعزز جانب شعوبها ، ويقوي تعاونها في كل ميدان ، وتصبح عاملا من عوامل التوازن في العالم .

ان المغرب الذي هو قطر افريقي ساهم مساهمة ملحوظة في النشاط الافريقي هذه السنة ، فشارك في كل المؤتمرات والاجتماعات التي كان موضوعها حاضر افريقيا ومستقبلها ، بل كان له السبق احيانا في ابتكار الحلول لقضاياها واقتراح التدابير لحفظ كياناتها ، وعند ما نشأت ازمة الكونغو غداة اعلان استقلاله بادرننا بارسال وحدات من جيشنا - في نطاق مقررات الامم المتحدة - لدعم استقلاله ، والمحافظة على وحدته الترابية واعانة حكومته الشرعية على ممارسة سلطتها بمجموع اقاليمه ، فقامت بمأمورياتها على وجه نال اعجاب العالم وتقديره وثناؤه ، كما قدمنا اليه مساعدة فنية وادارية .

وان ما لنا من مطامح مشتركة مع شعوب افريقيا ليدعونا الى تقوية روابطنا بها في الميادين الروحية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، ولهذا اتخذنا قرارا بفتح سفارات لدى بعض اقطارها المستقلة وتقديم منح الى طلبتها وفتح كلياتنا ومعاهدنا ومدارسنا الدينية والعلمية والتقنية والعسكرية امامهم ، وانا لنامل ان تتاح الفرص لعقد اجتماعات دورية بين رؤساء الدول الافريقية لدراسة القضايا والاهداف المشتركة .

وان الذين دبروا تلك المكيدة ويشرفون على تنفيذها ليعرفون أكثر من سواهم ان موريطانيا لم تكن الا جزءا من المغرب ، وان مغربيتها مؤيدة بالوثائق التاريخية والافاق الدولية التي خرقتها خرقا صريحا ، كما يؤيد مغربيتها الحقيقة والواقع ، واردة سكانها الذين يابون الا ان يشاركوا كباقي رعايانا في الاحتفال بهذا العيد الذي هو عيد الوحدة والاستقلال ، ويعبر ممثلوهم الحقيقيون في منظمة الامم المتحدة وفي كثير من الاقطار عن ارادتهم في ان يبقوا مغاربة كما كان آباؤهم الاولون ، والذين يستميت احرارهم في مناضلة الاستعمار في عين المكان ، تثبثا بقوميتهم ، ودفاعا عن الوحدة الترابية لوطنهم ، ورفضا للانخراط في جامعة لا تربطهم بها رابطة دين ولا لغة ولا اصل ولا مصير .

واننا في هذه المناسبة نعبّر لابنائنا في موريطانيا عن رضانا ، ونبارك كفاحهم ، ونحضهم عن الصبر والثبات في انتظار فرج الله الذي وعد الصابرين بالفتح القريب والنصر المبين ، ونعدهم ان نبقى بجانبهم حتى يكمل الله جهادهم بالنصر ، وتتحرك جميع اجزاء وطننا العزيز .

ان الاستقلال الممنوح لموريطانيا ما هو الا استقلال مزيف يريد منه مانحوه اغتصاب جزء من وطننا ، واستغلاله لصالحهم ، وجعله حاجزا بيننا وبين اخواننا الافارقة مع انه كان على الدوام صلة وصلنا بهم ، وانشاء قواعد عسكرية فيه تهدد كيان المغرب العربي مثلما تهدد كيان الدول الافريقية على السواء .

استمرار الحرب في الجزائر يعرض

السلم العالمي للخطر

ومن قضايانا الكبرى قضية استقلال الجزائر التي دخلت حربها التحريرية في سنتها السابعة ، لقد كنا ننتظر مثل باقي شعوب العالم ان تقف الحرب في هذه السنة بالاعتراف للشعب الجزائري المكافح بحقه في الحرية والاستقلال ، ولكن عظمت الخيبة عند ما راينا الحرب تستمر رغم ما ابدته الحكومة الجزائرية من حسن استعداد لحل المشكل عن طريق المفاوضات ، وان هذا لا يعرض الشعب الجزائري للابادة فحسب ، ولكن يخشى ايضا ان تتسع هذه الحرب وتنتشر ، وقد اصبح هذا الخطر امرا واقعا بالنسبة لاقطار

العناية بالقوات المسلحة الملكية ، وضوعفت الجهود لتحسين تدريبها ، وتكميل تنظيمها ، وتقوية تجهيزها ، وإنشاء نواة للأسطولين الجوي والبحري .

كما ان الاستقلال لا يكون ذا مدلول حقيقي الا اذا كانت سياسة الامة وبرامجها تخطط وتنفذ بأيدي ابنائها ، وهذا ما دعا الى مواصلة الجهود في ميدان التكوين الفني والمهني ، حيث انشأت جميع الوزارات هذه السنة مدارس ومراكز جديدة للتكوين ، وخصصت لشبابنا منحة كثيرة تمكنهم من مواصلة الدراسة والتخصص والتدريب .

ونشير على سبيل المثال الى مدرسة المهندسين التي دشناها منذ ايام ومدرسة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ومدرسة تكوين الفنيين للطيران المدني ، ومركز التكوين الاداري ، ومراكز التعليم والتكامل التابعة لوزارة المالية ، والمدارس العشر التي اسستها وزارة الصحة لتكوين الاطر الصحية .

كما نشير الى ان وزارات الاشغال العمومية والفلاحة والبريد كانت هذه السنة نحو ثلاثة آلاف من الموظفين ، من بينهم عدد كبير من المهندسين وكبار المتخصصين في الاعمال الفنية ، وان 103 من المهندسين اوفدوا في اول اكتوبر الى كبريات المعاهد الفنية بالخارج للدراسة من طرف وزارة الاشغال العمومية .

وبفضل هذه العناية المتضاعفة ، والافواج المتلاحقة ، صار في امكان المغرب ان ينظر الى مستقبل مفرجة ادارته بثقة واطمئنان .

وحيث ان المفرجة لا يمكن فصلها عن التعريب بدأت وزارة الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري في تنفيذ مشروع أعدته لتعريب الإدارة ابرازا لاحد مظاهر قوميتنا ، وأعدت من جهة أخرى مشروعاً لتبسيط النظام الاداري مراعاة لامكانيات البلد واحتياجاته .

لقد دلت التجربة الاقتصادية في العالم على ما للتصميم من جدوى في نجاح الاعمال ، اذ به يجتنب من جهة اضعاف الوقت وبعبثة الجهود ، وتحدد الاهداف من جهة أخرى وتعد الوسائل المادية والمعنوية وتعبأ الطاقات لانجازها ، ولهذا قررنا جعله القاعدة التي يركز عليها عملنا في المستقبل ، في الميادين الاقتصادية والاجتماعية .

كما نامل ان يزداد ما بين شعوب افريقيا وآسيا من تعاون لتسمع كلمة القارتين اكثر مما مضى وتضطلعا بمسؤوليات اكبر في حفظ السلم ونشر الثقافة وخدمة الحضارة .

ونحن عازمون على زيارة بعض البلدان الاسيوية في مطلع العام المقبل بحول الله تلبية لدعوة اخواننا واصدقائنا ملوكها ورؤسائها مثلما لبينا في مطلع العام الحالي دعوات اخواننا ملوك ورؤساء دول الشرق العربي لزيارة بلدانهم حيث قبولنا بحفاوة كبيرة وتمكنا من زيارة الاماكن المقدسة وتعرفنا على المراحل التي تقطعها شعوبهم في سبيل المجد والتقدم والرفعي ودرسنا معهم كثيرا من القضايا التي تهم العرب والمسلمين واصدرنا بلاغات مشتركة في شأنها .

شعبنا الوفي .

تلك مبادئنا واهدافنا واعمالنا في الحقل الخارجي اما في الميدان الداخلي فان الاعمال التي باشرناها ظلت تستير بالسياسة التي شرحناها في كثير من المناسبات واكدناها في البرنامج الوطني الذي اعلنه الامة يوم ثالث وعشري مايو بمناسبة تأليف حكومة نتراسها وينوب عنا ولي عهدنا في تسييرها .

ففي هذه السنة واصلنا العمل لاقرار حياة ديمقراطية وتزويد رعايانا بمنظمات تمثيلية منتخبة ، فجرت الانتخابات البلدية والقروية في جو من الهدوء والنظام دل على ما يتحلى به شعبنا من نضج ووعي ، واصبح رعايانا يشاركون مشاركة فعلية في تسيير الشؤون المحلية بكيفية عصرية منتظمة ، كما جرى انتخاب الفرق التجارية والصناعية .

وتحقيقا للرغبة التي طالما عبرنا عنها في انشاء نظام ملكية دستورية احدثنا مجلس الدستور لوضع مشروع دستور للمملكة يراعي خصائص المغرب ويساير روح العصر ويكفل ايجاد تعاون بين الشعب والحكومة ، واننا لنتنظر ان ينجز هذه المهمة السامية في الوقت المحدد حتى نتمكن من عرض الدستور على الامة لتعبر عن رأيها فيه .

ان استقلال امة من الامم لا يكون في مأمن من الاخطار الا بوجود جيش قوي يسهر على حمايته ويقف على قدم الاستعداد للذود عنه ولهذا استمرت

ويسرنا ان نبرش شعبنا الوفي في هذا العيد القومي بان التصميم الخماسي وضع في قلبه النهائي ، وصادقنا عليه بظهير .

وتجدر الاشارة الى ان الهدف الرئيسي منه ، هو تحسين مستوى الامة ماديا ومعنويا برفع الدخل الفردي والقومي ، وان وسائله تتلخص في الاصلاح الزراعي ، والتنمية الصناعية ، وتكوين الاطارات ، وتكيف الجهاز الاداري بما يكفل انجاح هذه الاهداف

ويستلزم تحقيق هذا التصميم توظيف اموال تقدر بـ 850 مليار فرنك ، منها 250 مليارا لتحملها ميزانية الدولة الخاصة بالتجهيز .

ان الاصلاح الزراعي بقي في طليعة اهتمامنا كما كان في السنين الماضية ، نظرا الى ان الزراعة هي المورد الاساسي للشراء الوطني ، والمصدر الرئيسي لعيش 80 في المائة من المواطنين .

وبرنكر هذا الاصلاح على ثلاث دعائم :
اولا - انشاء وحدات زراعية كافية تمكن فلاحها باحدث الطرق الفنية .

ثانيا - تجديد اساليب الاستثمار تجديدا يهدف الى القضاء على الوسائل العتيقة التي تحول دون ازدهار الزراعة .

ثالثا - توجيه الدور الذي تقوم به الدولة في البادية توجيها جديدا ، وهذا يستلزم احداث مكتب للري ، وآخر عقاري تناط به مهمة تنظيم وتوزيع اراضي الدولة ، وارضى الاستثمار لصالح الفلاحين المعوزين ، واعادة تنظيم مؤسسات القرض الفلاحي على اسس تكفل للفلاح مساعدة فعالة لاستثمار اراضيه .

وقد سرنا هذه السنة اشواطا في تطبيق الاصلاحات المشار اليها ، فبدى في توزيع 13 الف هكتار على الفلاحين بمختلف الاقاليم ، واقترن هذا التوزيع بانشاء وحدات زراعية ، يعمل داخلها المستفيدون عملا جماعيا مع احتفاظ كل مستفيد بانتاج القطعة المخصصة له ، وتوبعت عملية الحرث طبق خطة جديدة في صالح الفلاحين ، واتسع نطاق عملية التشجير ، التي تهدف الى حماية التربة ، وصد الصحراء التي تكتسح كل سنة اربعين الف هكتار ، وتحيلها ارضا قاحلة ، وانشىء مكتب الري الذي

يسير وينسق بكيفية اجدى وانفع اعمال جميع المصالح التي تعني حاليا بالسقي ، وتواصلت الاشغال في بناء السدود ومد القنوات وحفر الآبار ، وقد تم بناء سد النخلة ، الذي يسقي دائرة تطوان ، وشرع في بناء سد القليلة الذي سترتفع به دائرة السقي بشرق المغرب الى 65 الف هكتار ، وتتابع وزارة الاشغال العمومية لنفس الغاية ، بناء عدد من السدود الصغيرة بالاقاليم الشمالية ، واقاليم قصر السوق ، وورازات واكادير .

ان نجاح الاصلاح الزراعي رهن بحماسة الفلاحين وثقتهم ومساهمتهم في تطبيقه ، وتولي حكومتنا اهمية كبرى لتعبئتهم واقبالهم على العمل بتعاليمها وارشاداتها ، ولئن كان من المسلم به ان توظيف المال يخلق العمل ، فان التجارب العصرية دلت على ان العمل في الحقيقة هو راس مال الدول المتخلفة، سيما في الميدان الزراعي .

ولكن الفلاحة وان كانت نامية مزدهرة لا تكفي وحدها لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، سيما في بلد كالمغرب ينمو عدد سكانه باطراد ، اذ لا يحسّر اقتصاد الامم ، ولا يخرجها من التخلف وبقية اخطار البطالة وقلة التشغيل مثل التصنيع . لهذا كانت التنمية الاقتصادية من اجل ماصرفنا اليه عنايتنا خلال هذه السنة .

وقد اتجهنا في هذا الصدد اتجاها جديدا يرمي الى خلق صناعات كبرى ، مندمجة تمام الاندماج في عموم الاقتصاد الوطني ، حسب خطة معينة يتحقق بها في الميدان الاقتصادي الاستقلال المحقق في الميدان السياسي ، وتستغل بها خيرات الوطن الطبيعية لصالح ابنائه .

وانتم تعلمون ان بلدنا يتوفر باطنه وشواطئه على امكانيات ومقدرات تسهل تحقيق هذه التنمية ، كما انه يتوفر على اجهزة اساسية مهمة متنوعة ، تفوق بكثير ما هو موجود عند الامم التي تسير نحو التقدم والازدهار .

ونتيجة لهذا رأينا من الضروري انشاء صناعات اساسية واخرى للتحويل .

وان عملا من هذا القبيل ليستدعي تدخل الدولة اذ هي القادرة وحدها في المرحلة الحالية على ايجاد

والتوجيهات لا يمكن ان تؤدي ثمرتها المنشودة في هذا الميدان الا اذا اتقن الصناع العمل، ولهذا نهيب بصناعنا ان يلتزموا الجودة فيما يصنعون وان يحافظوا لصناعتنا التقليدية على خصائصها ومميزاتها الدالة على عبقرية المغاربة، واصالة حضارتهم، وغنى ماضيهم .

ومن دواعي السرور ان نسجل في باب التجارة، فتح اسواق جديدة امام البضائع المغربية، وعقد اوافق تجارية مع عدد عديد من الدول، وتجديد العمل بالقديم منها . فقد زادت التجارة الخارجية ايرادا واصدارا، ولوحظ ارتفاع في الايراد على الخصوص بسبب نمو وارداتنا من المواد الاولية وادوات التجهيز والتصنيع الامر الذي يدل على حيوية صناعتنا الجديدة، ومع هذا فان مجموع تجارتنا الخارجية زاد في الشهور الاخيرة بنسبة 38 في المائة . ونحن حريصون على تقوية اسطولنا التجاري وتعزيزه بوحدات جديدة .

والجدير بالذكر ان الفوسفات الذي يكون اهم صادراتنا واكبر موارد دخلنا القومي اصبح الاتجار فيه مغربيا صرفا، فبعد ما كان المغرب ينتج هذه المادة فقط صار الآن ينتجها ويستقل ايضا بوسقتها والاتجار فيها في الاسواق العالمية بكيفية مباشرة بعد استرجاع المحاسب الاجنبي الذي كان يتولى ذلك سابقا وجعله مغربيا خالصا .

ولما كان التجهيز الاساسي مما يسهل التصنيع، ويعجل بخلق ازدهار اقتصادي ضاعفنا الجهود لبناء الطرق وتعهد المراسي والمطارات والسكك الحديدية، وتوسيع الشبكة الكهربائية، وتقوية اجهزة المواصلات السلكية واللاسلكية، ومن منجزاتنا هذه السنة في هذا الميدان، بناء مطار فاس ومد 700 كيلومتر من اسلاك المواصلات، وبناء 600 كيلومتر جديدة من الطرق الكبرى والثانوية وكهوية 23 قرية .

شعبنا الوفي

لما وقفنا فوق هذا المنبر في مثل هذا اليوم سنة 1955 نعلن انتصارنا في معركة التحرير، وخروجنا من عهد الحجر الى عهد الاستقلال، لم يكن بمدارسنا الا 250 الف تلميذ، وبسعدنا ان نعلن بافتخار، ان مدارسنا تضم اليوم بين جدرانها مليون تلميذ، فنكون حققنا في خمسة اعوام من عهدنا الجديد، اضعاف ما حققه العهد البائد في ثلاث واربعين سنة، وذلك بادخال

مبالغ عظيمة من المال، لتوظيفها في بعض مشاريع التصنيع على انها تعتمد ايضا على توظيف الاموال الوطنية، ولا سيما الوفر، وتنوي الاستفادة من كل مشاركة مادية او فنية من اي جهة كان ورودها، فهي تشجع توظيف الاموال الاجنبية، وتمنحها كـل الضمانات اللازمة في نطاق احترام سيادتنا واتجاهاتنا الاقتصادية .

وقد جرت في هذه السنة حركة مباركة لتطبيق السياسة الخاصة بالتصنيع، سواء ببناء المصانع والعمال، او باعداد مشاريع صناعية جديدة . ففي المحمدية تسير الاشغال قدما لبناء مصافي سـمير لتكرير النفط، تلك المصافي التي يفوق انتاجها ما يستهلكه المغرب، وفي الدار البيضاء بدأت الاشغال في بناء مصنع للسيارات الصغيرة، وفي آسفي ستشأ مجموعة من المعامل للصناعات الكيماوية، وفي فاس سيشرع في الاسابيع المقبلة في بناء معمل للنسيج اقيم بمال مغربي صرف، وفي سيدي قاسم سيبدأ قريبا في بناء اول مصنع وطني للسكر، وتتابع في اقليم الناظور، الابحاث والدراسات والتحليلات قصد انشاء مجموعة للصناعة الحديدية .

وتتخذ الترتيبات في جهات اخرى لاقامة مصانع متنوعة، منها مصنع لانتاج دقيق السمك وهو اول معمل من نوعه يحل مشكلة سوء التغذية .

وتدرس بانتظام مشاريع التوظيف في مختلف القطاعات، وتقدر رؤوس الاموال المزمع توظيفها سنويا بعشرة ملايين فرنك .

وتدل جميع القرائن على ان القطاع الصناعي استأنف نشاطه في الوقت الراهن، ومن بين هذه القرائن ارتفاع ما تستهلكه المصانع والعمال من كهرباء ووقود، وازدياد مراسلاتها البريدية، ومكالماتها الهاتفية .

اما الصناعة التقليدية التي يعيش منها عدد كبير من رعيتنا، فهي ايضا محل عناية واهتمام، وتعمل الحكومة جاهدة لانعاشها وتيسير اسباب ازدهارها بالمحافظة على خصائصها، وحمايتها من المنافسة، وفتح مكاتب للدعاية لها بالخارج، وانشاء مدارس نموذجية لتعليمها، ومراكز لتكوين صناعها، وتعاونيات تجمع شتاتهم، وتقديم سلفات اليهم، وسيحدث لهذا الغرض بنك مركزي للقرض الشعبي . لكن المساعدات

مقابل كراء معتدل ، وقد خصصنا هذه السنة لشؤون السكنى بالمدن والقرى ما يفوق خمسة ملايين فرنك من ميزانية التجهيز .

وصرفنا من جهة أخرى عناية بالغة لشؤون الصحة ، فأنشأت وزارة الصحة 42 مستوصفا ومركزا صحيا جديدا ، وضاعفت حملاتها ضد الأمراض الفاشية في المجتمع ، وبشت وسائل الوقاية منها في كل مكان .

وجريا على عادتنا في العناية بالطبقة العاملة والسهر على ضمان حقوقها وصيانة مصالحها أصدرنا ظهيرا ينشئ الضمان الاجتماعي الذي لا يوجد الا في البلدان التي قطعت اشواطا بعيدة في الرقي .

والى جانب هذا اعد ظهير يقضي بتنظيم وضعية عمال المناجم ، ويضمن لهم حقوقا خاصة ، رعايا لما يكابدونه من مشاق ، ويعرضون له من آفات واطار وبهذا نكون حققنا خطوة جديدة يشرح لها عملتنا ويرتاحون .

وما زالت وزارة الاوقاف تواصل نشاطها في خدمة الدين الاسلامي واللغة العربية ، وتساهم في الاعمال الاجتماعية والعمرانية ، وقد بنت في هذه السنة عدة مساجد وأصلحت أخرى ، كما بنت قرى ومتاجر وشجرت مئات الهكتارات من الاراضي الحبية ، وهي الآن بصدد انشاء مدارس لتلقيش احكام الدين وقواعد العربية وتكوين الموظفين الدينيين

شعبنا الوفي .

اذا كانت العدالة الاجتماعية نالت حقها وافيا من العناية والاهتمام ، فاننا نعتقد ان الديمقراطية الحقيقية لا تكون مستوفية لجميع معانيها الا بصيانة حقوق الفرد وكرامته وحرياته ، ولجل هذا واصلنا الجهود التي لم نفتأ نبذلها منذ سنين طويلة لتنظيم الجهاز القضائي وتكوين رجاله ، واصلاح قوانينه ومساطره وتكميلها وتوحيدها ، ورغبة منا في ان يجري العمل في جميع انحاء مملكتنا بقانون جنائي واحد ، فنحن بصدد اصدار هذا القانون مع مواصلة العمل في تدوين القانون المدني .

سبعمائة وخمسين الف تلميذ جديد الى المدارس ، رغم الامكانيات المحدودة ، والصعوبات العديدة التي واجهتنا ، وفي طليعتها قلة المعلمين .

لقد تضاعفت بكيفية محسوسة في هذه السنة الجهود المبذولة في الميدان التربوي وتواصلت باستمرار الاعمال لتشييد المدارس وتكوين المعلمين من جهة ، وتوحيد البرامج واصلاح المناهج من جهة اخرى ، وزادت الاعتمادات المخصصة لهذا الميدان الحيوي 15 في المائة على اعتمادات السنة الماضية ، حتى صارت نفقات التعليم وحدها تمثل 20 في المائة من مجموع الميزانية ، ومع ان هذه النسبة يعز نظيرها في العالم ، فاننا ننوي رفعها باستمرار، حتى تلبى جميع احتياجات شعبنا الى العلم والثقافة ، فقد كان من اهدافنا الاساسية ولا يزال ان تضم المدارس جميع اولادنا الذين هم في سن الدراسة ، وتلقنهم تعليما مستمدا من ديننا ولفتنا وواقع امتنا ، مسائرا لروح التطور والتجديد ، كفيلا بان يحقق مطامحنا وامانينا في التقدم والازدهار .

وان الموسم الدراسي الحالي ليكتسي حلة خصوصية ، لانه يشهد الشروع في تنفيذ التصميم الخماسي .

ويسعدنا كل الاسعاد ايضا ان نخبر شعبنا العزيز، ان مدارسنا سيكون في استطاعتها سنة 1963، ان تقبل جميع ابنائنا الذين يصلون يومئذ الى سن الدراسة بالرغم عن ان عددهم يزداد كل سنة خمسين الفا .

ومما سجلته السنة في هذا الميدان استقلال جامعة الرباط عن الجامعات الاجنبية ، وانشاء كلية للشريعة ، ومعهد للدراسات الاجتماعية ، وآخر للدراسات السياسية .

كما شاهدت السنة الاحتفال بذكرى مرور احد عشر قرنا على تاسيس جامعة القرويين ، تلك الجامعة التي كانت اكبر سند للاسلام والعروبة في هذا الجناح الغربي من بلادهما ، والتي ستبقى محل عنايتنا ورعايتنا لتواصل اداء رسالتها التاريخية وخدمة الحضارة الاسلامية والثقافة العربية .

وفي الميدان الاجتماعي كذلك وجهنا اهتمامنا الى توفير سكنى سليمة للطبقات المحتاجة من شعبنا

ابناءنا البررة :

ها نحن عرضنا عليكم بصدق ونزاهة خلاصة سياستنا ، وثمرات مجهوداتنا ، ونحب بعد هذا ان يمتحن كل واحد منكم ضميره بدوره ، لا فرق بين مثقف وفلاح وتاجر وصانع وعامل، ليعرف هل ادى في محيطه الخاص جميع واجباته نحو وطنه .

اننا نحث جميع الذين يتولون مهام الحكم والادارة على ان يواصلوا العمل بجهد ونزاهة واخلاص، ويتجردوا لخدمة الصالح العام ، ويعتبروا انفسهم دوما في خدمة الامة ، ويجعلوا من ضمائرهم عليهم حسيبا كما نهيب بجميع افراد شعبنا وخاصة شبابنا الذي هو مناط املنا وعماد مستقبلنا - ان يحافظوا على الاخوة والاتحاد ، ويبقوا متعاونين متضامنين معبئي القوى ، وان يتصرفوا على قدر الثقة الموضوعة فيهم ، وان تكون اعمالهم في مستوى الامال المعلقة عليهم .

ان الدولة - اية ما كانت امكانياتها ومجهوداتها - لا يمكن ان تؤدي رسالتها ، وتحقق جميع ما ينتظر منها تحقيقه في ميادين البناء والتشييد الا اذا كان يؤازرها شعب مومن واع متحمس ، ولنا عبر - واي عبر - من تاريخنا الطويل ، ومن امسنا القريب ايضا يوم كنا نخوض معركة التحرير ، فاستطعنا بقوة ايماننا واجتماع كلمتنا ووحدة صفنا وتعلقنا بفكرة الاستقلال ، ان نكسر القيود وننسف السدود ، ونخرج من المعركة ظافرين منتصرين .

واننا اليوم لاشد احتياجا الى التحلي بهذه الفضائل في المعركة التي نخوضها لدم حريتنا ، وتميز استقلالنا، واستكمال وحدتنا الترابية ، واقامة مجتمع فاضل تسوده الاخوة والمساواة والعدالة الاجتماعية .

فلنعمل من غير توان ولا انقطاع بحزم وعزم واخلاص ، متمسكين بتعاليم ديننا وتقاليد قوميتنا ملتزمين جادة الاخلاق القومية متحلين بالشيم النبيلة، لا يصال المغرب ماديا وادبيا الى ذروة المجد وقمة الكمال . عملا بقول الله الكريم في كتابه المبين .

وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى .
نسأل الله العلي القدير ، ان يلهمنا رشدنا ، ويوفقنا في اعمالنا ، ويكون لنا ولسائر المسلمين وليا ونصيرا ، ويبسط على العالم ظلال السلم والصدقة والوفاء . انه ولي التوفيق .

ولتقريب الشقة على المتقاضين قررنا احداث محكمتين استئنافيتين احدهما بمراكش والاخرى بفاس زيادة على المحكمتين الاستئنافيتين الموجودتين الآن .

شعبنا العزيز :

لئن كانت هذه السنة حافلة بما يبهج ويسر من تحقيق امان وطنية ، والقيام باعمال عظيمة لخير الوطن والشعب ، فقد كانت ايضا سنة حزن واسى ، اذ كتب علينا فيها ان نواجه كارثة عظيمة عمت بلواها جميع السكان .

ففي يوم 29 يبرابر الماضي حدثت رجة كبرى باكادير ، خربت عمراتها وقضت على حياة الالوف من سكانها .

واننا نترحم على جميع الضحايا ، سائلين الله ان يرزق ذويهم جميل الصبر وحسن العزاء .

ومع ما اقترن به الزلزال من هول اذهل العقول، واسى كسر النفوس ، فاننا واجهنا الكارثة بصبر وثبات ، معلنين من الساعة الاولى عزمنا على بناء المدينة من جديد ، واعادتها الى سابق نشاطها الاقتصادي والصناعي .

وقد كانت الكارثة مناسبة ظهر فيها ما بين سكان المغرب من تعاطف وتضامن ، وابدت فيها كافة الدول عطفها ومواساتها ، وساهمت مشكورة مساهمة مجدية في اعمال الانقاذ والاسعاف ، معطية بذلك المدلول الحقيقي للاخوة البشرية .

وينبغي ان ننوه بالاعمال التي قامت بها المنظمة العالمية للصحة ، والعصبة الدولية للهلال والصليب الاحمرين ، ونشيد بالدور الحاسم الذي قامت به القوات المسلحة الملكية ، ومنظمتا الهلال الاحمر والتعاون الوطني .

وقد تقرر اعطاء تعويضات للمنكوبين عن الخسائر التي لحقتهم ، ويواصل العمل لرفع الانقاض ، حيث يتأتى لكثير من الاسر والافراد ان يستعيدوا مالهم ومتاعهم، كما تجري اشغال كبرى في التشييد والترميم والاصلاح ، ويتحسن مظهر المدينة المنكوبة يوما بعد يوم ، وبعد ما عادت اليها المصالح الادارية اخذت تدب فيها الحياة رويدا رويدا .

دواء السالكين وقاع المشاكسين

- 9 - للدكتور تقي الدين الهلالي

غرائز الحيوان ودلائلها على فاطر السموات والارض

قال المؤلف كريسسي مورسن : ان تطور الانسان قد بلغ في التقدم مرتبة عالية من الوجهة الطبيعية ، ويظهر انه لم يبق هنالك امل في تطور جديد بالشبهة الى تكون جسم الانسان . اما تقدمه من الوجهة الصحية فمؤمل بسبب تحسن الغذاء وعجائب الطب والجراحة التي لا تزال في اطراد مستمر ، وذلك يقتضي زيادة كمال وتطور في جسم الانسان ، ويستلزم ذلك زيادة تحسن في عقله وتفكيره ، وهناك - امل على الاقل في ان يزداد الانسان قوة في الدهن ليعرف نفسه ويعبر عما اودعه الله فيه من حكم واسرار ، وبذلك يرتقي الانسان ويتقدم في الكمال من الوجهتين المادية والعقلية من حيث الفرد ومن حيث الجنس - ان المدنية والاخلاق تسيران تارة الى الامام ، وتارة الى الوراء ، الا ان هناك دائما ربعا في الجملة وتطورا ملحوظا في تقدم الانسان ، ولكن عليه ان يسير الى الامام مسافات ابعد ، ومن حسن الحفظ انه لا يظهر ان هناك حدا لامكان تطور جديد وتحسن في دماغ الانسان بمرور الزمن الذي هو المؤثر الاساسي .

لقد وهب الله الطير غريزة الاهتمام الى الرجوع الى اوكارها ، فالعصفور المعروف بالربيع الذي يعيش في ابواب بيوتنا ، يذهب عند انقضاء فصل الخريف الى البلدان الجنوبية فرارا من البرد وطلبا للدفء ، ولكنه يرجع في زمان الربيع الى عشه القديم ، وفي شهر ايلول - شتنبر - نرى اسراب الطير معظمها تطير الى الجنوب ، واثيانا كثيرة تطير فوق البحر مسافة الف ميل ولا تضل طريقها ابدا ، والحمائم الزاجل اذا حمل في قفص الى مكان بعيد قد يتحير احيانا بكثرة الاصوات الطارئة عليه في سفره البعيد ، ولكنه يحوم هنيهة ثم يأخذ طريقه مستقيما تقريبا حتى يعود الى وطنه ، والنحلة لا تضل في عودتها الى خليتها ، ولا يصدها عن ذلك هبوب الرياح العواصف التي تحرك الاشجار وسائر النبات وتطمس اعلام طريقها ، اما الانسان فحاسة الاهتمام الى العودة الى وطنه ضعيفة

فيه ، ولكن الله وهبه عقلا استطاع به ان يصنع آلات الملاحة التي يهتدي بها في ظلمات البحر والجو فكان ذلك عوضا له عما فقدته من تلك الغريزة التي منحها غيره ، والحشرات الصغيرة لابد ان تكون لها عيون ، مكروكوبية اي مجهرية ، ولكن الى اي حد تبلغ هذه العيون في كمال الابصار ؟ لا ندري ، والنسور والبزاة لابد ان تكون لها عيون مجهرية ايضا لم يهبها الله الانسان .

وفي هذا ايضا فاق الانسان الحيوان بادواته الميكانيكية ، فبتلسكوبه يستطيع ان يبصر سديما بلغ في الدقة الى حد ان البصر يحتاج الى ان يضاعف مليونين من المرات ليقدر على رؤيته ، والانسان بمكروسكوبه يستطيع ان يرى مكروبا لا يرى بالبصر المجرد ، ويرى زيادة على ذلك مخلوقات صغيرة جدا سلطت على تلك المكروبات بعضها .

ولو تركت الفرس وحدها فانها تسير في الطريق في اشد الليالي ظلمة ، وتستطيع ان ترى ولو في شيء من الابهام اختلاف درجات الحرارة في الطريق وجانبه بعينين متأثرتين تائرا خفيفا بالاشعة تحت الحمراء التي في الطريق ، والبومة تستطيع ان ترى الفأرة الجميلة في نظرها حارة الجسم تجري على العشب البارد في اشد الليالي ظلمة ، ونحن نقلب الليل نهارا باحداث اشعاع في تلك المجموعة التي نسميها بالضوء .

وهل تعلم ان انسان عينك يلقي صورة على الشبكية ، وحينئذ تعمل العضلات عملها فترتب الانسان بطريقة آلية وتوجهه الى بؤرة متقنة الوضع ، وتتألف الشبكية من تسع طبقات يفصل بعضها عن بعض ، ومجموعها لا يزيد في الغلظ على قرطاس رقيق جدا ، والطبقة الاخيرة من الداخل تتألف من مادة تشبه الشعر او الخيوط الرقيقة بعضها مخروطي الشكل ، وعددها يبلغ ثلاثين مليوناً من الخيوط غير المخروطية وثلاثة ملايين من المخروطية ، وكلها قد

الفت ونظمت على غاية التناسب والتناسق والكمال بعضها مع بعض وكلها مع انسان العين ، ولكن كلها قد ولت ظهورها الى انسان العين وتوجهت الى الداخل لا الى الخارج ، ولو استطعت ان تنظر من خلال الانسان لرايت عدوك مقلوبا اسفله اعلاه ويمينه شماله وذلك امر يوقعك في ارتباك اذا حاولت ان تدافع عن نفسك .

وقد علم الله ما كان سيحدث لو لم يجعل تلك الاجزاء التي تتألف منها العين على ذلك الترتيب الخاص قبل ان تبصر العين بالفعل ، ولذلك رتب الله سبحانه الابصار بواسطة ملايين الاعصاب الدقيقة التي تشبه الخيوط وهي متصلة بالدماغ وهو نظام تحجير العقول في اتقانه واحكامه ، وقد رفع ادراكنا بواسطة ذلك من الحرارة الى الضوء ، ولذلك صارت العين شديدة الاحساس باللون ، ونحن لذلك نرى صورة ملونة ، للدنيا من الجانب الايمن الى الاعلى ، وهو ترتيب بصري في غاية الاحكام والاحتياط ، وطبقات انسان العين التي تسمى بالعدسات تختلف في الكثافة .

وبذلك تجلب الاشعة الى البؤرة ، ولا يستطيع الانسان ان يجد مثل ذلك في جنس واحد كالزجاج مثلا ، وكل هذا النظام العجيب في العدسات من الخيوط غير المخروطية والمخروطية والاعصاب وغير ذلك ، لابد انها وجدت في وقت واحد ، اذ قبل وجود كل واحد منها على الترتيب المذكور يكون الابصار مستحيلا ، فكيف استطاع كل عامل متحتم الوجود من تلك العوامل العديدة ان يعرف ما يحتاج اليه في خاصة نفسه ، وما يحتاج اليه ليتفق مع العوامل الاخرى في العمل المشترك وينظم كل واحد نفسه مع شركائه ليتم العمل المطلوب وهو الابصار .

وهنا استاذن القاريء في التعليق على ما تقدمت ترجمته فاقول : لعل هؤلاء السفهاء الذين يجحدون تصرف الله في ملكه وينسيون كل ما راوا من عجائب صنعه الى الطبيعة العمياء الصماء البكماء التي لا وجود لها الا في مخيلاتهم يظنون ان خلق الحيوان ناطقه وصامته انما هو مثل صنع لعبة او دمية تصنع فتجيشها الحياة بمجائها ودقائقها من سمع وبصر وتفكير ودورة دموية وتنفس وهضم الى غير ذلك بلا علم ولا تقدير ولا تدبير ؟

وقد اهاب الله بهم لو كانوا يسمعون او يعقلون فقال جل من قائل في سورة الحج : (يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب

شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز) وقال تعالى في سورة الحج ايضا : (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضلله ويهديه الى عذاب السعير) هذه الآية تنطبق انطباقا تاما على مطايا الاستعمار الروحي المادي ، فانهم يجادلون بغير علم واذا سئلوا عن الدليل احوالوا السائل على مسيو فلان ومستر فلان من اسماء سادتهم المستعمرين وزعموا كذبا وبهتان ان ائمة الاستعمارين الروحي والمادي تركوا الايمان بالله فبلغوا ما بلغوا من الرقي فيجب علينا ان نترك الايمان بالله لنصل الى ما وصلوا اليه وفي كلامهم هذا من الخداع والبهتان ما لا يخفى على عاقل - اولاً ان ائمة الاستعمار لهم دينهم وعقيدتهم ولنا ديننا وعقيدتنا ، فلو فرضنا انهم تركوا دينهم ونجحوا بتركه فلا يلزم من ذلك اننا نحن ايضا ننجح بترك ديننا ، ثانياً انهم كذبوا في زعمهم ان ائمة الاستعمار تركوا دينهم ، فهذه كنائسهم وارسالياتهم ودعاتهم قد ملأوا بلادنا الافريقية وملأوا البلاد الاسيوية وسائر القارات ، وهم يتفقون على ذلك اموالا طائلة عزيزة عليهم يحبونها اكثر من انفسهم فلماذا يفعلون ذلك اذا تركوا دينهم ، ويفعلونه في بلادنا بعد ما فعلوه على اكمل وجه في بلادهم ، وهذه الضاحية التي اسكن فيها من ضواحي مكناس تسمى المنزه فيها كنيسة يدير شؤونها قيس وهي مجهزة احسن تجهيز قائمة بواجباتها ، ولا يوجد في هذه الضاحية مسجد اصلا مع ان عدد المسلمين من سكانها اكثر من عدد النصارى ، وهم يشكون لبقائهم بلا مسجد ، ونحن نهى عريضة نوجهها الى وزارة الاوقاف المحترمة لعلها تتلافى هذا التفريط الشائن وتبني لنا مجدا يرفع ويذكر فيه اسم الله . ولولا كراهية الخروج عن الموضوع والاسهاب في الاستطراد لذكرت من شواهد عناية الشعوب الاوربية المفضلة بدينها مايمسح الله به كل مطية من مطايا الاستعمار قردا او خنزيرا . ولقد صدق الله العظيم فانهم يجادلون في الله بغير علم ويتبعون كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضلله ويهديه الى عذاب السعير ، هذا بعد عذاب الدنيا كما قال تعالى في سورة الرعد : لهم عذاب في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق ، ومن عذاب الحياة الدنيا الاستعمار الذي اذقنا ولا يزال يذيقنا الامرين بسبب تركنا الاسلام لا بسبب التمسك به كما تزعم مطايا الاستعمار ، ولله الحجة البالغة ولكن اكثر الناس لا يعقلون .

فوثبوا وثبة اقضت مضجع الاستعمار التائه ، وزعزعت اركانه واوضاعه ، وثاروا ثورة لا يدرى اولها من آخرها ، ولا فرعها من اصلها ، واشتبكت الامور وارتبكست ، واختلط الحابل بالنابل ، والخائر بالزياد .

وكان المتنامون يظنون ان هذه الثورة لا تلبث ان يصيبها الاعياء والكلال ، وباتيها الضعف والانحلال ، ولكنهم كانوا مخطئين ، وفي امرهم مرجين ، فدامت وامتدت فروعها ، وتعددت شعبها ، واسست مراكزها ، وضبطت معاركها ، وامدها الله بقوته ، ونفحها بنفحته ، فكانت الثورة مباركة وكان الجهاد عزة ونعمة .

وكلما ضاق الامر على الاستعمار وضافت عليه الارض بما رحبت تلون في منطقته ، وجدد دواليب حركاته ، وكان اشد باسا واشد تنكيلا .

وبالرغم من تشدده ويطشه فقد الم به الدعر والقلق ، واستولى عليه اليأس والفرق ، واندھش امام حرارة الشعب ورباطة جأشه ، وموالة جهاده مع تفوقه عددا وعدة واسلوبا وفنا ودرية .

وما وسعه بعد ان قلب واحتال ، ونفى واغتيال ، وشرد وذهب ، وساوم وارهب ، الا ان يستفيق من غمرته ، ويستيقن انه اخفق في مقامرته ، ويعترف انه اتى شيئا نكرا ، وارتكب خطأ فادحا لانفرد السياسة ولا تنتج الكياسة .

وعند ما اشتعلت الثورة وامر امرها راجعت السياسة الشكراء حسابها ، وعادت تعمل لتستر جرمها . فعمدت المؤتمرات ، ودعت الى هدوء الاعتداءات واستدعت من ظنت انهم بيدهم دولا الحركة وسير العجلة ، ولهم الحل والعقد فتعلقوا بملكهم ووقفوا في طريق استقلالهم .

ولما لم تفلح في مؤتمراتها ، ولم تنجح في برامجها ، واعيتها الحيل ، ولامتها الدول ، تبين للدهاة انه لا علاج لخطورة الحالة ، الا تحول السياسة والساسة واقتفاء مذهب التفهم والتقرب ، بدلا من القمع والتعصب ، فقررت حكومتهم آنذاك اعادة الملك المجاهد من منفاه الى فرنسا لا الى المغرب املا في تخفيف حدة الازمة وتشبيها بوجود المعارضة الخيالية التي خلقتها واسمها ثم دعمتها بابواقها الكاذبة ، ودعائها المرتقة ، ولكن طائفة الاستعمار المستخدمة في هذه المؤامرة الشنعاء سخطت واثمت فما كان من امرها الا ان حملها الحق على من استعملوهم في هذه المحنة ، واطمعوهم بتسلم النعمة ، فجهروا لذلك ولغيره من الدواعي بطاعتهم لجلالة محمد الخامس - فانتصر فجأة على ايدي المبطلين والجرمين وبمرأى وسماع من غلاة المستعمرين -

وتلك معجزة من معجزات الزمان ، قلما تثبت لدى ملك وسultan ، فكانت ضربة قاسية على طفاة الاستعمار وخاب سعيهم وسعي سفهائهم ومثل هؤلاء الضالين ومثل ادعيائهم المسخرين كما قال الله تعالى : « وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انما بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم » .

كذلك نشأ ظل الاستقلال ، وبدأت هزيمة الاستعمار من اجل الاعتداء على العرش المغربي العزيز وقد وجدت اعتداءات من قبله ولكن لم يبلغ اثرها في النفوس ما بلغه اثر الاعتداء الشنيع الواقع في 20 غشت 1953 .

وكل اعتداء على المقدسات لا تكون عاقبته الا سيئة ، ولا تتبعه الا الهزيمة والخيبة والاستسلام سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وكذلك كان الوفاء للعرش كما كان العرش وفيما لمصالح شعبه ، واثقا بانجاز رغباته فما قرقراره حتى بشر بالشارة الكبرى ولم يمض قليل من الزمن حتى حقق البقية الاولى - وادف ذلك باعلان جمع التراب ووحدت الاجزاء - فازداد الحب والولاء ، وتضاعف الاخلاص والوفاء ، ثم رفع مستوى الادارة بما اسداه من ارشادات نافعة وتوجيهات صالحة واتخذ جيشا ملكيا لحماية الاستقلال وضمانة الاستقرار .

وهكذا كان العرش عمدة الكفاح وسر النجاح من قبل ومن بعد وكان عمله عظيما ورائعا اولاً وآخر .

بيد انه يجب للارتباط بالوجود الصحيح وللانقباط بنظام الاستقلال ان نشكر لله نعمته الوافية ، ونجاهد في سبيله باخلاص ونركز الحياة على ما تأمل من تاريخنا ونعلم اننا عشنا مومنين مسلمين ، ورفعنا راية الاسلام وكنا له ناصرين ، وتبوأنا مقاما ساميا بين العالمين ، وتدرجنا في الحضارة قرونا طويلة لكن تخللتها فترات اضعنا فيها الحق العام ، واخللنا بتعاليم الاسلام ، من جراء الفرور والجهل والانحراف عن الحق والعدل .

كما يجب ان نتصافر مع اخواننا في العقيدة سرا وجهرا قولاً وفعلاً لاسيما الجزائريون الذين احيطوا من سائر جوانبهم بحرب كافرة ساخطة .

ويتصافر المسلمون وتضامنهم في الحق يؤيدهم الله بروح من عنده ويزلزل اعداءهم في كل مكان « والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار » .

شهادة المرأة

بين الإسلام وعلم النفس

للاستاذ

عبد السلام المحراس

أذهب للرجل الحازم منكس ، قلبي
بارسول الله وما نقصان ديننا وعقلنا ؟ قال: اليس تمكت
أحداكن الليلي لا تصوم ولا تصلي ؟ وشهادة أحداكن
على شهادة نصف الرجل .

فتقصان عقل المرأة هو الذي جعل شهادتها غير
مساوية لشهادة الرجل ، وليس هذا النقص عيبا في
المرأة لان المجتمع يحتاج المرأة أغزر عاطفة ، لان مهمتها
تحتاج الى الحنان والشفقة ، فما نقص من عقلها زيد في
عاطفتها ، وهذه الحقيقة يؤمن بها المسلم الذي يعتقد في
عدالة الخالق وفي رعايته لمصالح العباد ، فالقضية اذن
مسلمة من جانب المؤمنين ، لانها مؤيدة بالنصوص من
الكتاب والسنة ، ولكن هنالك من لا يقتنعون بالدين ،
ولهذا سيكون العلم فيصلا بيننا وبينهم ، فماذا يقول
العلم ؟ يقول : ان اجزاء جسم المرأة ينساب بعضها على
بعض ... كذلك نجد انه من حيث تركيبها العقلي لا
توجد عندها فواصل قاطعة بين عالم الفكر ، وعالم
الحس ، وعالم العاطفة ، وعالم الحكم الاخلاقي
والاجتماعي ، فكل هذه النواحي مندمج بعضها في بعض ،
ومضبوغة كلها بصيغة عاطفية ، ووجوب التفريق بين
الرجل والمرأة في الشهادة يتضح فيما يقوله العلماء :
« انه اذا كان منطق الرجل يتميز بنزعة العقلية
الاستدلالية فان منطق المرأة هو في صميمه متعلق
العاطفة ، كما ان المرأة عندما تبدي حكمها على الاشخاص
يكون ذلك من خلال مشاركتها الوجدانية والتعاطف ،
اي انها تحكم حسب ما تشعر به من جاذبية نحو موضوع
الحكم او النفور منه ، وهذا التعاطف يشكل لدى المرأة

سبق ان كتبنا في السنة الماضية عن موقف الاسلام
من المرأة ، وعن علاجه لمشكلتها ، وعن تايد العلم والواقع
للنتيجة التي انتهى اليها الاسلام . وقد كان علاج
الاسلام لمشكلة المرأة مبنيا على ظاهرة موضوعية ، اي
على خصائص كل من الرجل والمرأة ، وعلاقة هذه
الخصائص بالصلحة الاجتماعية ، وذكرنا التعدد
والاختلاف كمثالين لتطبيق الفكرة العامة للإسلام ازاء
المرأة ، والان ، نذكر مثالا آخر وهو موقف الاسلام من
شهادة المرأة ، وسنرى انه كان متمشيا على اساس تلك
الفروق التي ذكرناها مما يحتم توزيع الاختصاصات
وتوزيع الوظيفة الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة .

المرأة كائن انساني تتمتع بالتكريم من لدن الاسلام
لقوله تعالى « ولقد كرمنا بني آدم » وهذا الحق ، او
بالتعبير الاسلامي ، هذه النعمة تجعل المرأة على قدم
المساواة مع الرجل مشاركة له في الكرامة ، فاذا اختلفت
وظيفتها عن وظيفته قلن يكون ذلك سببا في امتياز
احدهما على الآخر .

ولاختلاف الخصائص بين الرجل والمرأة كان
موقف الاسلام من شهادة المرأة موقفا يستجيب لمقتضيات
تلك الخصائص ، فعندما يحتاج القضاء المرأة لكي تكون
شاهدة ، نرى الاسلام لا يضع المرأة كالرجل تماما ، لان
الاسلام دين العدالة باوسع ما في هذه الكلمة المقدسة
من معنى ، والعدالة تقتضي وضع الشيء فيما يستحقه
وعدم اعطائه ازيد مما يتفق وطبيعته او انقص من ذلك ،
يقول تعالى « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم
يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء
ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى ... »

فالمرأة اذن لابد ان تقوى باخرى في الشهادة حتى
لا تضل ، ويفسر الحديث الكريم هذه الآية ، فيقول
رسول الله (ص) ما رأيت من ناقصات عقل ودين

القاعدة الأساسية في فهمها للمواقف الانسانية وتقديرها فمقباسها في الحكم هو ما ينبض به قلبها وتطرد به عواطفها ووجدانها ، فان عدمت تلك المشاركة الوجدانية فانها لن تستطيع تحديد مواقفها ولا تقديرها للموضوع المعروض امامها ...

وبما ان الشهادة تتطلب الثبات ، فانه لا بد من تغيير الموقف اذا لم يوجد ذلك الثبات ، فماذا يقول العلم في ثبات المرأة ؟ : انه يصرح انه من صفات المرأة عدم الثبات عموما ، الشيء الذي يعوقها عن تنفيذ كثير من مشروعاتها ، وهذا راجع لعجزها وعدم قدرتها على ضبط نفسها ومواصلة نشاطها .

والرجل ازاء الموقف يحرص عموما على تطبيق المبدأ ، المبدأ العام ، اما المرأة ، فانها - تبعا لذلك - تختلف ازاءها ، فالرجل لا يستولي عليه منطق العاطفة فيلون حكمه ، وذلك لشخصيته الطبيعية التي تختلف عن شخصية المرأة (اذن هو لا يفكر ازاء هذه الحالة الا ان القانون قد خرق وخولف بينما المرأة لا تفكر الا في مصير فرد معين) .

وقد راينا بعض العلماء ممن تخصصوا في المشاكل الفنية القضائية يؤيد هذه النتائج بمثلها معتمدا على الملاحظة الواقعية المتكررة فيقول : « اذا حللنا نفسية المرأة وجدنا قوتها العاطفية اعظم بكثير من قوتها العقلية ... كما اننا نشاهد في المرأة ضعفا مريعا عندما تبدي شهادتها ، فهي تمثل طباع الطفل تماما ، اذ انها تؤدي شهادتها على ما تصوره لها تخيلاتها الشخصية او بناء على دافع او ايعاز من غيرها ، وكثيرا ما تكون المرأة مصابة بمرض من الامراض العصبية يكون سببا في عدم ثبات شخصيتها ، واحيانا نجد اقوالها في الشهادة يناقض بعضها البعض تبعا لتأثراتها العاطفية والوجدانية المختلفة ، كما لوحظ عليها احيانا المغالاة في اتباع الغير استجابة لعواطفها الخاصة التي تملئ عليها ذلك ، وليس معنى هذا ان الرجل لا يتعرض لذلك ، وانما المرأة اكثر استعدادا لذلك ، ونحن عندما نتكلم عن خصائص كل من الجنسين فاننا نتكلم عن (المثال الوسط) حسب تعبير غوستاف لوبون » .

ولما تقدم ، ينصح بعض العلماء - نتيجة لتجارب علماء النفس - وخصوصا في ايطاليا بان لا يعتمد على اقوال المرأة ، وان لا تؤخذ شهادتها مستلزمة ، فلا بد من

جانب الحذر والبحث عما يؤيد كلامها من غيرها وما وصل اليه العلم في هذه الناحية هو ما يصرح به القرآن الكريم « ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى » وليس الكلام الذي سقنا بعضه سابقا صادرا من فقيه متزمت ، ولا مسلم متعصب ، ولا جاهل مغرور ، وانما هو من رجل خدّم القضاء وخبر مشاكله واشخاصه سنين طويلة ، ومارس كثيرا من الحوادث التي كانت المرأة تقوم بدور الشاهد فيها ، واستطاع - هو وعلماء آخرون - ان يستخلص تلك النتائج التي تتفق مع وجهة نظر الاسلام في شهادة المرأة ، وان كان الاسلام لم يفصل تبرير موقفه ذلك ، ولكن ترك لعلماء الاسلام وغير الاسلام مهمة البحث في تلك المبررات ليصلوا حتما الى تلك النتائج .

ولنقرأ الآن مايقوله العلامة « فيري » في هذا الموضوع ، انه يقول : ان ماوصل اليه العلماء من اختباراتهم العملية ومن القواعد العلمية فيما يختص بموضوع الشهادة عشر نتائج ، منها :

(ان شهادة الطفل ، والرجل العجوز ، والمرأة ، كثيرا ما تبعد عن الحقيقة ، ولذلك يجب الحذر منها وعدم اعتبارها الا اذا تعززت بقرائن وبيانات اخرى) .

وبهذا يبدو جليا ان الاسلام عندما تناول مشكلة المرأة في الشهادة لم ينظر اليها نظرتة للرجل كما تفعل القوانين الحديثة حيث تسوي بينهما على الرغم من حقائق العلم الثابتة ، كما انه لم ينظر اليها على انها كائن مهمل يجب الا يلتفت اليها ولا يسمع الى اقوالها والى شهادتها كما كانت تفعل اوربا سابقا ، فلقد كانت المرأة في القرون الوسطى لا تسمع شهادتها كما تنص القوانين المدنية لذلك العهد ، كما ان المرأة لم تستحق لقب (المواطنة) في القانون الانجليزي حتى سنة 1765 م ويقول « بلاكتون » : « ان القانون قد حرّمها كل حق تقريبا » والعجيب انهم يبررون ذلك بقولهم « ان القيود التي تروح تحتها المرأة يراد بها في الغالب حمايتها وخيرها » . وهذه النظرة متأثرة الى حد كبير بتعاليم الكنيسة حيث كانت ترى ان المرأة شر لا بد منه ، وفتنة مهلكة وانها اقل بكثير من بعض الحيوانات منزلة .

لحقها او انسانيتها ، وتكريم للرجل واعلاء من شأنه ،
وانما روعي في ذلك مصلحة المجتمع الانساني حتى لا
يتعرض في هذه الناحية الى الاختلال والاضطراب ، وفي
ذلك تمام العدل ، وليس للرجل الحق في ان يشعر
بافتخار وامتياز عن المرأة ، لان الكمال في نظر الاسلام
ليس هذا مجاله بل مجاله الطبيعي هو : «التقوى» (ان
اكرمكم عند الله اتقاكم) « لا فضل لعربي على عجمي الا
بالتقوى » .

وهكذا نرى التقاء الدين بالعلم في هذه النقطة ايضا،
وان كان الدين لا يحتاج في تقرير حقائقه الى شهادة
العلم ، وانما نسوق هذه المقارنات لنؤكد نحن لأولئك
الذين ما زالوا يتأثرون بوجهة نظر الحاقدين على
الاسلام من الاوربيين وغيرهم من انصاف المتعلمين الذين
يهاجمون الحقائق عن عجز عن التعمق في المشاكل
الاجتماعية وعن جهل بعلم النفس والاجتماع .

فنحن اذن هنا امام تفريط او افراط ناشئين عن
جهل او تجاهل بحقيقة المرأة والرجل ، وهذا هو
احد الاسباب الكبيرة في اختلال القوانين الوضعية
وخضوعها للاحداث والتطورات ، وان كان التطور احيانا
سنة حميدة ، فهو في بعضها الآخر سنة سيئة ، اذ يكون
علامة الجهل والانحراف والانسياق للظروف بالخصوص
فيما يتعلق بالامور الثابتة كطبيعة الرجل والمرأة ، ولذلك
وقف الاسلام امام هذين الموقفين المريضين موقفا يتسم
بالعمق في فهم الطبيعة الانسانية ويجاد ما يناسبها من
الحلول : (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فهو
لم يحرم المرأة من ان تكون شاهدة ، لان في ذلك افتياتنا
على كرامتها الانسانية التي اكتسبتها بالتصريح القرآني،
كما لم يجعل مكانتها في الشهادة كمكانة الرجل لان في
ذلك افتياتنا على حق المجتمع ، بل اوجد نظام شهادتها
على نحو يتفق وفطرتها وتكوينها وليس في ذلك انتقاص

نظر عمر في اخلاق المومن وبمض غرائزه

روى مالك في الوطا ان عمر بن الخطاب قال كرم المومن تقواه ، ودينه حسبه
ومروءته خلقه ، والمجراة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالجبان يفر عن ابيه
وامه والجريء يقاتل عما لا يثوب به الى رحله ، والقتل حتف من الحتوف والشهيد من
احتسب نفسه على الله .

روحك صائر أرقمى

للأستاذ مستطفي الوزاني

الشعوب الهمها الذي الهمها فجورها وتقواها ان تكره التفاوت العظيم بين الطبقات ، والقت الفطرة في روعها الاثرئاب الى العدل والمساواة والحرية فاذا بالنتائج المفجعة تتوافر والنكبات تترى ، واذا بام تطورت مع الزمان ، تضع يدها على المغربي الحيران المضطهد ، حيران ، لانه لم يهتد الى العلاج ، مضطهد ، دون ان يضطهده الا جهله وفساد الفلسفة التي كان يبني عليها نظرياته في الاخذ بالعزلة ، وغلق الباب في وجه الصحافة والاقوال الحرة ، . واقبل ليل البلاد في ظلمات ثلاث : الجهل والفقر والاستعباد . وكان وجود الليل بشيرا بانفلاق الفجر ، كما ان الزوبعة العاصفة مبشرة بالجو الصحو والبحر الرهو ، لان الاشياء كامنة في اضدادها — كما يقول الصوفية — . ويقول الفلاح المغربي (ان الشتاء يولد في السمائم ، وان الصيف يولد في الليالي) وقياسا على هذه النظرية ، فان الحرية نبتت مع الاستعمار فانه كان صفقة هائلة تنه عنها الغافلون

وجاءت الحرب العالمية الاولى (1914 / 1918) فهدمت اسوار العزلة ، وركب الجندي المغربي السيارة والباخرة والقطار ، وقاتل في كل مكان ، واسر منه من اسر ، فاذا بالجيش المغربي يعود ويحكي مقامراته في البر الكبير وبلاد الفرنجة ، واذا بفريق تعلموا اللغات الحية ، واذا بالاوروبيين يشعرون بالحاجة الى توسيع نطاق اللغة العربية ، فاخذت الافكار تنبه وطفق المقاربة يتحللون من عزلتهم . ولرغبتهم في معرفة شؤون العالم صاروا يلتهمون قراءة كل ما وصل الى يدهم من مؤلفات ونشرات ، فاذا هم في عالم حقيقي لا خيالي ، واذا بهم يتنازلون عن كثير من آرائهم ، كما تتناثر اوراق الشجر في فصل الخريف ، استعدادا للاكتساء بحلة ربيعية جديدة ، وقارنوا بين وضعيتهم

يقول الصوفية ليس المرید بمرید ، ان لم يجد في القرآن كل ما يريد . وقال حكيم قديم « النعمة تاج يبصره من فقدها ، وربما لا يشعر به من يرتع في بحبوحتها ... ومن عرف حقيقة المنة ، وعرف حقيقة نتائج فقدانها فذلك الحكيم الذي اوتي خيرا كثيرا » .

ان لكل كائنة حسناتها وسيئاتها وليس في دار الدنيا حسنة لا تصاحبها سيئة ، ولا سيئة لا ترافقها حسنة ، وانما الحكم للغالب ، والا فان الذهب لا بد ان يختلط باجزاء مجهولة القيمة اما النذرة فشذوذ عارض ، ولقد كنا معشر المغاربة قبل مصيبة الحماية في نعمة الاستقلال والحرية ، فكفرنا بانعم الله ، وبدرنا تبذيرا ، ولم نشكر النعمة با اتخاذ اسباب المحافظة عليها ، فابتلينا بلاء الاستعباد والتبعية ، وباض وافرخ ، وكان غازيا خبيثا ، لم يكتف باستعباد الاجساد ، بل استعمر حتى الافكار ، ودس السم في العسل ، اما عسله فمظاهر الحضارة المحبوبة ، واما السم فاختلاق فرية ان الاسلام ينافي التقدم ، وان لا سبيل لحياة صحيحة مركزة الا بعداوة كل ماهو اسلامي وعربي ، وكان الاستعمار ميطرا في امة مغربية ودیعة ، كان من كفران الذين استكبروا فيها انهم لم يعلموا جمهورها ، ولم يحيطوا الحرية بسياج تتبع الثغرات التي تهاجم منها هذه الحرية ، وبدلا من العمل للقضاء على الحزازات ، والتقريب بين وجهات النظر المختلفة ، وافهام الشعب فيما كاملا بان دينه ودينه في خطر ان لم يقم دعائمه الاجتماعية ويصن حريته واستقلاله بدلا من هذا كله تركت السيادة للانانية الجامحة ، وما خدم الاستعمار شيء كما خدمته الاقطاعية التي شعرت بحاجتها الى الاسناد الجهنمي ، والا فان

ووضعيات الأمم المتقدمة ، فقرروا في واعيانهم الخفية ان يسيروا بالمغرب الى حياة منسجمة مع الواقع الحضاري ، ولم يكن لهم موجه يوجههم .

واحسن ما فعلوه انهم لم يقفوا مترددين ، بل تحركوا بعد ركود واخذوا في المسير لا الى جهة معينة وانما لغاية معينة هي حياة محترمة في اطار محترم : واختلفت تعابيرهم فمن داع الى الرجوع الى سلفية الاسلام ومن صارخ بتطبيق الشريعة على طريقة فهم المالكية ، ومن داع الى التخلص من ربة الدين بالجملة ، ومن مستحسن للنصرانية ، واختلفت التعابير والقصد واحد وهو النهوض والترقي بالمغرب وما كان اختلافهم الا كاختلاف اصحاب التعاريف في تعريفاتهم فبعضهم يرسمه رسما ناقصا ، وبعضهم يحده حدا غير مطرد ولا منعكس ، ومن مجموع التعاريف ستخلص حقيقة المعرف ، ومن جملة الافكار تتكون الفكرة ، حيث ان هنالك نقطة التقاء هي القدر المشترك .

وفي هذا الظلام من الحيرة والارتباك ، برقت بارقة الوطنية المباركة ، ثم اخذت تتألق نجما ساطعا في عبارة موجزة ، وهي التحرر من سيطرة الاستعمار ، فمعها لا يمكن اي نهوض ولا اي تقدم ، وبهذا تحدد المثل الاعلى ولكنه مثل اعلى يمكن الحصول عليه ، ومن شأن الشيء اذا وقع عليه الحصول ان يفقد قوته كالسيارة تقف في سيرها وكالكهرباء يسيطر عليها وكالمحبوبة تصبح زوجة ، وكالطفل يصير رجلا ، فقد تآدت الغاية ونفذت قوة المثل الاعلى ، لكن الاسلام نقل المثل العليا من الدنيا ووضعها في الآخرة ، وجعل المثل الدنيوية وسائل الى غاية لا تدرك ما دام الانسان على قيد الحياة ، وعليه ان يظل عاملا دائما الى ان يلفظ نفسه الاخير ، وما دام المثل الاعلى يطير باجنحة من ذهب في عالم الاحلام فهو طاقة جبارة ، حتى اذا وضع في قفص الامكان شأن اسد البادية يسجن في القفص ، صار هملا وذكرنا من الذكريات ، فمن الحق ان ترتفع الفلسفة المنطقية بالمثل الاعلى الى الحد الذي يستهلك العمر كاملا ، خشية نفاذ الطاقة قبل نفاذ العمر ، وهذا يوجب ان نكون مسلمين لنؤمن بالحياة الآخرة التي يسمو فيها من يتوسلون بجلائل الاعمال في خدمة المجتمع البشري الى ان يتم قصد من مقاصد الاسلام في ان نصطبغ بفكرة اخوة بشرية لا شائبة فيها للطبقية ولا للعنصرية ، وان افضلنا واكرمنا على الله هو اكثرنا استقامة وتمشيا مع قوانين الاخوة في اخلاق متينة وحياة مبسطة مركزة لا حقد فيها ولا حسد .

وان اردنا ان ننتمي الى خير امة اخرجت للناس ، فعلينا ان نبدأ العمل من النقطة التي نشغلها ، دون ان نتقهقر الى الوراء ، فان الله لما اراد بالناس خيرا ، بعث في العرب رسولا منهم يفكر تفكيرهم وينطق لغتهم ، وما كانت لغة علم ولا حضارة ، ورغم ذلك فيها كانت قيادة العالم بما فيه من مفكرين وفلاسفة ومهندسين ، ولم يحتج سيدنا محمد (ص) في دعوته الاسلامية الهائلة القادرة على احتضان البشرية في رفق وطمأنينة الى الانسلاخ عن قوميته ولفته وعقيدته ، بل ارسلها فطرية نقية في اطار لا اثر للتصنع فيه ، وانما اخذتنا الحيرة - معشر المغاربة - بعد اندحار السيطر الاجنبية البغيضة ، لان تفكيرنا في العمل الايجابي لم يبلغ درجة النضوج ، فان التفكير الصحيح لا يوحى مطلقا بالتفكير اللغوي من اللغات ولا لدين من الاديان ، فأحرى به ان لا يتنكر للاسلام والعروبة ، ولكن بقية غشاوة الاستعمار اخفت المعالم الواضحة في ضباب كثيف ، لم يطل امرها حتى سطعت الشمس واتضحت المسالك ، وهذه الغشاوة ناتجة عن مذهب الاستعمار الذي تسيره عقول متحضرة ، في نفوس جشعة جشع وحوش الغاب ، لان الحضارة في الامم ، شأنها شأن الدبابة في الجلد الخشن يسري فيه شيئا فشيئا ، ولن يصل الدبابة الى جميع اجزاء الجلد ، دون بقية من الشيء الا في ايام وعصور طويلة ، وهؤلاء المستعمرون في حضارتهم كالجلد الغير كامل الدبغ ، فاعمالهم في التشييد والبناء من باب الحضارة ، وامعائهم في العنصرية واستعباد الضعاف بقية انسان الغاب ، واذن فالحضارة خير لا شر فيها ، وما يظهر فيها من شر فانه من بقية الهمجية المستترة خلف البدلة ووراء اللغة والفكرة ، ويكفي الاستعمار بدادة سوء نيته في التوجيه ، حيث طبق المستعمرون على سلب الشباب شحنة طاقة الايمان ، فافقدوه وطنيته وحرموه الحماس لدينه ، وعوضوه عن المثل العليا القيمة به ، افكارا لا صلة بينها وبين تاريخه ، وتوهموه تنويما مغنطيسيا لقنوه اثناء احتقار قومه وقوميته ، ففرغ ذلك عقله الباطن فزع النوم المسحور ، وانتقادت جوارحه لانه لا يملك قبلا ولا دبرا ، وعاش في الم نفسي ، وفقد راحة الضمير ، فليس بقادر على ان يعود الى جوه الصالح له من الاعتزاز بمقوماته والتمسك بأرائه تمسك البخيل بماله ، وليس بقادر على ان يتحلل من الخزعبلات التي لقيها اباه اساتذته الاستعماريون فحاول ان يهرب من هذا الالم الذي وضعه في صف الموسوسين ، وود ان لو كان في هناء ضمير رجل الشارع ، حين يتوسل بالصالحين ، ويلتجئ الى المشعوذين ، وهو

مع ذلك راض مطمئن ، لكن تناقض افكاره ، وسوسة ما تلقفه من جو الاستعمار تملكه تملكا تاما ، فلا عجب ان يقبل على الخمر والميسر ومطاردة الفتيات ، لانها مقوماته المادية ، ومفريات الإباحية ، وانما يتجرع هذه الفصص لانه لا يملك قوة تعود به الى احضان وطنه وقوميته ، واذا كان مجلس جدل في الدين او الاجتماع اقبل على الموضوع اقبالا جنونيا ، وبينما تأخذ انت وأخذ انا الموضوع في شيء من قلة الاكتراث اذا به يدخل فيه دخول المتخوف الراجي للامن ، والظالم المؤمل للعفو ، والضال الراجي للهداية ، فما احراك بالعطف والحنان يا شباب المغرب في هذه الفترة العصبية ، فلقد كان شبابنا المتفرنج في ايام الاستعباد ناسيا لنفسه ، منعسا في حماه يخفيه ستار السيطرة الزمنية ، اما وقد جاء الاستقلال ، واشترقت شمس الحقيقة ، وغدونا نسير على الجادة ، فقد تبدلت الأرض - في نظر الغرباء بين قومهم - غير الأرض ، ومن اسهل اليسير ان نقول له : ان العلاج سهل قريب وهو ان تؤمن بمغريبتك ، وتعزز بمغريبتك ، وتعود الى اسلامك ، في نفس حماس رجل الشارع ، وعقلية الرجل المهذب العالم بان الحياة لن تستقر بدون مثل عليا ، منجمة مع واقع الحياة العامة ، غير متناقضة للوضعية الاجتماعية الخاصة ، هذا سهل لمن كان خالي القلب ، غير متسم بآثار الافكار الاستعمارية ، اما الذي امتلا دماغه حتى لم يبق فيه متسع فان تنقية قلبه من الشكوك امر في غاية الصعوبة ، ولطالما علم اخواني راوي في الشعوب المتوحشة وبعدهم عن الحضارة ، فقد حدثتهم ان هنالك فرقا عظيما بين حياة التوحش والبشرية البدائية ، فان الانسان البدائي ورقة بيضاء قابلة لان يكتب فيها كل خير اذا وجدت التوجيه النزيه الرشيد ، اما الوحشية ، فلها قوانينها ، ولها خرافاتها ، ولها سحرها وشعوذتها ، ومن العسير كسر الاباطيل والاوهام لبناء المثل العليا الضالحة ، ولهذا فان الفكر الاسلامي في مجموعه مرن سهل ، لان مثله العليا مركزة متشعبة في كل منحى من مناحي الحياة ، فانه ما كاد المسلمون يسمعون صيحة الاصلاحيين حتى استجابوا وساروا في طريق الهداية .

انه ليس من الحق في شيء ان نزيد شبابنا عقدا نفسية على عقده ، والنفوس البشرية لا تعالج بالعنف ، وقد قال الله سبحانه مخاطبا لرسوله (ص) **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)** فكفى من رمي الشباب بالكفر والالحاد ، فانه في الم نفسي لا يبالي بعد ان ينتصر للكفر ضد الايمان ، وللالحاد دون الاعتقاد

الصحيح ، كالمريض الايس من العلاج يعدد الى الانتحار ولتفرق بالشباب فلا تأمره ولا تنهيه ، ولتتقدم لبناء مجتمع مغربي على اسسه التي بها قيام كيانه ، فلنكن عربا مسلمين في غير تردد ولا هوادة ، ولنتق الجدل مع ابنائنا ، فانهم ان راونا عاملين في بناء متماسك على اسس عتيقة فانهم يقبلون ، وهذا وحده هو الذي ينعش مثلهم العليا ، وينقي من ضمائرهم رواسب الاستعمار الفكري ، ولكن قلما وجدنا ابطلا صرحاء نادوا بالحق في غير موارد ، على اننا بحمد الله وجدنا بالمغرب بقية رزقها الله سبحانه قوة المناعة ، فلم تتلوث بأوبئة الاستعمار ، وان كانت تعيش في جسمها ، وقواها القوى المعين حتى اكلت كرياتها النافعة كل ما خالطها من جرائم الطواغين ، فتحولت الى غذاء ينفع ولا يضر ، قوم اسلم شيطانهم فلا يأمرهم الا بخير ، وكلنا نتذكر الانهيار النفساني الذي كان شائعا في الايام الاولى للاستقلال ، والحيرة الفكرية التي كانت منتشرة بين الشباب ، حتى كانت بعض الاندية تتبرا من العروبة والعربية ، تجاهر الاسلام بالعداء ، الى الحد الذي اخر انضمام المغرب للانخراط الرسمي في جامعة العربية . وما هو الا ان تعين في سفارة القاهرة الاستاذ الطريس ، الذي كان تعيينه في منصبه احدى كرامات مولانا محمد الخامس ، حتى اخذ المغرب ينقذ من داء مركب الشعور بالنقص ، ثم انضم المغرب للجامعة العربية فكان انضمامه لها امينة حقيقة للمغرب الحقيقي ، ورضي عن هذه الخطوة كل مغربي ومغربية ، لان الجميع يعتقد ان الوجود الدولي للمغرب محتاج الى اسناد حقيقي ولا يرتكز على العلاقات المادية وحدها ، فاذا بالمغرب يجد هذا السند في العالم العربي الذي ينتمي اليه المغرب سدى ولحمة ، وكان تعاضد المغرب مع اخوانه اقطار العروبة من خيرة العوامل في قدرته على مجابهة مشاكل سياسية داخلية وخارجية ما كان يستطيع ان يتغلب عليها لولا قوة التأزر الاخوي ، وكان المغرب بدوره قوة ضخمة في بناء الجامعة العربية ، وهكذا يكون التأزر ، ينتفع منه المتأزرون كلهم في نسبة واحدة .

لعل بعض القراء يحسب جعلنا للاستاذ الطريس في صف الاباطال ، بمجرد تحمسه لقضية ضم المغرب للجامعة العربية ، من باب التراشق بالزهور ، والعدر بين لمن تخيل ذلك ، لكن الامر اكبر من هذا الاعتبار ، فان وقوف رجل من رجال الدولة في قضية ما موقفا صارما لا بد ان يكون معتمدا على يقين من رضى الجانب الذي

عامين يؤديان وظيفتهما في الجهاز الحيوي للمغرب .
فتصبح : عربا ، مغاربة ، لا بالقول فقط ، ولكن بالفعل
ايضا اما ثالثة اتفاني القومية واعزها واکرمها وامتنها
فهي الدين .

ان الفترة الاستعمارية افسدت علينا كل شيء
حتى شؤون ديننا ، ولتبدأ في الدين من اسه الاولى ،
واحسب ان علينا في نهضتنا الدينية الى جنب نهضتنا
العربية والوطنية ، ان تشن غارة شاملة لتركيز قواعد
الاسلام الخمس عن طريقة استعمال الطرائق الحديثة ،
والتخاطب الى العقلية الجديدة المتكيفة بما ساد في
عصر انفلاق الذرة ، وغزو الفضاء ، ولقد شاهدنا
الاسلام في بنائه الاول ، فاذا حياة الكفاح المرير في
سبيل تطهير الفكر العربي من الاوثان والازلام وانكار
البعث من فترة الاسلام المكى ، اما تحريم الخمر فانه
احدى عمليات الكمال ، لانه لم يشرع تحريمها الا بعد
فترة استقرار الاسلام في المدينة ، وقد مات قوم
مجاهدين وهي في بطونهم . فعلى الوعاظ ان لا يركزوا
وعظهم في ذم الخمر ، فان تحريمها يحتاج الى صدور
ممتلئة بالايمان ، فليكن عملنا الاساسي في الوعظ والدعوة
للسنة هو العمل على انعاش المعتقدات وتقويتها ،
وايما امرئ قوي ايمانه فانه ينزع عن شربها في اول
ما يعمل .

ان الدعوة الاسلامية يجب ان تقوم اولا على
التقشف والتقلل من الدنيا ، وعلى العمل المنتج ،
ومعنى هذا ان كل واحد منا عليه ان ينتج مائة ، وان
لا يستهلك اكثر من عشرة ، واذا كان انتاجنا اكبر من
استهلاكنا فقد اصبنا هدفا من اهداف الاسلام ، فهو
عمل كثير لفائدة المجموع ، وقناعة الفرد بما لا يزيد عن
الحاجة ، والى جنب دعوة الدعاة يلزم ان يتعلموا
مبادئ العلاج ، ليعالجوا المرضى ، وان يعرفوا العلوم
ليعلموا الجاهلين ، وان يصلحوا بين الناس ، وان
يؤسوا جمعيات للخير ، ومشاريع للتعاون ، وعليهم
ان يكونوا رياضيين جغرافيين ليتدبروا آيات الله ،
وان يسيروا في الارض سائحين ليروا امما اشد منا
قوة ، فاذا كانت الدعوة بهذه الدرجة ، فان المعاصي
سوف تقل جدا ، والمشاكل الاجتماعية ستخف الى حد
بعيد ، وتصبح الجرائم شيئا غريبا قلما يقع ، وعلينا
ان نفهم جيدا اننا اذا اردنا ان تكون السيارة مثلاً تؤدي
وظيفتها اتم الاداء ، صحيحة الاجزاء ، سليمة التركيب ،
سواء في ذلك اجزاؤها الظاهرة او الباطنة ، اما ان نريدها
ان تستعمل آلة عطية في استخدام اغراضنا ، فلنكن

بمثله ، وهذا صحيح مآلا ، ولكنه في حق الطريس غير
منطبق ، فقد وجد عدة دوائر تكره اثاره هذا الموضوع
وتود ان لا تمسه بنفي ولا باثبات ، فاطلقها مدوية ،
وكانت جراحة نادرة في باب الاصلاح السياسي
والاجتماعي ، ولن يقدر على ذلك الا بطل من ابطال
الكفاح الوطني ، وهكذا قبض لهذا البطل ان تكفل دعوته
بالنجاح ، شأنه في ذلك شأنه في القضايا الوطنية التي
امتلا بها تاريخه النقي الوطني ، فاذا بالمغرب كله
يسنده ويؤيده ، واذا به يستحق بذلك من ملكه
وشعبه كل وجوه التقدير والاحلال ، وبموقف الطريس
ومداخلته للامة من المغاربة والعرب تخلص المغرب
من موقف الحيرة ، وسار في طريقه التاريخي ، المتناسق
مع امجاده في الماضي وآماله في المستقبل ، ولنا بطل
آخر ، هو الاستاذ بوسته وزير الوظيفة العمومية
والاصلاح الاداري : فقد وقف موقفا عظيما في ارجاع
المغرب الى شخصيته الحقيقية ، حيث شن حملة
شعواء في سبيل تعريب الادارة بصفة عملية منتجة ،
فكان تصريحه الاول في هذا الميدان قبسا من نور
الهي اضاء جانباً من ظلمة الحيرة التي يخطط فيها
المغرب وهي عملية هدم وبناء في آن واحد ، عملية
هدم ، لانها ستطرد السيطرة الدخيلة من الادارة بما
فيها من دسائس وجرح للكرامة الوطنية ، وعملية بناء ،
لما اشتملت عليه من مسطرة اللغة العربية في ريع عظيم
عزيز من ربوعها ، فاذا مجدنا ابطالنا كان علينا ان نجعل
في صفهم الطريس وبوستة .

ولعل احسن ما استفدناه - نحن مغاربة شمال
المغرب - من الاحتكاك بالاسبانيين ، اننا تاكدنا من
وطنيتنا ، وعرفنا آفة الدعوة الانفصالية : فلقد
شاهدناهم يبذلون في سبيل وطنيتهم كل مرتخص
وغالي ، ففكرنا وعلمنا ان القوم على صواب ، فازداد
حماسنا الوطني ، ورايناهم يشرحون آفات الانفصال ،
حيث كانت الدعوة الانفصالية تهدد بعض الجهات
الاسبانية ، ففكرنا فوجدنا القوم على حق وازددنا
تمسكا بالوحدة القومية ، مهما كلفت هذه الوحدة
من ثمن حتى اذا من الله على المغرب بنعمة الاستقلال ،
كانت وطنية الشمال وطنية ناضجة تمقت الانفصال
الى درجة انها تنكره ولا تكاد تعرفه ، وكانت الوطنية
المخالفة نعم المغرب بالجملة ، فلما جاء الاستقلال
سترت لالة الكراسي العيون عن رؤية نور الوطنية :
وعلى ان نعود الى الوطنية كلنا سواء منا اصحاب
المناصب الكبرى وغيرهم ، وان نجعلها وطنية عملية
فعالة ، مثل ما سيصبح التعريب والعروبة عنصرين

وائقين من اننا سنلقى تعباً عظيماً، فقبل الاستعمال يجب التعهد ، ولن يستجيب المسلمون لما يخاطبهم به خطبائهم من بيان شعب الايمان ، الا اذا استطاعوا ان يحيوا في القلوب نور الايمان ، وعندئذ تكفي الإشارة الخفيفة ، واللمعة العابرة ، ولعل البعض منا حين يقرأ في كتب الوعظ ان رجلاً ماتوا وآخرين غشي عليهم ، وطائفة تابت الى الله التوبة النصوح بمجرد سماع آية او حديث او موعظة حسنة ، لعل اولئك البعض يكادون لا يصدقون بهذا الواقع ، وعليهم لكي يعرفوا السر في ذلك ان يتذكروا ان النفوس التي انقادت ورجعت الى الله بسهولة ، لم يحصل ذلك منها الا بعد مران طويل ، بوسائل متعددة مختلفة ، حتى صاروا لا يحتاجون في تجريب همهم الا الى شرارة مهما كانت ضئيلة من الارحاء بالموعظة والذكرى ، وهذا يفسر لنا شدة اقبال الناس على الخمر والفسوق وبقيّة المعاصي ، في نفس الوقت الذي يكثر فيه الوعظ والارشاد ، فقلما جلسنا مجلساً الا وسمعنا فيه التنديد بتزايد انتشار الفسوق ، فالناصحون الاذكياء عليهم ان يفسدوا الآلة التي تنتج الشرور والفسوق ، وهذه الآلة هي المادية وقلة تعهد الايمان بزيوت الايقان ودهن التقشف والورع ، بصفة تتناول رجال الحكم قبل افراد الشعب ، ولتعلم الحكومات ان الامن العام ، واستقرار الاوضاع لا يتم لهما امر في شعب كله متبلبل الافكار ، نسي الآخرة واغفل المثل العليا في الرحمة والشفقة والاخوة والعمل الايجابي لرفع الآلام عمن لا يقدر على دفعها ، فيجب ان يكون الطب والدواء مجانيين للجميع ، ويجب ان نحارب العطلة ووجوه الخصاصة ، ويجب ان نبحث عن عمل منتج تـمـتـفـل

به الامة جمعاء فيدر عليها الارباح وتأتيها الرفاهية ، واذا لم يكن من رفاه فلا اقل من تقريب جدي بين مختلف طبقات الامة حتى لا يبقى فيها جائع ولا عريان ولا جاهل ولا مريض ، وليست هذه المهمة مهمة الحكومة وحدها ، بل انها مهمة جميع الناس ، فكل واحد منا يخصص جزءاً من قوته للمعوزين ، وجزءاً من وقته لخدمة العاجزين ، وبيتاً من منزله لايواء من لا مأوى لهم ، وعلى الحكومة ان تحدد وجوه الترف للاغنياء ، فلهم اموالهم ، ولكن ليس لهم ان يتظاهروا بالترف الكبير في اللبس والمطعم والسكن ، فان كل وجه من وجوه التفاوت البعيد بين طبقات الامة يخلق العقد النفسية الصعبة العلاج في نفوس الفقراء والمحتاجين .

ان الذين يعالجون المشاكل الاقتصادية عليهم ان يدرجوا في الحساب الاعتماد في جانب عظيم من اعمالهم على نفسانيين يعالجون العقد النفسية بترقيتها من جانب وبازالة الاسباب الرئيسية التي تخلفت عنه من جانب آخر ، فاذا شفي استعيب من امراضه البدنية والفكرية ، فاذا ذلك تنفع الموعظة ، واذا ذلك نجد امة تصيخ لاقوالنا ، لانها اقتنعت بان واعظيها يقصدون توجيهها توجيهاً صالحاً دون ان يكون قصدهم اظهار مخازيها وعيوبها ، ودون ان يكون الواصف قصده ان يتجمل بالقول الحسن ليثبت براءته من العيوب .

لست ادري كيف ذهب بي القلم هذا المذهب ولكنني اعتدت ان اسلس له قيادي ، فيتصل بقلبي ولهما ان يتناحيا في نجوة مني ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

من عناية الرسول بالخييل وترويضها

صح عن الرسول انه قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة وهو مروي في الصحيحين وغيرهما ، وورد عن الرسول في المسابقة بينها « انه سابق بين الخيل التي اضمرت من الحيفاء وكان امدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضر من الثنية الى مسجد بني زريق » وقوله الخيل التي اضمرت كان من عادة العرب اضمار الخيل وذلك بتقليل علفها وادخالها بيتاً كنيئاً تجلجل فيه لتعرق ويحف عرقها فيخفف لحمها وتقوى على الجري .

الإسلام وقوة الدول

للمستاف: محمد الطنجي

والقوة على اختلاف أنواعها عنوان البأس والشدة، وخير ما يتخذه الشعب الذي يريد الحياة الكريمة من عدة، وإبطال الرجال في كل زمان هم أصحاب القوة الذين يسترخسون نفوسهم في سبيل ادراك المجد، وفي التفاني في خدمة المبادئ والقيم العليا. وقد كان للإسلام ابطاله الخالدون الذين لا زالت اعمالهم تملأ سمع الدنيا فقد فتحوا الامم والشعوب بعدة زهيدة، هي عبارة عن افراس واقواس، وسيوف ورماح، وادرع واتراس، وذلك غاية ما امكنهم ان يمتلكوا به امر الله في قوله (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الا ان نفوسهم كانت اقوى عزما واشد حزمًا، فحققوا من المكارم على قدر تلك العزائم، وقد عملوا جهدهم في اتخاذ الخيل، رجاء المثوبة والاجر، والفنيمة والوفر، فكان لكل قادر على اقتناء الخيل مركوبه الجميل يباهي به الاقران، وكان فوق ذلك لامير المؤمنين عدد وافر من الخيول يحمل عليها في سبيل الله ضعفاء المجاهدين، فقد قُـسـرات في كتاب الخراج لابي يوسف انه كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اربعة آلاف فرس موسومة في سبيل الله، فاذا كان في عطاء الرجل خفة او كان محتاجا اعطاه الفرس وقال له ان اعيتته او ضيعته من علف او شرب فانت ضامن، وان قاتلت عليه فاصيب او اصبت فليس عليك شيء) انتهى .

ومن فضل الله علينا وعلى الناس ان عبارة التنزيل التي امر الله المؤمنين فيها باعداد القوة لاعدائهم لم تحد هذه القوة بشكل ولم تكييفها بزمان، بل اناطتها باستطاعة الانسان، وبما يتطلبه ارباب العدو ورد العدوان، من التفوق في كل ميدان، حتى تستقر العدالة وشريعة الحق بين بني الانسان .

الاسلام دين ودولة، وعزة وقوة وصوله، هو دين لانه عقيدة توحيد وتنزيه لله سبحانه، تعتقدها القلوب، وتدين بها لعالم الغيوب، وتنطق بها الالسنه في كل صلاة وذكر، تتركى بها النفوس، فتتجلي عنها كل شدة وبؤس، والاسلام طاعة تعمل بها الجوارح، فتكون مظاهر لكل عمل صالح، والاسلام شريعة تنظم شؤون الحياة، وترفع من شأن المجتمع، فكان لذلك هو القوة الحية في الشعب، والمصدر الوحيد للسلطة الروحية والزمنية .

فقد اكتملت سطوة دين الاسلام بثتى العوامل والعناصر، بوحدة العقيدة، وبالقانون المشترك، وجامعة اللغة وباشتراك المجتمع في مظاهر العبادات والعبادات والتقاليد زيادة على توحيد الاهداف والغايات من الحياة فتوحدت بذلك الوجهة الى الله كما قال سبحانه في امر اهل الكتاب (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) . وهذه الغاية الشريفة هي التي ارسل الله رسول الاسلام سيدنا محمدا عليه السلام لتحقيقها كما قال سبحانه : (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

فكانت قوة الاسلام الروحية التي جمعت قلوب العرب هي اساس دولتهم ومنبع صولتهم كانت القوة في قلوبهم بالايمان وفي ابدانهم بقوة العضلات المكتسبة من القيام باعمال الفروسية وركوب الخيل والمسابقات عليها، وبالتمرن على اعمال الحروب ومباشرتها فعلا في كثير من الاحيان، وكانت القوة في المعاونة من خارج بالنصرة واسداء المعاونة مع كل عامل لخير المجتمع وعزة المسلمين وكرامتهم في الوجود، وقد تكون القوة نابعة من بسذل الاموال في سبيل الغايات الحميدة اذ المال من انفع الوسائل للوصول الى كل طائل .

كبار عاة العالم

محمد
صلى الله عليه وسلم

الأستاذ جورج ربيير
الأستاذ إدريس الكتافي

للمستشرق :
تعريب :

منذ ثلاثة عشر قرنا صنع الاسلام - آخر الاديان التي ظهرت في التاريخ بعد اليهودية والمسيحية - ايضا امبراطورية هائلة فاقت امبراطورية الاسكندر . واليوم لا يزال الاسلام يمثل ثلاثمائة وخمسين مليونا من الرجال موزعين على العالم اجمع . هذه القوة الخارقة النائمة خلال قرون ، والتي تستيقظ موشكة ان تصبح احدي المشاكل العامة للعالم الحديث . هي ثمرة كتاب : « القرآن » . هذا الذي املاه ، مجرد جمال ، لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة . انه يسمى محمد ، ونحن نسميه ماهومي (1).

اسلام يعني : خضوع ، مفهوم ضمينا : لارادة الله ، فالمسلم اصله واحد ، انه الرجل الذي يخضع (2) ذلك انهم 350 مليونا في العالم (ثمن سكان الكرة الارضية ، من رمال الاطلس الى صحراء جوبي (3) ومن المحيط الاطلسي الى جزائر اندونيسيا ؛ يخضعون خمس مرات في اليوم ، كل يوم ، يجددون قيامهم بالخضوع متجهين لنفس النقطة في العالم ، مكة ، ماسين الارض بجباههم ؛ انهم ينتسبون لثلاثين امة ، وعشرين جنسا ، يتكلمون مائة لهجة ، ولكنها في لغة واحدة

هذا الرجل المخيف ، الذي خرج على نفسه هو ، هذا الفلاقة ، يجب ان تراه بوجهه ، وان تفهمه ؛ بالامس فقط كان فلاحا عندنا ، جاني عنب في كرمه ، والآن انه هناك ، ظهره للحائط ، وعيونه طافحة بالغضب ، اي دوار زلزه ، اقتلعه من حقله ، ليقذف به في الثورة ، ثملا لا يحس بأي عنف .

ماذا يوجد وراء هذا المجهول ؟

انه شيء فسيح ، نامض ، لا يكاد يفهم ، انه : الاسلام .

(1) نشرت هذا العرض القيم اكبر المجلات الفرنسية المصورة باري ماتش «Paris Match» التي توزع نحو مليون نسخة ، والمعروفة بنزعتها الاستعمارية ، بتاريخ 11 يناير 1958 . والفضل في نشرها لهذا البحث التزيه - في الجملة - بالنسبة لما تنشره الصحافة الغربية عادة عن الاسلام ، يرجع للثورة الجزائرية التي هي في نظر الفرنسيين ثورة شعب مسلم . ونظرا لاهميته التاريخية ، ورغبة في اطلاع الراي العام العربي على مايقوله كتاب الغرب عن الاسلام ، والحضارة العربية ، والنهضة العربية المعاصرة ، فقد عربته لمجلة « دعوة الحق » التي حصلت على اذن بترجمته ونشره من مجلة « باري ماتش » وعلفت في طرة المقال على اهم الانحرافات والاطغاء التي اشتمل عليها . « المغرب »

(2) لا يعيب المسلم انه يخضع لارادة خالقه ، ولكن يعيبه ان يخضع لارادة النفس الامارة بالسوء .
(3) وتسمى ايضا شامو وهي صحراء متقواليا الكبرى بين سيبيريا ومنشوريا .

العربية ؛ وهم يتجهون بنفس الصلاة لنفس الإله ويخضعون بنفس الروح لنفس القانون الذي ينظم حياة الشخص من الشروق للغروب ، ومن الولادة إلى الموت - وأبعد من ذلك - فانه يدير حياة المجتمع بأسرها .

ان الاسلام ليس ديناً فحسب ، آخر الأديان التي ظهرت في التاريخ ، انه ايضا ، وبصفة خاصة ، مجتمع روحي واشتراكي ، ونظام سياسي ، واسلوب للعيش وكما حدده روئي كروسي : « اخوة تتوارثها الامم والاجناس ، في مجتمع متحد تحت رعاية الله ، لانجاز ارادة الله » ، وهذا منذ 1300 سنة .

وخلف هؤلاء 350 مليوناً من المسلمين الناعمين منذ ثلاثة عشر قرناً (1) ، مفامرة من اعظم مفامرات الانسانية : امبراطورية فاقت امبراطورية الاسكندر ، وحضارة هيات للنهضة ، ودين قام في الشرق ، مقام المسيحية في الغرب .

لقد كانوا في سرقسطة وفي سمرقند ، وكانوا في بوابتي ؛ كانت امبراطوريتهم تمتد من اسبانيا الى الهند ، ومن روسيا الى اندونيسيا ؛ وكان لابد من ثمانية عشر شهراً لقطعها على ظهر الجمال ، وكانت قوافلهم التي تجوب نصف العالم المعروف ، لا تحمل فقط الى الغرب ، الحرير والتوابل وحكايات الشرق ، فبين سيلان كشمير ، وعطور البلاد العربية ، كانت توجد الرسائل الرياضية من الهند ، والتراجم الاولى لافلاطون وارسطو ، والاشعار والمذاهب الفلسفية من فارس . ان الطلبة الغربيين كان يجب عليهم تعلم العربية - اللغة العلمية في القرون الوسطى - لحل رموز رسالة بقراط ، أحد الكتب الستة الاولى التي كانت تملكها كلية الطب بمونبولي .

هذه الامبراطورية المهولة ، مع عواصمها ذات « الف ليلة وليلة » التي تملك كل واحدة منها ما يكفي لمجد مملكة : بغداد مع 27000 من مساجدها وملايينها الثلاثة من السكان . القاهرة مع القصر الذهبي لهارون الرشيد (2) ، و 1 500 000 مجلد بمكتبته ،

قرطبة مع جامعها التي جاء أحد البابوات (3) ليدرس فيها ؛ هذه الامبراطورية ، وهذه الحضارة اللتان غمرتنا العالم ، وفتحتا عهداً جديداً في تاريخ الانسانية ، ان كل هذا خرج من كتاب صغير يتكلم عنه جميع الناس ، ولم يقرأه أحد (4) : القرآن .

هذا الذي املى هذا الكتاب - لا يمكن القول بانه كتبه لانه لم يكن يعرف لا القراءة ولا الكتابة - كان جملاً يعيش منذ 1300 سنة ، في اوحش صحاري البلاد العربية .

كان يسمى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، تسميه نحن ماهومي ، ولكن الرجل كالاسم ، هو من نماذج الشرق .

انه بدوي ، رجل رمال ، روح من نار (5) وفي دمه حرارة هذه الارض المحترقة العربية ، التي يقرعها الله في كل مرة يريد فيها نبياً . ان مكة التي ولد فيها عام الفيل (571 م) ليست الا على بعد عشرة ايام بالقافلة من جبل سيناء ، حيث استلم موسى الواح القانون ، وعلى بعد اثني عشر يوماً من القدس ، حيث اعلن عيسى الخير الطيب ، ولكن سيناء هي الجبل ، والقدس هي بالتقريب ايضا البادية ، ومكة ، انها الصخر المحترق ، الاتون ، لا نهائية الرمال تحت نقمة السماء النارية ، ان مكة هي الصحراء .

ان ابراهيم الباحث عن الارض الموعودة ، قد توقف هناك ، تاركاً ولده اسماعيل على حجرة ، ومن اسماعيل ولد جنس العرب ، ومن الحجرة ظهر الاسلام .

وعندما وضع ابراهيم الطفل على الحجرة - منقطعين ، هذا وذاك ، الى الاله الواحد ، الى الاله الحقيقي - كانت الحجرة بيضاء ، وبعد ذلك بالفي سنة عندما شاهد محمد الحجرة ، كانت قد اصبحت سوداء : « سوداء من جميع ذنوب الناس » ، بيد ان البدويين الناسين لاله ابراهيم ، كانوا قد جعلوا منها هيكل معبودهم ، الكعبة ، حيث يضجون بالجمال والثيران والاطفال - لـ 360 من آلهة ضريحهم الجاهلي .

(1) هذا غير صحيح بدليل ما سيذكره الكاتب نفسه فترجع المسلمين لم يبدأ الا في عصور اخيرة . ولكن ما هي الدولة التي عمرت في التاريخ اطول مما عمرته دولة الاسلام ؟ ! .

(2) كانت بغداد - لا القاهرة - هي عاصمة الرشيد .

(3) يعني سلفستير الثاني وهو الذي نقل الارقام العربية المستعملة في المغرب العربي

(4) يعني من الغربيين .

(5) بل من نور لو كان يعلم .

لسان ، منذ قرون ، حكايات عن التلمود والتسوية والإنجيل ؛ ولكنه كان يحس برغبة كالظما ، يزداد نموها ، وشيئا فشيئا ، أخذ يتعد عن أهله ، ليذهب وحيدا في الصحراء ، نحو الاحشاء المحترقة بجبل حراء ، غير البعيد عن مكة ، فهناك غار تجتذبه اليه وحشته ، يتوغل فيه ويقيم اياما واحيانا اسابيع كاملة ، يعيش وحيدا بالتمر ولبن العز ، ينتظر شيئا لا يعرف ما هو .

وفجأة ، يحدث الشيء ، فعند غروب الشمس ، حيث تكون السماء خضراء ، ورياح الرمل تثير غبار المساء الاكلف ، كان يخرج من غارهِ حينما انقض عليه الشيء الوهاج طارحا له على الارض في سرعة البرق ، وعندما فتح عينيه كانت السماء تتلألأ بالنجوم ، ماذا حدث له ؟ انه مثل كرة من النار تنفجر من الرأس ، ثم شيئا فشيئا يعود كل شيء اليه ، ففي ثلاث مرات كان « حامل الاجنحة » يأخذه من الحلق ويهزه حتى يكاد يختنق ، قال له : « اقرأ ! » ملوحا امامه بطريقة الريبة حيث كانت تسطع حروف من نار (1) ولمرتين تأوه الرجل الطريح نصف مختنق (ما انا بقاري) ولمرتين اعاد الآخر ، « اقرأ » وارتفع الصوت المفزع ، وكل حرف من الريبة توغل فيه كسيف من اللهب : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » وينهض الرجل مفزوعا ، ويرى الى منزله ، ولكن بينما هو يعدو كان الصوت يتبعه : « يا محمد انت رسول الله ، وانا الملك جبريل » .

ليلة الوحي هذه - التي يقع احياء ذكراها منذ 1300 سنة في صيام وصلوات شهر رمضان - هي ليلة القدر ، الليلة المقدسة في الاسلام .

وخلال وقت طويل ، ظل يشك في مهمته (2) ، ولكن خديجة زوجته ، وورقة المسيحي ، هدها من روعه بلطف ، وقالوا له : ان الله هو الذي ارسل اليه الملك جبريل . كان يظن انه وقع فريسة الجن ، عفريت الرمال ؛ وخلال ثلاثة اعوام (3) كان يصمت ، ويختفي ، خجلا من المفارقة التي ذهب ضحيتها ، « متكلما ككاهن ، او ساحر ، هو الذي يكره الكهنة والسحرة » - غير عارف من اين يأتي الصوت ، لم يعد يأكل ، وينام بشق النفس ، وبلغ من ألمه انه كان يفكر احيانا في الانتحار . ما اجمل عنده العودة الى الصحراء وحيدا ، « نحو شجرة العناب » في الساعة التي تضاعف فيها الشمس - او القمر - سراهما ، ان النهار فارغ ، والليل بدون صوت ، واخيرا في ذات مساء ، بينما كان يرتعش من الحمى والضيق ، وقد ترك طريقا على الرمل ، ورأسه مغطى بعباءته ، وعلى حين فجأة ، ابرق « الشيء » تحته مفزعا :

« يا ايها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر » .

ووقف الرجل مستقيما امام الاله ، لقد زال الكرب والشك ، انه يعلم بانه النبي ، وانه يأخذ بمقبض سيف الملك فمن اجل الله ، وبواسطة السيف والنار ! (4) مهمته ؟ انه يعرفها ، انها جلب الفضيحة والخراب الى قبيلته اولا ، ومدينته ثانيا . ماذا يجب ان يفعل ؟ اسقاط الاصنام . واستئصال الوثنيين الذين يكونون الشروة من مكة ومن قبيلته ، مهمته ؟ انها الجهاد ، الجهاد المقدس .

- (1) تخيل الكاتب ان جبريل عندما كان يطلب من الرسول ان يقرأ ، كان يحمل راية كتبت عليها الآية الكريمة بحروف متوهجة ، كان يشير اليها طالبا قراءتها .
- (2) هذا الشك فهم من قول النبي لخديجة : « لقد خشيت على نفسي » فاختلف في معنى هذه الخشية ، وقال الحافظ الاسماعيلي انها كانت قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله .
- (3) يعني المدة التي انقطع فيها الوحي حسب بعض الروايات ، وبعضها يقول انها 40 يوما فقط .
- (4) يريد ان يقول ان الاسلام قام بالقوة ، ولكن في اي بلد وفي أي تاريخ انتصر الحق بدون قوة ؟ واذا كان من طبيعة الانسان ان يذعن للحق بدون قوة فما هي البلد التي لا تحتاج محاكمها الى الاعتماد على قوة الدولة في تنفيذ احكامها ؟ ان القوة التي استعملها الاسلام لم يستعرها من احد ، وانما انبعثت من ايمان المؤمنين به ، اي من عقيدته ومبادئه وحدها .

لم يكن بجانبه الا خديجة زوجته ، وعلي ابن عمه ، وزيد ابن المثنى ، وابو بكر صديقه ، وعثمان زوج ابنته البكر ، هؤلاء الخمسة - اوائل الاسلام - سيكونون اتباعه .

ولكنه وحيد في ساحة الكعبة ، في الساعة التي يتزاحم فيها جمهور الحجاج لاهراق دم الضحايا على حجرة الهياكل ، انه وحده الذي فضح خداع الاصنام واعلن انه « لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله » .

قالوا انه احمق . هل من الممكن ان اعقل الرجال واغناهم في المدينة يصبح هذا المهرج ، هذا الرجل الذي يسقط عن الذعر ، ويتكلم في نوع من الهذيان ويعتبر نفسه رسول الله ؟

ويسخرون منه : « اذا كنت نبيا يا محمد ، فاصنع لنا على الاقل معجزة - كالاخرين - ويجاب : « ان كلاما كهذا الذي اخاطبكم به ، انا الامي ، انا عديم المعرفة ، اليس معجزة ، اكبر المعجزات ؟ »

ويتهمونه بالتدجيل . هذا الاله الوحيد الذي يتكلم عنه ، انهم يعرفونه ، انه هو الذي اخبر عنه جميع الانبياء ، وآياته المصوغة في نثر موزون ، يخطب بها منطلقا في الارض ، واللعاب في الشفاه ، انها « مقاطع » العهد القديم والعهد الجديد التي علمها له هؤلاء الكلاب من اليهود والمسيحيين ، لكي يخلق الفوضى والخراب في المدينة .

ومع ذلك فان حجاجا بداوا فعلا يستمعون اليه ، وبعضهم اخذ يتحول عن الاصنام ، واذن فقد وقعت الواقعة . ان اعيان المدينة يريدون تصفية الحساب مع هذا الشاثر ، هذا العدو العام ، فان صلى على حدة قذفت احشاء الشاة على وجهه ، وان اراد ان يعط بصر في اتجاهه ، ولم يتجرا احد على قتله - قانون الصحراء يمنع قتل رجل من القبيلة (1) - . وقد عامل القرشيون بوحشية هؤلاء الذين يستمعون اليه : الفقراء والمتسولين والعبيد - انهم انفسهم الذين كانوا قبل ستة قرون يستمعون الى عيسى .

وان ما يقوله ، لهو تقريبا هذا الذي قاله عيسى مع هذا الفارق القريب من انه لا يقبل الهوية المسيح ،

اذا كان يقبل ادراكا غير مدنس ، بان الله - الاله الذي اخبر به جميع الانبياء - احد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد ، وليس محمد الا آخر رسله « خاتم النبيين » . ولم يات الا ليذكر الانسان بما اخبر به هؤلاء الذين سبقوه - من ابراهيم الى عيسى - : « كونوا مستقيمين ، اتقوا الله ، تذكروا يوم الحساب الاخير » .

ومع ذلك فانه يشتم ، ويرجم ، ويقبض على اتباعه ، فيمدون عراة على الرمال المحرقة ، رءوسهم تحت الشمس ، وصدرهم تدق بكتلة من الحجارة ، ويتركون الى ان تأتي الكلاب لتنهش عظامهم ، انهم اوائل الشهداء ، اوائل الصالحين في الاسلام ، ان اسم واحد منهم وصل الينا ، كان يسمى بلالا ، وكان زنجيا ، كاد يموت من العذاب والعطش ، لقد سحق صدره ، كان يردد ليل نهار دون ان يشتكي : « الله احد ! الله احد ! »

وكان محمد قد افتدى العبد من سيده (2) وعالجه حتى شفي ، وجعل منه اول مؤذن : الرجل الذي سيظل حتى آخر ايامه ينادي المسلمين الى الصلاة ، خمس مرات في اليوم .

وتضاعف الاضطهادات والامتحانات ، وفي عام الحزن (620) فقد محمد خديجة ، زوجته المخلصة ، واولى اتباعه ، وفي حالة الالم الذي كان يعانيه وقعت له رؤية : المعراج ؛ فقد رأى نفسه محمولا على البراق فرسته البيضاء قاطعا الصحراء ، ومن القدس مرتفعا الى عرش الاله ، انه هناك تلقى اولي الفرائض الخمس - الدعائم الخمس للاسلام : شعيرة الصلوات الخمس اليومية ، حيث يتجه الوجه نحو المدينة المقدسة التي ليست ايضا مكة ، ولكنها القدس « مدينة اله ابراهيم »

ان عنف ايمانه هو سبب انذارات الخطر للقرشيين الذين قرروا قتله ؛ وينجو من عدائهم ويلتجئ الى الطائف - التي طرد منها - ثم الى يثرب (واحة على بعد 400 كم . من مكة) ، المدينة الثانية في الحجاز . وهذا الخروج من مكة الى يثرب التي ستسمى منذ الآن بالمدينة (مدينة النبي) هو الهجرة .

وان يوم 25 شتنبر 622 هذا من التاريخ المسيحي هي السنة الاولى للاسلام . ان عهدا جديدا يتبدى .

(1) ما دام في جوار القبيلة او جوار احد زعمائها ، والا اصبح دمه هدرا .

(2) بل ابو بكر هو الذي اشتراه من امية بن خلف الذي كان يعذبه واعتقه كما هو معروف .

يبتدىء بالجهاد : الحرب المقدسة . ان العدو هو الوثني ، وضد هذا العدو اخذ النبي يلوح بالسيف ويرفع العلم الأخضر للجهاد .

في هذا الكفاح ، الرجل الحنون الحالم الذي هو محمد اصبح شديد البأس (1) ، وليس هو الذي يرمي انه الله (2) ويعد انصاره الثلاثمائة - وهم كل جيشه - بالنصر حيث « الجنة تحت ظلال السيوف » . ويقول لهم : هؤلاء الذين لا يعبدون سيجزون احسن الجزاء ، وسيحملون اسم الصالحين (3) ويقول ايضا : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء ، عند ربهم يرزقون » . ان فقد الحياة معناه ربح الخلود : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة » ، ويقول لهم : ان هذه هي الاقامة في النعيم الخالد ، في « جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها . . » حيث الحور العين والكواكب والاثراب يستقبلن الابطال في ظل النخيل ، اما الجبناء فيذهبون الى جهنم (4) « في سموم وحميم ، وظل من يحموم » .

ان معركته خالصة ، فليست المدن والبلاد هي التي يطمع فيها ، ولكنها الارواح ، وهو يعارض مقدما حملات الاحتلال والسلب من هؤلاء الذين سيدعون القتال باسمه : « ان جندي الله هو الذي يقدم حياته لا للاستثناء ، ولكن في سبيل الله » (5) . وهو لا يريد جنودا مرتزقة بل شهداء .

وعند العودة من كل غزو يكرر : « لقد عدنا من الجهاد : الحرب الصغيرة المقدسة ضد الكفار ، والان يبدأ الجهاد الاكبر : الحرب الكبيرة المقدسة ضد النفس » ان المعركة المزدوجة - الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر - هي التي سيقوم بها اثناء العشرين عاما حيث هو مع قبضته من الانصار ، سيطهر الجزيرة العربية من الوثنية وسيجعل من مكة مأوى الجاهلية ، المدينة المقدسة للاسلام .

وفي المدينة ، كما في مكة ، ظل عرضة لمهاجمات الاعيان الذين القوا ، للقضاء ، عليه ، حزب المنافقين ، وبقوة الدبلوماسية ، نجح محمد في تخفيف وطأة المتعصبين منه ، ومنح البلد ميثاقا حل محل النظام القديم القبائلي ، مصدر الخلافات الدائمة ، وجعل منها مجتمعا الاهيا ، حيث القبائل المتنازلة عن منافساتها المتوارثة ، يجب ان تتعاون وتتبادل المساعدة للدفاع عن البلد (6) وميثاق الدولة هذا هو في آن واحد ديني وسياسي ، انه سلفا القرآن ، فهذه الاخوة تحت رعاية الله ، لرجال متحدين لتنفيذ ارادة الله ، دون تمييز بين الاجناس او القبائل ، هي الاسلام .

وبهاجمه اليهود بدورهم ، رافضين الاعتراف بانه النبي المخبر عنه في الكتب فيقاطعونهم ، ومنذ الآن لن يتجه المسلمون نحو القدس لاقامة الصلوات اليومية الخمسة ، ولكن نحو مكة ، متخلصين من اليهودية (7) ذلك ان المذهب اصبح دينا قائما بذاته : الاسلام .

(1) يستغرب الكاتب ان يحارب النبي اعداءه ، لانه يريد ان يفهم الاسلام كما يفهم المسيحية : من لطمك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر .

(2) يشير لقوله تعالى : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى .

(3) يشير لمضمون آيات في هذا المعنى .

(4) من البديهي ان الاسلام لم يهدد الجبناء بجهنم ، فالجبن ليس جريمة في حد ذاته ، ولكن خيال الكاتب الشعري جعله يحكم على الجبناء بجهنم ، ما دام الابطال يدخلون الجنة !

(5) عبارة مقتبسة من مضمون بعض الآيات .

(6) يشير الى معاهدة « عدم الاعتداء » التي ابرمها النبي (ص) مع يهود المدينة الذين كانوا يتعاونون سرا مع منافقيها ضد المسلمين .

(7) ظل النبي بالمدينة يستقبل بيت المقدس 16 شهرا قبل ان ينزل عليه الوحي بتحويل القبلة الى الكعبة ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب » وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه « وكان الرسول يتمنى هذا التحويل يدعو لذلك متجها للسماء : « قد نرى قلبك وجهك في السماء فلتولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

من الأبار ، ثم يتكلم على نخلة ، يتكلم عن الإله الحق
- إله إبراهيم - إلى الباعة وإلى القوافل .

وفي ذات مساء يقول لأصحابه : « اعملوا لديناكم
كانكم تعيشون ابدا ، واعملاوا لآخرتكم كأنكم تموتون
غدا » (3) ومن المعتقد الاصفاء إلى سينيك (4) .

ولكن عندما « يكلمه الله » فذلك الرعد والصاعقة
حينئذ ، انه يرى شاحبا مرتعدا ، يتفصد جبينه
عرقا ، ثم يسقط إلى الأرض كحيوان مذبحوح ،
ويستلقي على ظهره مزبد الشفاه ، ويفط ب « هذا
الذي يتلقاه » انها رسائله التي يتلقاها عنه اتباعه ،
ثم تنسخ على أوراق من سعف النخل ، او على عظام
كتف الجمال ، والتي أصبحت فيما بعد القرآن .

وهو خارج المعركة ، اكثر الكائنات لطفا ، واكثرها
وداعة ، انه لم ينس قط خديجة ، خديجة النبيلة ،
لقد ترمل بعدها فتزوج اخريات ، بعضهن معمرة مثل
سودة ، وبعضهن صغيرة كعائشة ، والتاريخ يحفظ
اسماء حفصة وزينب وام سلمة وربحانة وصفية وام
حبيبة وميمونة ، وثلاث حظايا منهن مارية القبطية
التي انجبت له طفله الوحيد الذكر ، الذي مات في
سن صغيرة . وفي نهاية حياته يقول : « حبيب إلى
من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قررة عيني في
الصلاة » .

ان النصر يقترب - والنهية .

ان مكة التي يهاجمها منذ سنوات ، تعود في
النهية ، ففي يناير 630 (السنة 8 من الهجرة) كان
محمد راكبا على ناقته يدخل دخولا رسميا إلى مدينة
مولده ، يتبعه عشرة آلاف من الحجاج ، ويزور الكعبة ،
ويامر باسقاط الثلاثمائة والستين صنما ، ويقبيل

وترداد المعركة اتساعا ، وان مكة التي أصبحت
المدينة المقدسة للإسلام ، لا يمكن ان تظل بين ايدي
الجاهلين ، ان فرسان الله سوف ينتزعونها من عبدة
الاصنام . هذه الحرب التي تستمر عشر سنوات ،
انها حرب الصحراء ، الهجوم على القوافل ، السلب
والقتل ؛ ففي بدر ، وفي المدينة معارك شديدة ، ان
جنود النبي المتسابقين في ضراوة (1) مع القرشيين
الوثنيين ، يتصرفون كعفاريت حقيقيين ، ففي نار المعركة ،
محمد نفسه ، المنتصب فوق ناقته ، يستثير الحماس
الحربي لانصاره ، ملوحا بالسيف ، انه الجهاد : الحرب
المقدسة . ولكن عند الرجوع يبدأ الجهاد الاكبر ، المعركة
ضد النفس التي يجب ان يقوم بها المؤمن ليلقى الله ،
الله الذي املى على رسوله « انظمة القتال » هو الذي
املى « انظمة السلام » انه يكرر « افضلكم الذي يبدأ
بالصلح » . - « المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده » - « المسلم من اجتنب ما حرم الله » . ويقول
متذكرا عيسى : « من قتل رجلا فكأنما قتل الناس
جميعا ، ومن انقذ رجلا فكأنما انقذ النوع الانساني »
وايضا : « احسن إلى من اساء اليك تجده قد تغير إلى
حام وصديق » . ولكن عندما يقع الهجوم لاجل الله ،
فان كل شفقة تزول ، فالعلم الاخضر يرفرف ، واسنة
الرماح تتوهج في الشمس ، والدماء تسيل والجرحى
يحضرون ، والاسارى مبتورون بشناعة (2) .

وباستثناء مكة ، فقد فتح لاله الحق جميع
الصحراء العربية ؛ ان محمدا الذي أصبح ملك الرمال
وامير المؤمنين ، يعيش مثل افقر رعاة الجمال ،
لقد رفض ثياب الصوف الرقيقة والخضاب ، ويرى
لابسا جلبابا مستعملا ، وجالسا القرصاء على عتبة
بيته ، يرقع ملابسه ، وفي المساء يذهب لجلب الماء

(1) انه يسمى البطولة والتضحية بالوحشية ، كما يذكر كلمات الذبح والنهب ، ناسيا
انها حرب وغنائم مشروعة . ولذلك اضطرت لحذف عبارات مفروضة او قليلة
الادب من هذا النوع ، لا يستغرب ان تصدر عن كاتب فرنسي لا يجروء ، في نفس
الوقت ، ان يسمى مذابح الجزائر بعمليات التعذيب والتشويه ، وقتل النساء
والاطفال ، باسمائها الحقيقية ، بل ينعتها كزملائه بعمليات « التهذئة » !!

(2) لعله نسي انه يتكلم عن حرب لم تكن فيها قتابل ولا متفجرات ، وانما هي نبال
وسيوف تقتل او تجرح دون ان تبتز الاعضاء في الاغلب . والاسلام هو الذي سن
قانون حماية الاسرى . ولكن الكاتب يريد ان يعرض بان هذه الحرب تتنافى مع
الشفقة والرحمة التي جاء بها الاسلام ، وهو بذلك لا يريد ان يفهم الاسلام الا كما
يفهم المسيحية .

(3) لفظ الحديث غير صحيح وينسب ايضا إلى علي بن ابي طالب .

(4) سينيك احد بلغاء اللاتين ولد حوالي 61 قبل الميلاد ، والجملة في معرض المثل .

الحجر الاسود ، ويحتفظ من جديد بالمقام لعبادة اله ابراهيم « الاله الحق » .

وفي السنة التالية ، كان على راس تسعين الف رجل ، يعود الى مكة ليحتفل فيها باول حجة اسلامية ، ويحدد فيها الشعائر التي لا تزال تطبق حتى اليوم ، من طرف مآت الملايين من المسلمين ، الذين يقومون كل سنة في شهر ذي الحجة بالسفر الى مكة .

وهذه هي حجة الوداع ، ان النبي الذي اتهمته المعارك التي قام بها ضد الوثنيين ، وضد نفسه هو ، كان يشعر باقترب اجله ، كان يوجه وصاياه الاخيرة الى اصحابه ، عاري الراس تحت الشمس ، لابسا كفته ، لقد حثهم قبل كل شيء على البقاء متحدين ، ثم اخذ يذكر بحقوق وواجبات الأزواج ، وابطال الربا ، والاخذ بالثار ، ولمرتبة طالب الجمهور : « الا هل بلغت ؟ » وان المؤمنين الواقفين امام الله (كما هم اليوم حجاج مكة في سهل عرفات) ليهتفون له ، في الوقت الذي كان يرى فيه شاحبا مرتعشا ، وفي رجفة كان الرجل يعلن آخر كلام تلقاه عن الله : « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

ويعود الى المدينة فيقع مريضا - يقسمال بذات الجنب - ويموت بين يدي عائشة ، زوجته الشابة ، وبجانبه فاطمة ، احب بناته اليه ، كان ذلك يوم الاثنين 13 ربيع الاول من السنة 11 من الهجرة (8 يونيو 632) وعنده واحد وستون سنة (1) .

هكذا ذهب هذا الذي كان « اكثر من رجل ، واقل من اله : كان نبيا » لقد مات محمد ولكن رسالة محمد بدأت ، هذه الرسالة هي الاسلام ، والاسلام هو القرآن

ها هو ذا الكتاب ، انه مفتوح على سعته بجانب القبلة (النافذة الرمزية المتجهة نحو الكعبة) في اقدم المساجد الخمسة بجامعة الازهر ، بالقاهرة ، انسا هنا في قلب الاسلام ، ان الازهر هو فاتيكان العالم الاسلامي . ومن هنا منذ الف عام يقوم ثلاثون دكتورا في العلوم القرآنية - حياة كبار العلماء - يجهل

العالم (2) دائما اسماءهم ، بضمان استمرار الاسلام ، وادارة المجتمع الاسلامي بواسطة البحث والتفسير ونشر القانون .

ان القانون هو القرآن ، والقرآن يعني : التلاوة القرآن ليس فقط تورا (كتاب) المسلمين ، انه صوت وكلام الله ، انه عبقرية الآداب العربية ، ولا يمكن اعتباره كعمل ادبي دون المساس بحرمته ، انه نص مقدس « غير مخلوق » ازل الوجود ، تلقاه النبي (3) ان القرآن هو « خطاب الله للانسان بلغة القرب » وتلاوة القرآن هي القربان المقدس الوحيد في الاسلام ، وقراءة آية من القرآن هي توسل ، وهي عشاء رباني ، وبمعنى دقيق : الاتصال بالله .

ان القرآن ، شريعة الديانة الاسلامية ، هو ايضا القانون المدني ، والقانون الجنائي ، وميثاق هذا « المجتمع العالمي الذي تتوارثه الامم والاجناس » الذي هو الاسلام ، انه القانون المدني الذي يوجه في ادق الجزئيات حياة الشخص ، وحياة المجتمع بأسرها . انه دين وحياة يومية ، ايمان وسياسة ، كلها مرتبطة ارتباطا غير قابل للتفكيك في المائة والأربعة عشرة سورة . والستة آلاف والمائتين والستة والثلاثين آية من « كتاب الحياة » هذا ، الذي هو بالنسبة للمؤمن المسطرة المطلقة التي لا يمكن مخالفتها ولا مناقشتها لان كل كلمة من سبعة وسبعين الفا وستمائة وتسعة وثلاثين من الكلمات التي تتألف منها هي كلمة الله .

القرآن انه البازار (4) كما يقول (هوجو) ، فيه كل شيء . ولكن تحت هذه الكثرة وهذا الاختلاط تختفي قاعدة الاسلام : الوحدة . اله واحد ، كتاب واحد ، قانون واحد ، لغة واحدة ، شعب واحد .

ان الاسلام ، آخر الاديان الكبيرة التي ظهرت في الوجود ، هو اكثرها بساطة على الاطلاق ، الاله « الله ، الواحد ، اله ابراهيم » ، هو اله المسيحيين واليهود . عقيدته تتلخص في هذا التأكيد : « لا اله الا الله ، ومحمد رسول الله » وشعائره تعود الى اركان الاسلام الخمسة :

- 1) يعني شمسية ، اي 63 سنة قمرية .
- 2) يعني العالم الاوربي ! والا فاسماؤهم لم تكن في وقت من الاوقات سرية .
- 3) القريب ان الكاتب هنا يقول براي اهل السنة في مسألة خلق القرآن .
- 4) كلمة فارسية الاصل تطلق على السوق العمومية المغطاة في الشرق ، ونقلست للفرنسية لتطلق على المتجر الكبير الذي يبيع كل انواع السلع ، وتطلق عندنا في المغرب على المتاجر الخاصة بالتحف والصناعات الوطنية .

- (1) اقرار العقيدة : الشهادة بالله ثم برسوله .
- (2) الصلاة ، خمس مرات في اليوم ، في اتجاه الكعبة .
- (3) صيام شهر رمضان .
- (4) الاحسان الاجباري « الزكاة » .
- (5) الحج الى مكة .

ان اقرار العقيدة وحده هو المفروض اجباريا ، فالذي ينطق به مرتين (1) امام شهود هو مسلم ، اما الفرائض الاربعة الاخرى فانها تحتوي على تسامح واسع . « اذا تركت الصلاة فتب » - اذا لم تستطع ان تصوم فكفر » . « اذا لم تستطع ان تساعد اخاك ، قل له كلمة طيبة » . « قم بالحج مرة في عمرك اذا كانت وسائلك تساعدك » .

وليس للاسلام كهنوت (رجال الدين) ، فالامام الذي يؤم الصلاة في المسجد ليست له اية صفة كهنوتية و « العلماء الكبار » سادة الاسلام الحقيقيون - هم اجتماعيون وسياسيون بقدر ما هم لا هوتيون . « وعلى كل الاحوال ، ابدل ما في وسعك » .

ان هذه البساطة ، هذه المرونة ، هي التي تفسر النجاح الذي عرفه الدين الجديد ؛ ففي اقل من عشرين عاما بعد وفاة محمد - الذي لم يترك عقبا من الذكور - فتح خلفاؤه ابو بكر وعمر وعثمان للاسلام سوريا والعراق وفلسطين ومصر - وبعد قليل الامبراطورية الفارسية ؛ انها ليست فقط ممالك قام بفتحها هؤلاء « امراء المؤمنين » الاوائل ، والافياء لكلام النبي : انها شعوب اقتلعوها من الوثنية ليقدموها الى الاله الحق ، فبواسطة امم كاملة ، قام هؤلاء ، صيادو الارواح بهذه الانقلابات ، ان كل شعب تكتبه العقيدة الجديدة يمنح للاسلام مع ثقافته ، وعبقريته . وهكذا يتأسس مجتمع روحي شاسع الاطراف ، سوف يصبح بالنسبة للشرق ، مثلما هي المسيحية بالنسبة

للفرب . وخلال قرون سوف تقوم هاتان القوتان - المسيحية والاسلام - بتنازع العالم ، وفي ذات لحظة ، في بواتير Poitiers كان العالم على وشك التراجع ، لو ان فرسان النبي عبروا هذا الخط من الاشجار ، التي وضعتها المسيحية ، ولكنهم لم يعبروه ، لقد اوقفهم ابطال شارل مارتل اقل مما اوقفهم اشجار التفاح وامشاب فرنسا ، فالاسلام ، دين الصحراء ، رد الى الصحراء ، ان المسلمين الذين لا يقهرون ما داموا يجاهدون ابتغاء مرضاة الله ، اخذوا يهينون لسقوطهم ، بفعل انتصاراتهم نفسها ، منذ ان هاجموا « اهل الكتاب » (اليهود والمسيحيين الذين احاطهم النبي بحمايته وذمته) للاستيلاء على اراضيهم واموالهم (2) .

وخلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر - العصر الذهبي للاسلام - كانت امبراطورية العرب عظيمة الاتساع ، فمن الهند الى اسبانيا يعبد نفس الاله ، ويتكلم نفس اللغة ، ويقاطع نفس القانون ، لقد طهر المسلمون الشرق الاوسط كله من الوثنية ، وهم يسودون نصف العالم المتحضر بأشعة الفكر ، بقدر ما يسودونه بقوة الاسلحة . وان كل وثني اسلم لفخور بان يقول انه عربي ، وان يحمل الى الامة (المجتمع الديني العالمي) معرفته وخبرته ؛ فمصر ، وفارس ، والمغرب ، واسبانيا ، تقدم نفسها للاسلام مع علمائها ، واطبائها وفلاسفتها وشعرائها : فابن سينا ، والفزالي ، وابن رشد ، وعمر بن الفارض ، وابن خلدون ، وابن العربي الحاتمي ، « امة وسطا » بقول القرآن ، وان الاسلام بانقاذه لروائع آداب اليونان والروم ، والبنزنيين وفارس والهند ، من الضياع ، وبترجمته ونشره لها ، اصبح المركز الدولي العظيم للثقافة ، فالى جامعات القاهرة وقرطبة وفاس ومراكش ، سيذهب الفرب ليقترب من هذه العبقرية للعصور القديمة التي سوف تزدهر في عصر النهضة (3) .

لقد استطاع الاسلام في ذلك الحين ان ينقش على راس واجهة امبراطوريته : « العالم مسند على اربعة

- (1) تكفى مرة واحدة كما هو معلوم .
- (2) لاشك ان تجاوز حدود الاسلام ، ونسيان مبادئه ، كان السبب الاصيل في تأخر المسلمين ، ولكن الكاتب نسي ان رسالة محمد عامة لا تخص الوثنيين وحدهم وانما تشمل « اهل الكتاب » ايضا ، ولم يهاجم المسلمون هؤلاء الا بدافع نشر الاسلام وليس للاستيلاء على اموالهم واراضيهم ، ولم يحدث هذا الا في حالة الحرب التي يجوز فيها مصادرة اموال المحاربين كغنائم حرب .
- (3) هو عصر الإصلاح في أوروبا وكان حوالي القرن الخامس والسادس عشر .

اعمدة : معرفة الحكيم ، وعدالة العظيم ، وصلاة النبي
وبسالة الشجاع (1) .

ولكن هذه الامبراطورية قد حكم عليها سلفنا ،
فالضليبيون سيتحطمون عليها ، ومع ذلك فستكون هي
التي ستتهار ؛ ان صلاح الدين - المعادل في الشجاعة
والفروسية - سيستطيع سبق سان لوي ، ولكن
الشوط قد خسر ، وافلس .

وافلس خلفاء النبي (2) في مهمتهم ، فلم يعودوا يحاربون
قط من اجل الله ، بل لانفسهم ، ولم يعودوا قط حواريين
وشهداء ، ولكن اجراء ، اجراء لمقامهم ، وقد تنبأ محمد
نفسه بخسارتهم .

ان « الشيعة » ولدت من المنافسة بين خلفاء
النبي ، وقد اخذ النزاع يستمر ايضا بين الهاشميين
سلالة علي ، والامويين سلالة عثمان ، الصهر الآخر
للنبي .

لقد قاد امويو دمشق الامبراطورية الى اوج قوتها ،
فأفريقيا الشمالية خاضعة ، واسبانيا مفتوحة ، ونصف
فرنسا محتل ؛ وفي الشرق ، أصبحت فارس وأفغانستان
والبنجاب الهندية ، والتركستان الصينية ، اراضى
اسلامية ، والاسرة العباسية التي جاءت بعد ذلك تسود
في بغداد نصف العالم المتحضر ، وهارون الرشيد ،
خليفة الف ليلة وليلة ، يتعامل على قدم المساواة مع
شارلمان امبراطور الغرب ؛ ولكن الترف ، والتهاون ،
والمؤامرات ، تقود هذه الامبراطورية العظيمة التي لا
يمكن ان تحكم ، الى حيث تنتهي لتفترس نفسها ،
فالشعوب المفتوحة تتحرر الواحد تلو الآخر (3) ،
والتوائف - القرامطة والمعتزلة والصوفية - والمذاهب
المتكاثرة ، تنجز تفكيك اوصال الجسم الكبير المنهوك ،
وان الاسلام الذي اتقذ العرب من هجوم المنغول ، تبدد
تحت وطأة البرابرة الذين قضوا على سمرقند ودمشق
وبغداد ، وسودوا مياه دجلة بملايين الكتب والمخطوطات
التي رميت فيها . هذا الهيجان العنيف الماضي ، هذا

الشعب ، شعب الفاتحين ، الموقع على ورقة بيضاء ،
ناضج لكل سيطرة (4) ، فسيطرة العثمانيين ستستمر
عشرة قرون (5) وامبراطورية صلاح الدين المهولة
اختفت من العالم .

وخلال قرون ، انه النوم .

ان الامبراطورية العربية لم يعد لها وجود ، ولكن
الاسلام لا يزال ، متفرقا في الصحراء ، عائشا في مخدراته
او في عظمة عواصمه الضائعة ، ناسيا مجده ، يخص على
مضض بوجوده الخاص ، خاضعا لاسياد آخرين ، مطيعا
لقوانين اخرى ؛ ولكن خمس مرات في اليوم تنلى نفس
الصلوات في نفس اللغة ، وتمس الارض بالجبهة في نفس
الساعات مع الاستدارة نحو نفس النقطة من العالم .
ومن بعيد الى ابعد يقام الحج الى مكة ، وكل حاج
يذهب الى مكة يتوقف في القاهرة ، ويقم في هذه المحطة
(خان القوافل) التي هي جامعة الازهر . وهناك ، في
ضمت جامعتهم العتيق ، يجاهد العلماء الكبار ، في خلال
جميع الانقلابات ، للمحافظة على الاستمرار الحسي
للالسلام ، محاولين على الدوام ان يوجدوا الانسجام بين
العقيدة والتشريع والفقه ، وبين مقتضيات الساعة ،
وعاملين على تكوين البعوث : اساتذة ، وعلماء شريعة ،
ومجرد ائمة ، الذين سيذهبون في اطراف الارض
يسمعون الناس كلام الرسول ، وكل حاج يعود لمحلته مع
لقب حاج ، يصبح شيخا لهذه « الخلية » الاجتماعية ،
الدينية ، والسياسية ، التي هي كل الخلاصة الاسلامية

هكذا استمرت ، تحت انقاض الامبراطورية
العربية ، هذه الامة الاساسية ، هذا « المجتمع الديني
العالمي » الذي ظل الحج الى مكة رمزه الحي ، حيث
يجتمع المسلمون كل سنة من العالم اجمع ، دون تمييز
بين العناصر والطوائف والجنسيات او الثروة ، ارجل
حافية ، وجماجم محلقة ، يلبسون اكفانهم ، « كلهم
متساوون واخوة امام الله » .

(1) هذه الجمل وجدت مكتوبة على ابواب معاهد العلم في الاندلس وقد اشار اليها
الدكتور فيليب حتى في كتابه « العرب » .

(2) يعني المتأخرين .

(3) من حكم الخلافة وحكومتها المركزية الضعيفة ، لا من الاسلام .

(4) هذا حكم مفرض ، اذ اثبت التاريخ ان الشعوب الاسلامية قاومت باستمرار جميع
المهاجمين والمسيطرين ، واستقلال هذه الشعوب اليوم اكبر دليل على بطلان ما
يزعمه الكاتب .

(5) مجرد خطأ اذ لم تطل اكثر من اربعة قرون (922 - 1343 هـ 1516 - 1924)

ومنذ ان بدأ الغرب يعطي الاشارات الاولى للانقسام والضعف ، - مع الحملة المصرية وسقوط الامبراطورية النابوليونية - فان الازهر هو الذي دق اجراس يقظة الاسلام .

لقد اراد القضاء التاريخي ان يتجه الامتداد الاستعماري مرارا نحو البلاد الاسلامية ، ويرى زعماء القومية الاسلامية والقومية العربية في ذلك الفرصة لفضح « الاستعمار المسيحي » - « الموجه ضد الاسلام » وايقاظ الوطنية العربية ، مع الامل في تحقيق هذا الحلم الالفي : وحدة العالم الاسلامي .

فبعد الحربين العالميتين ، حيث فقد الغرب الواجهة متخليا عن مستعمراته واحدة بعد اخرى ، خرج الاسلام فجأة من سريته ، وله الآن حليف قوي : النفط . ولكن ... « اله الشقاق » هذا ، ان فرق الفريبيين ، فانه اوقع مرة ثانية في التنازع « امبراطورية المومنين » هذه ، حتى قبل بعثها ، هذه الامبراطورية التي نذرت الى « الشيعة » بمجرد ميلادها .

- ان الاستعمار المسيحي هو عدوك ! يصبح القادة (1) ملوحين بالعلم الاخضر للحرب المقدسة .

ولكن النبي قال : « ليس لك الا عدو واحد : عدو الله ! » ذلك ، ان المسيحيين واليهود - « اهل الكتاب » - لن يكونوا اعداء الله (2)

ذلك الرجل الذي هناك - هذا الارهابي ، هذا الخارج على القانون - هل يعلم ذلك ؟ (3) .

بالامس كان فلاحا عندنا ، جاني عنب في كرمه ، والآن انه هناك ظهره للحائط ، وعيناه طافحتان بالغضب ماذا حدث له ؟ شيء مربع ، ذات مساء ، قال له صوت صادر من اذاعة : « ان اخاك المسلم قد ظلم ، يجب ان تساعد اخاك » .

هذه الكلمات ، انه يعرفها ، انها كلمات القرآن ، هذا الصوت الذي كلمه في لغة صلاته ، انه يعرفه ، هو صوت الله ، وكلام الله لا يناقش ، انه يثني ركبتيه ، ويمس الارض بجميحه ، ويذهب ليقتل - او ليتسبب في القتل - من اجل اخيه المسلم .

لقد اطاع الرجل .

ولكن كان يطيع بنفس الروح ، ويظل مقبلا بين اهله ، لو كان الصوت اسمعه كلام الرسول الحقيقي - مكمل استشهاده بالقرآن بالاستشهاد بالسنة - : « واذا كان اخي المسلم هو الظالم ، يسأل المؤمن ، هل يجب علي ايضا ان اساعده ؟ - نعم ، يجب الرسول ، يجب ان تساعدته بمنعه من فعل الشر » (4) .

(1) يعني الجزائريين

(2) هذه سفسطة من المؤسف ان يلتجئ اليها الكاتب في ختام بحثه القيم ، فالمسلم ليس من الففلة بحيث يعتقد بان المسيحيين واليهود الذين يحتلون بلاده بالحديد والنار ليسوا اعداء الله لمجرد انهم من « اهل الكتاب » . !

(3) هناك فلاقة فرنسي خرج على القانون سنة 1940 وثار ضد المسيحيين الالمان الذين احتلوا بلاده معتبرا اياهم اعداء الله ، رغم انهم من « اهل الكتاب » بل من معتنقي دينه الخاص ، الم يكن الجنرال دو كول في حاجة - هو الآخر - الى ان يعلم ذلك ؟ !

(4) الاستدلال بهذا الحديث مغالطة سخيفة قد تنطلي على الفرنسيين الذين يعتقدون بان في امكانهم تضليل الجزائريين ، ولكن يستحيل ان تنطلي على أي مسلم جزائري مخلص ، فهذا لا يشك في ان الظالم الوحيد والعدو الوحيد في الجزائر هو المستعمر الاجنبي لا المجاهد المسلم .

في مهرجانات القرويين

كلمة وزير التربية الوطنية الأستاذ عبد الكريم بن جلون

مولاي صاحب الجلالة

خصوصا بعد ان اصبح المغرب قاعدة لحكم الاندلس ،
الى الحضارة الانسانية من ابيادي في شتى الميادين ،
وما كان يتوفر عليه المغرب من مؤسسات علمية
ومدارس مختصة .

على ان الرجوع بذاكرتنا الى الوراثة في مثل هذه
اللحظات الميمونة لن يكون مجديا ، بل ولا باعشا على
الافتخار والتنويه ، الا اذا استخلصنا منه عبرا تعيننا
على مواجهة هذه الازمة البشرية الخائفة ، وتمكننا
- نحن المسلمين بصفة خاصة - من التغلب على مختلف
الصعوبات التي تقف دون تحقيق انبعاث ينير امامنا
السبيل في اتجاهنا العام والخاص .

وان اول عبرة يتعين علينا استخلاصها ، ونحن
نشيد بعمل هذه المومنة ، التي يرجع اليها فضل
الاسبقية في احداث النواة الاولى لجامعة القرويين ،
هي ان المسلمين في الوقت الذي كانت تنوق فيه هماتهم
الى تكوين الفرد ، دينيا ، واخلاقيا ، كانوا يعملون ،
كذلك ، على تمكينه من سلاح العمل المثمر ، حتى
لا يبقى عضوا اشل في المجتمع ، وحتى يتأتى له ان
يشارك بعمله الفردي في المجهود الجماعي للامة .
استجابة لقوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى »
اذ ان « كل ما لخلق فيه مصلحة في دينه ، او ما لاغنى
للمرء عنه في دنياه فهو بر وتقوى » كما قال ابن حزم
عند تعليقه على هذه الآية الكريمة في رسالة مراتب
العلوم .

ولعل هذه الظاهرة هي التي جعلت المعاهد
العلمية ، ايام ازدهار ثقافتنا اكثر ارتباطا بالحياة

خلال القرن الثالث للهجرة ، وفي بيئة سنية
سلفية تجعل من المسجد النواة الاجتماعية الاولى
لانثاق حياة اسلامية حقة ، اتجهت همه امرأة مومنة
بسمو الرسالة المحمدية وقابليتها لانتشال البشرية
من ظلام الجهالة ، الى تشييد بناية بسيطة للعبادة
بمعناها العام ، المتضمن لاقامة الشعائر الدينية وتزويد
العابد في هذه الحياة بوسائل عملية تجعل منه عضوا
عاملا في مجتمعه ، قائما بمسؤوليته حق قيام ، مدبرا
على مقارعة كل شرك وضلال وعاملا على اعادة كل
جرثومة من جرائم السفالة والانحلال .

ولم تزل جوانب هذه البناية تمتد ، واشعاعها
العلمي يتسع ، الى ان اصبحت نقطة انطلاق لنشاط
علمي ، عم سائر مرافق المعرفة البشرية ، ومكنت
المدنية المغربية من ان تسهم بحظ وافر في ازدهار
الثقافة الاسلامية وانتشارها ، يوم ان كانت هذه
الثقافة تحمل مشعل الحضارة في العالم اي حينما كان
سائر المتعطين الى العلم مهما اختلفت دياناتهم
ولفهمهم ، يؤمنون العواصم الاسلامية ، لدراسة العلوم ،
والفنون ، والفلسفة بما في ذلك التراث الكلاسيكي
القديم الذي قام الاسلام على رعايته احسن قيام ، حتى
استطاعت اوربا ، مرة اخرى ، ان تفهمه وترعاه
بعد ذلك .

وكيف لا تتجه ذاكرتنا استخلاصا للعبرة
والموعظة ، ونحن نعيش لحظة عابرة مضت عليها مآلات
السنين ، نحو ما قدمته المدينة المغربية الاندلسية ،

الآخر ، رغم اختلاف مظاهرها واسبابها . اذ الهدف واحد متحد الا وهو الرفع من قيمة الانسان والمجتمع البشري الى المكان اللائق بما كرمه الله به ، تمكينا من القيام بما خلق من اجله الا وهو عبادة الله عبادة تامة مطلقة .

وان تشبثكم المتين - يامولاي - بتعاليم الاسلام ، وحرصكم الشديد على ان تحيا امتكم حياة اسلامية صحيحة ، لهو السر في اختياركم للاهداف التي تتوخونها من جميع المشاريع الاصلاحية في ميدان التعليم . فلقد ابت همتمكم الاقتصار على تمكين هذا الوطن السعيد من اسباب التطور والحضارة ، ووطدت العزم على ان تجعلوا ، من هذه الاسباب مطية لاسترجاع مظاهر ذلكم العصر الذهبي للحضارة الاسلامية والثقافة العربية ووسيلة لاشراك المغرب في الجهود البشري لصالح الانسانية وسعادتها ، فليست الصدف وحدها هي التي جعلت عامنا الدراسي هذا يشهد ، في الوقت نفسه ، ميلاد كلية الشريعة بفاس ، ومدرسة المهندسين بالرباط ، بل ان الكل ينجز تنفيذا لخطوة رشيدة محكمة .

وان اقامتكم لهذه الذكرى المباركة في مثل هذا الحفل البهيج الذي استدعيتم له من مختلف اقطار المعمور اقطاب الفكر ، ودعائم الحركات العلمية ، لما يظهر بكامل الوضوح والجلال بانكم قد صمتمت العزم على ربط حاضر امتكم بماضي الاسلام المجيد ، يوم كانت البشرية بجميع عناصرها ومختلف دياناتها تبادل العون في سبيل ازدهار علمي ، ينعم في ظلاله مجموع بني الانسان مهما اختلفت اجناسهم وديانتهم .

فاجتماعكم اليوم هنا - ايها السادة الكرام - هو في الواقع امتداد لهذه التقاليد السامية ، مما يجعلنا نقدم اليكم احمر الشكر على تلبيةكم دعوتنا وحضوركم في هذا المهرجان الذي نامل ان يكون نقطة البداية لحركة تتكاتف فيها سائر قوى الخير من ابناء البشر ، وتساند فيها العزائم الطيبة ، من اجل الذود عن الكرامة الانسانية ، وافرار التوادر ، والتأخي بين بني البشر ، في جو يسوده الامن ، والسلام ، والاطمئنان ، وفي مجتمع تعمه الرفاهية ، والعدل والاحسان .

الواقعية للمسلمين ، تسابير التطورات العلمية ، والتقلبات الفكرية ، بل انها كانت تسبق الاحداث في كثير من الاحايين ، وتبني ، مقدما ، كل الحركات التي من شأنها ان تحقق للفرد السعادة المثلى ، والاطمئنان التام ، وهذا ما ضمن لها الاشعاع والاستثاب حقب طويلة من الزمن ، وحتى اذا ابتعدت هذه المعاهد عن الحياة الواقعية ، اصابها التدهور ، والانحلال فكم من معهد كان مصدرا للعلم والعرفان ، ثم آل الى درجة من الانحطاط ، اذاه اليه خموده واقتصاره على التلقين والترديد ، بينما العالم باجمعه يقطع اشواطا بعيدة المدى في ميدان البحث والاكتشاف والمعرفة .

ولقد كان انعزال المعاهد العلمية عن معترك الحياة مدعاة لهذا الصراع الحاد الذي شاهدنا الوانا مختلفة منه في كثير من الافطار .

واذا كان هذا الصراع لم يخرج في الماضي عن النطاق الجدلي ، فقد بلغ اليوم من الخطورة درجة قصوى اذ ان ابتعادنا عن الواقع سيقضي علينا ، لا محالة ، بالعزلة والركود ، في عالم متحرك متجدد يفرض علينا فرضا تغييرات دافعة تقتضي منا مزيدا من اليقظة ومزيدا من العلم والعمل .

وان مسابرة الواقع الحاضر واعطاءه الحظ الضروري من العناية والاهتمام لا يتنافى مع السهر على استرسال المقومات الذاتية للامة ، فالمحافظة على القديم من جهة ضروري لاسترسال كيان الامة وقيمها اذ فيه يتجسم شعورها الديني ومطامحها الانسانية ، والاخذ باسباب العلم الحديث ومقتضيات التقنية والصناعة لا ينبغي من جهة اخرى ان يتخذ هدفا ومقصدا في حد ذاته بل على انه وسيلة تيسر الحياة وتمكن من وسائل العيش اللائقة بكرامة الانسانية ، اذ هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الفرد المقدر لمؤوليته من القيام بوظيفته الاجتماعية ، في جو تسوده الرفاهية ، والعدل ، والاحسان ، وهذا بالذات ما عمل الاسلام على تحقيقه ، جاعلا من كل مظهر من مظاهر النشاط وسيلة لسعادة المجموع بسعادة الجميع ، ساعيا في تحقيق التوازن بين متطلبات الحياة . فلا قديم ، ولا جديد ، ولا جحود ، ولا جمود ، وانما هي مجموعة جهود واعية يكمل بعضها

مصانع الرجال

للدكتور: سليمان الخزيت

جهة اخرى، واذا اتفقنا على تحديد الغاية في ضوء تاريخنا ذاته فاننا نستطيع ان نتبين طريقنا من الحديث .

سأتحدث اولا عن الغاية ، ما الهدف الذي سعى اليه اجدادنا في مصانعهم ونحاول نحن جهد طاقتنا ان نحكيهم في مصانعنا الجديدة .

الناحية الثانية : الوظيفة ، ما وظيفة هذا المصنع ؟ اهو مصنع يصقل المادة الخام صقلا خاصا يتناول مظهرها ام مصنع يحول المادة الخام في صميمها وفي عنصرها ليتخذ منها مادة جديدة ؟ ما هي وظيفة الجامعة في تكوين الشباب ؟

ثم اخيرا الوسيلة ، ما هي الوسيلة او الطريقة التي نمارس بها الوظيفة لنصل الى الهدف .

هذا الاختصار ملخص هذا الحديث ، ومن عادتي كمعلم قديم ان ابدا بالملخص ثم ادخل الى التفصيل . لندخل معا اذن الى التفصيل، سأحدث اولا عن الهدف، ثم عن الوظيفة ، ولعل حديث الهدف والوظيفة ان يشير الى الوسيلة فنختصر ختام المحاضرة .

الهدف الاساسي من التربية والتعليم هو ان تمر في مراحل ويخطيء من يتصور ان صناعة الرجال في الجامعات يمكن ان تتم مستقلة عما سبقها من مراحل التربية والتعليم، ذلك خداع للنفس عند المعلم، ويخطيء من يظن ان الجامعة في مرحلتها النهائية العليا تستطيع ان تصلح ما افسد او ما اعوج في يد المعلم في المراحل السابقة ، ويخطيء من يظن انه ان ظهر رجل في مصنع الجامعة ، فان الفضل في ذلك يرجع الى رجل الجامعة واستاذ الجامعة ، العملية كلها عملية متصلة الحلقات ، والتربية والتعليم في الجامعة ان هي الا ختام لمرحلة التعليم العام قبل ذلك . وهدف التربية ايضا له مراحل، مراحل تقف عندها الاهداف ويتابع بعضها البعض ،

حديث اليوم عنوانه « مصانع الرجال » وهو عنوان قد يبدو غريبا بعض الغرابة ، ذلك اننا اعتدنا ان نقرن الصناعة بالمادة ، فهناك مصانع نعرفها جميعا تتناول المادة الخام فتصقلها وتحولها صناعة او مادة مصنوعة ، وكلنا يعرف ان المعدن الاصلي يستحيل مادة مصنوعة تتأثر باصلها من جهة وتتاثر بيد الصانع من جهة اخرى . والحديث عن صناعة الرجال حديث قديم جديد ، صناعة الرجال او صناعة الانسان او المواطن رجلا او امراة ، صناعة تختلف بعض الشيء بل قد تختلف كل الشيء عن صناعة الاشياء . هذه الصناعة ساحول ان احدثكم عنها الليلة ، لا حديث الكتب فذلك امره معروف لكثير منا ، وانما ساحول ان احدثكم حديث التجربة ، التجربة الواقعية ، ثم ساحول قدر الامكان ان اتناول هذا الموضوع من وجهة نظرنا القومية في البلاد العربية .

التاريخ يعلمنا اننا بلاد عريقة في صناعة الرجال ، ويعلمنا ايضا ان معاهدنا العلمية قبل ان تتخذ اسم الجامعة وبعد ان اتخذت هذا الاسم كانت مصانع الرجال والنساء من طراز يميزها بين مصانع الرجال والنساء في العالم ، لاننا في المشرق العربي كنا دائما نتناول الخامة التي تكون منها الرجل او المرأة المواطن او المواطنة ، نتناولها لا على انها مادة خام ، ولكن على انها حياة مجسمة في مادة ، وحياة انسانية قبل ان تكون حياة حيوانية . والذي يتابع تاريخ هذه المصانع او يحاول ان يتابع هذا التاريخ يستطيع ان ينسق صفحاته المتتابعة في نواح ثلاث .

الناحية الاولى هي هدف هذه المصانع ، ما الغاية التاريخية من جهة ، والمعاصرة الحديثة والقبلية من

الإنسان يختلف عن الحيوان في نواح مختلفة ، يشترك مع الحيوان في الجسم من حيث انه حيوان يسعى على الأرض ، ولكنه يختلف عنه اختلافات تظهر في مختلف نواحي حياة الإنسان ، الاختلاف الاول في العقل ، الإنسان حيوان ناطق عاقل ، ولكن اختلاف الإنسان في العقل عن الحيوان ليس اختلاف نوع بقدر ما هو اختلاف كم ومقدار . وليس من شك في أن الحيوانات تسير اساسا بالفرزة ، ولكن ليس من شك ايضا في أن الإنسان غير المتعلم يسير اساسا بالفرزة ، وليس من شك ايضا في أن بعض الحيوانات لها قدر من العقل متصل بالفرزة ، وأن بعض الحيوانات يمكن أن تعلمه شيئا ويمكن أن نتفاهم وايه عن طريق ملكة تشبه العقل أو تقاربها ، ولكن الإنسان يختلف في أن الله سبحانه وتعالى وهبه قدرا أكثر كثيرا ، قدرا من العقل أكثر كثيرا مما وهب غيره من الكائنات ، ولكن العقل ليس هو الذي يميز الإنسان من الحيوان التمييز الظاهر ، ولعل كل من اشتغل بالتربية والتعليم أو كل من عاش الحياة ومارسها ممارسة تنطوي على الفهم والادراك الصحيح ، لعله يدرك أن العقل ليس أجل ما يميز الإنسان . عن طريق تربية العقل نخرج البشر من الحيوان ، والبشر لا يمثل الا مرحلة من مراحل الحياة الحيوانية على الأرض ، العقل ذاته قد يجعل الإنسان يتفطن ويسير في اتجاهات معينة يستغل بها الطبيعة التي حوله فيما لا يفيد أو فيما يدمر وامثلة ذلك ظاهرة بيننا ، والجامعات الأوروبية مثلا تعني اشد ما تعني بتربية العقل عند الحيوان الذي نسميه الإنسان ، وهي بذلك تربى البشر ، هدفها اخراج البشر من الحيوان . الشيء الذي يميز الإنسان حقا عن الحيوان ، الشيء الذي ميز الله به الإنسان حقا ، والشيء الذي يحاسبنا الله عليه هو الضمير ، الضمير هو الذي يميز الإنسان ، الضمير هو الذي لا نجد له مثالا في أي حيوان آخر ، ليس هناك حيوان له ضمير يؤنبه اذا اخطأ أو اساء الى غيره ، ليس هناك حيوان له ضمير يعلمه هذا الندم الذي ينطوي على حساب البشر ، على أن يحاسب الشخص أو الفرد أو الكائن الحي نفسه ، الضمير هو الذي يعلمنا خشية الله ، العقل يأذن لنا في أن نرى خليفة الله فاذا ما تأملنا وتفلسفنا فاننا نرى الله عن طريق ما خلق الله على الأرض ، اما الضمير فاننا نغمق به ذات نفوسنا ونرى الله سبحانه وتعالى وقدرته في انفسنا فنخشاه ، هذا هو الإنسان . تربية الضمير هي التي تخرج الإنسان من البشر ، وهدف الجامعات كما عرفناه نحن في هذه المصانع الرائعة التي عرفها العرب في تاريخهم قديما وحديثا . الجامعات وظيفتها ، هدفها الذي يتمثل في

الوظيفة فيما بعد ، هو أن تخرج الإنسان من البشر ، ولعل هذا هو الدرس العظيم . لعله أن يكون الدرس العظيم الذي نتلقاه ويتلقاه العالم وتلقاه الإنسانية كلها عن العرب ، ولكن الوصول الى مرحلة الإنسانية ، هذا الوصول الى مرحلة الإنسانية بمرحلة البشر ليس هو كل شيء بالنسبة للجامعات اذا ما نظرنا اليها على أنها المصانع التي تخرج الرجال لأن الله لم يخلق الرجال متساوين في القدرات ولا متساوين في الاستعداد ، الله خلق الناس مختلفين لحكمة خاصة عنده ، حكمة تلمسها في حياتنا وفي حياة العالم كله ، وفي حياة الإنسانية كل يوم ، هناك نفر من الناس قليل جدا حباهم الله بقدر أوفر من العافية في الجسم بوصفهم حيوان ومن الصحة والنفاد والبصيرة في العقل بوصفهم بشر ، ومن الحساسية في الضمير بوصفهم انسان . هذا النفر القليل في عهود ماضية كان الله يصطفي منهم الانبياء الذين يصطفون اصطفاء من عند الله ، ولكن هذا الزمن انقضى لم نعد في عهد نبوة ، كانت هناك وسيلة أخرى يبرز بها هؤلاء الرجال هي العبقرية ، ولكن العبقرية لا تتوافر ولا تبرز الا اذا اتيح لها الوسط الملائم ، الوسط الذي يملأها فتبرز ، أو الذي يعاكسها ليسيطر عليها فيتجدها فتبرز ايضا ، ولكن اللجوء الى هذه الوسيلة ، وسيلة انضمار العبقرية حتى تظهر يضعنا تحت رحمة ظروف لا نتحكم فيها دائما ، وكثير من العبقريات ولد ومات دون أن يحس به الناس ، وكثير من العبقريات تجدها الوسط فغلبها فماتت أو اتهمت بالمروق أو الجمود ، لذلك فان هذه الوسيلة في ابراز قلة القلة وصفوة الصفوة بالاعتماد على العبقرية لا يفيد كثيرا ، اذن فان الاعتماد على اصطفاء الله للانبياء امره قد انتهى ، فالاعتماد على العبقرية لتبرز امر غير مضمون ، فلم تبق الا الوسيلة الأخيرة وهي اتاحة الفرصة عن طريق هذه المصانع التي تنتقي الرجال وتنتقي النساء تصطفيهن وترعاهن وتهيء لهم فرصة النبوغ ، وفرصة البروز ، وفرصة العمل الناجح في خدمة انفسهم وفي خدمة اهلهم وفي خدمة اوطانهم وفي خدمة الإنسانية .

الجامعات اذن هي مجال اصطفاء الصفوة من الإنسان ، تربية العقل تخرج البشر من الحيوان ، وتربية الضمير تخرج الإنسان من البشر ، والتربية الجامعية الشاملة التي تشمل الجسم وتشمل العقل وتشمل الضمير والتي تهذب النفس وتتناول ناحية التاديب الناحية التي تختلف عن ناحية التعليم ، فالله علم الإنسان ما لم يعلم ، ولكن عند ما جاء الحديث عن الانبياء ، الانبياء لم يبرزوا بالتعليم وحده ، وانما

برزوا بالتأديب (أدبني ربي فاحسن تأديبي) تأديب النفس في الجامعة ، هذا هو الذي يخرج صفوة الإنسان من الإنسان ، أو هو الذي يخرج الإنسان من الإنسان ، هذه هي اذن مراحل فلسفة التربية الجامعية ، واظن انني لست بحاجة اذا او الى ان اذكركم بان تاريخنا وتاريخ مصانعنا تمثلت فيه هذه الاهداف ، اوربا التي يقال لنا قلدوها ، اوربا هذه بمصانع البشر فيها لم تسر في طريقنا ، سارت في طريقها الخاصة قد تكون لذلك اسباب ، قد يكون سر ذلك ان اوربا لم تعرف تربية الضمير للنفس عارة ، اما نحن فنحن موطن الديانات السماوية المنزلة ، وختام هذه الديانات الاسلام الذي قام اساسا وبدا حيث ينبغي ان تنتهي التربية الجامعية ، فبدا بتهديب النفس وبتهذيب الروح وبحساب الضمير للانسان ثم انتهى بعد ذلك الى العقل الذي يتابع تاريخنا الاسلامي الاول ، اذا نظرنا الى الاسلام ذاته على انه الجامعة الكبرى للبشر الذي يريد ان ينتقل من مرحلة البشرية الى مرحلة الانسانية ، اذا نظرنا الى الاسلام على انه الجامعة الكبرى لتلك الصفوة التي تريد ان تجد طريقها لان تتحقق عن طريقها حكمة الله ، المدرسة الكبرى التي تسعى فيها الصفوة لان تخرج الانسان من الانسان في ذات نفسها ، اذا نظرنا الى الاسلام على هذا النحو فانا نرى روعته نرى حكمة الله في انه اختار هذا الدين وارفضاه لنا وارفضاه للانسان ، نرى حكمة الله في انه جعل هذا الدين ختام الاديان التي تربى الانسان وتخرجه من الانسان ، هذه هي صورتنا نحن ، وواجبنا ان تعمقها ، ليس في التربية الجامعية تعليم مدرسي ولا قواعد بيداكوجية ، ذلك شأن المرحلة السابقة التي تعنى بالصفار ، اما نحن في الجامعة في هذا المصنع فتتناول الشباب وهو في عهد النورانية في عهد التفتح في عهد الانطلاق في عهد البحث عن الحقيقة والبحث من وراء ذلك عن الله ، في العهد الذي يبدأ الضمير فيه يستيقظ بعد ان تفتح العقل ، في العهد الذي يسعى فيه كل طالب او طالبة الى ان يحقق في نفسه وعن طريق ذاته اروع ما يستطيع الانسان ان يحققه كمخلوق على الارض .

التربية الجامعية اذن شيء آخر يجب ان نتناولها في ضوء هذا الهدف الفلسفي العميق نحن الذين انعم الله عليهم بنعمة التربية الجامعية ، وانعم عليهم بان يتأملوا هذه المرحلة ان هذه النعمة الكبرى من الله سبحانه وتعالى علينا ان نحقق عن طريقها آياتنا في الارض ، هذه النعمة سيترتب عليها حساب عسير ، لست اشك في اننا سنكون اول من يحاسب في الآخرة ، ولست اشك في ان حسابنا سيكون عسيرا ، ولولا لطف الله لاصابنا ما اصابنا في ديانا وفي آخرتنا ان نحن قصرنا ،

صحيح ان علينا ان نسعى لكشف عن الحق وعن الخيرو عن الجمال في ابداع الله في هذا الشباب الذي هو فيء بين ايدينا ، ولكن السعي وحده لا يكفي ، علينا ان نؤمن بهذه الرسالة فالإيمان اساس النجاح ، الأستاذ الذي لا يؤمن بالله ولا يؤمن بحكمة الله في الخير ولا يؤمن بان لهذا الشباب رسالة ولا يؤمن بان هذا الشباب ورسالته هو امانة في عنق الأستاذ ، هذا الأستاذ لا يصح ابدا ان يؤذن له في ان يتولى التربية الجامعية ، فالمسألة اذن - وهذا ينقلني الى الوظيفة - ليست مجرد وظيفة تؤدي ، ليس الامر مجرد ان تقيم قاعة او قاعات او معملا او مختبرا ثم تأتي باي استاذ ليعلم ويربي ، شأن الجامعة اذن في هذه الحالة لن يختلف عن شأن المدرسة العالية او المدرسة الثانوية ، فيكون الامر مجرد تعليم لا تربية ، وفرق كبير جدا بين التعليم والتربية ، التربية هي التي تتناول الانسان في مجمله ، في جسمه ، وفي عقله ، وفي ضميره ، وفي ادب نفسه ، اما التعليم فيقف عند العقل ، لا يتطرق الى الضمير ، وبعض الناس يتصور خطأ وتغلا عن بعض معاهد اوربا الجامعية اننا نستطيع في الجامعة ان نكتفي بالمختبرات او ان ندرس المادة ، او ان نربى الشخص على ان يكون صاحب حرفة ممتازا فيها دون ان يكون صاحب روح ، ذلك خطأ كبير ، وذلك لا يساير تاريخنا ولا يتفق معه ولا تقاليدنا ولا ينمي هذه التقاليد ولا يثبت جذورها في الارض ليكون اصلها ثابتا ويرتفع فرعها الى السماء ، تربيتنا الجامعية اذن مختلفة كل الاختلاف ، وظيفة الجامعة عندنا في عالمنا العربي وبحكم اسلامنا وبحكم رسالتنا في الارض وبحكم ان الله تعالى جعل منا خيرة امة اخرجت للناس ، تعليمنا الجامعي وتربيتنا الجامعية يجب ان تسير في الطريق الشامل ، وظيفتنا ان تتناول الشباب في كله لا في اجزائه ، تربيتنا الجامعية يجب ان تكون تربية شاملة ، ولكن يسبقها ان يربي الانسان نفسه قبل ان يتصدى لتربية الآخرين ، هذا سر الأستاذ الناجح ، الأستاذ الذي اذا نصح تلميذه بشيء اخذ به قبل ان يتصدى الى النصيحة ، اذا نصحه ان يقرأ وان يستزيد من العلم وجب عليه ان يستزيد من العلم قبل ان ينصح الطالب ، اذا نصحه بان يحاسب نفسه على ما افاء الله عليه من نعمة وجب عليه ان يبدأ نافعا او جامعا للخير لنفسه ، هذا الأستاذ يجب ان يبدأ بحساب نفسه هو ، اذا طلب الى الطالب ان يكون في خدمة غيره من الناس وان تكون حياته حياة تقوم على الاشارة لا الاثرة ، وان يكون نافعا لغيره قبل ان يكون نافعا او جامعا للخير لنفسه ، هذا الأستاذ يجب ان يبدأ بذاته ، هذا الأستاذ ان بدأ بذاته فانما هو يسمى الى نجاة نفسه ، هذا الأستاذ في الجامعة لم يبلغ ما بلغ الا بفضل

ميدان رعاية الصحة الاطباء وغيرهم ، تقودها في ميدان التربية والتعليم الاساتذة ، تقودها في الميدان الجامعي البحث العلمي الذي هو من اخص خصائص الجامعة ، هذه قلة القلة ، نعمة كبرى بالطبع ان ياخذ الانسان فرص غيره في الحياة .

احب ان اعترف بين يديكم اني اخذت فرصة ما لا يقل عن ألفي فرد من المواطنين في الوطن الصغير في الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة اخذت هذه الفرصة منهم ، لم تتح لهم واتيحت لي لاستزيد من العلم ولتتاح لي فرصة التأمل في خلق الله وفي نفسي ، ولتتاح لي الفرصة لاعرف تاريخ امتي وتاريخ الانسانية ، ولتتاح لي الفرصة لاحكم حكما مستنيرا وحكما يحدده العقل، ولكن يحدده ايضا وبوجهه الضمير، هذه الفرصة نعمة كبرى ، ولكن هذه النعمة قادرة على ان تنقلب بلاء وشقاء ، معناها انني على الاقل ساحاسب كما يحاسب امثالي اي اخواني المواطنين يوم لا ينفع مال ولا بنون ، سيكون الحساب عسيرا ، والاستاذ الذي يريد ان ينجو بنفسه في الجامعة هو الاستاذ الذي يحاسب نفسه في الحياة الدنيا قبل ان يحاسبه الله في الآخرة ، هذا حديث قديرو حزيننا، اوحزينا ! (1) ولكنني ان كنت صادقا فيه بيني وبين نفسي فاني لاحب ابدأ ان ينطلق الحزن من نفسي اليكم ، وانتم ليس لكم ذنب لاني لم انتزع فرصة الاخذ منكم ولم ينازعني احد منكم فرصتي .

اردت بهذا ان انتقل الى اننا اذا اردنا ان نمارس في الجامعة وظيفة الجامعة بمفهومها العربي الاسلامي الذي هو اقرب المفاهيم الى الانسانية، والى تحقيق كلمة الله في الارض ، اذا اردنا ذلك فيجب ان نبدأ بالاستاذ، اذا اردنا ان ننشئ مصنعا ، مصنعا للرجال ، مصنعا يخرج الانسان من الانسان او على الاقل يخرج الانسان من البشر ، فيجب علينا ان نبدأ بالاستاذ ، ولن تقوم قائمة لجامعة ليس فيها شيخ او استاذ ، هذا هو الاساس وهذه نقطة البدء ، اذا ربينا الاستاذ حقا ، اذا وجدنا من الرجال من يقومون على هذه الصناعة حقا في مصانعنا فاننا نضمن النجاح للجامعة ، وهذا ينقلني الى امل آخر هو جامعاتنا الحديثة .

في جامعاتنا القديمة كنا نحصل على اساتذتنا من بيننا ، كان شيوخ تلك الجامعات في القرويين وفي جامع الازهر وفي الزيتونة وفي غيرها من المعاهد ، معاهد الدراسة كانوا عربا ومسلمين ، كانوا منا ، جامعاتنا

الاخرين ، الا انه اتاحت له الفرص متجمعة حينما حرم غيره منها ، فتصوروا ان التعليم الجامعي ومن يصل اليه تسبقه مراحل ، المرحلة الابتدائية يقدر ان سبعة عشر في المائة من ابناء امة هم الذين يجب ان تتاح لهم فرصة التعليم الابتدائي لخمس او ست سنين ، فاذا كانت هناك امة مثلا تعدادها عشرة ملايين ، فهذه الامة ، فيها على وجه التقريب مليون ونصف يجب ان يكون في المعاهد الابتدائية ، وما اظن ارضا عربية واحدة بلغت فيها نسبة التعليم الابتدائي هذا القدر الملائم ، كلنا في البلاد العربية لانتج الفرصة لجميع الصبية ان يدخلوا المدارس لاسباب مختلفة قد ترجع الى قدرة الدولة وقد ترجع الى سوء تصرف الدولة ، يجب ان تكون صرحاء مع انفسنا فالعلم يعلمنا الصراحة والصدق ، ولا يجوز حين نتصدى لحقائق كالتي ساعدتكم عنها ان نخفي الحقائق لان هذا لا يتلاءم وطبيعة الاستاذ ، اذن هناك جانب كبير من الصبية تضيق عليهم الفرصة لايتعلمون لا لذنب جنوه ولكن لان الظروف لا تواتيهم قد تكون بينهم كفايات تولد وتموت قبل ان تتاح لها الفرصة ثم من هذا العدد خمسة عشر في المائة من المليون ونصف المليون تتاح لها الفرصة للانتقال الى التعليم الثانوي الى المرحلة الوسطى في تعليمها العام او في تعليمها الفني ، تعلم الحرف وغيرها ، فاذا كانت الامة تعدادها عشرة ملايين فستكون نسبة من يصلون او يجب ان يصلوا الى المرحلة الوسطى اكثر من مائتي الف، وما اظن بلدا عربيا قد بلغ هذه النسبة فهناك اذن من هذه القلة خمسة عشر في المائة من خمسة عشر في المائة ، هذه القلة لا تحصل كلها على فرصة التعلم في المرحلة الثانوية او الوسطى ثم من هذه القلة تخرج قلة القلة ، خمسة عشر في المائة اخرى من الخمسة عشر في المائة ، من الخمسة عشر في المائة من الاصل تبلغ المرحلة الجامعية ، فمن العشرة ملايين يبلغ حوالي ثلاثين الفا الى الجامعة او المرحلة العليا في الجامعة او ما يعادلها من المعاهد ، وما اظن بلدا ايضا عربيا اتاحت فيه هذه الفرصة ، اذن هناك تنازع ، ثم من قلة القلة خمسة عشر في المائة ، من الخمسة عشر في المائة ، من الخمسة عشر في المائة ، من الخمسة عشر في المائة ، من الخمسة عشر في المائة ، على مرحلة اتاحة الفرصة للصفوة ، الصفوة التي نخرج بها الانسان من الانسان ، صفوة انسانية في هذا المجتمع الصفوة التي تبلغ مرحلة الاستاذية او مرحلة القيادة ، تقود الامة في كفاحها وفي حياتها ، في مختلف النواحي ، تقودها في ميدان الانتاج مهندسين وغيرهم ، تقودها في

(1) بتشديد الياء المكسورة ، يريد المحاضر نفسه

هذا الطالب ، نمتي جسمه وعقله ، ونحبي ضميره ، ونؤدب نفسه ، ولكننا الى جانب ذلك نريد ان نخرج منه الى جانب الانسان الفاضل مواطننا صالحا ، نريد ان تكون عمليين ، فهذا المصنع لا يتناول الافراد ولا يتناول هذه الصناعة لغائده ، هواية لوجه هواية ، انما يتناول هذه الصناعة لغائده ، العلم الذي لا يفيد ليس علما يحقق رسالة الله في الارض ، العلم يجب ان يفيد ، يجب ان يفيد صاحبه ويجب ان يفيد الناس ، وهذا ما يجعل تربية الطالب في هذا المصنع تتجه اول ما تتجه بالنسبة لظروفنا الحالية الى تكوين ما نسميه المواطن الصالح .

ولاحاول ان انقل اليكم صورة بسيطة جدا عن مفهوم هذا المواطن الصالح في رأبي وفي تجربتي التي اسير عليها الان في جامعتي الناشئة ، العلم يستطيع ان يعقد الامور وان يجعل التعريفات صعبة المفهوم ولكن هذا ليس علما انما القدرة العلمية حقا هي في التبسيط ، وكلما كانت الامور بسيطة كلما اصبحت في متناول الناس جميعا ، المواطن الصالح في رأبي هو بكل بساطة المواطن الذي يعطي امته اكثر مما ياخذ منها ، لايد لكل مواطن من ان ياخذ في الحياة قبل ان يعطي ، ياخذ اثناء طفولته من امه اولا ثم من ابيه ثم من اهله ثم من المجتمع المدرسي ثم من الدولة ، وقد ياخذ من الانسانية كلها ان اتيحت له الفرصة ، ولكنه حين يبلغ اشده ويبلغ مرحلة الرجولة يجب ان يبدأ العطاء ، ويجب ان يكون العطاء اكثر من الاخذ ، انا اخذت فرصة الفين فيجب ان اعطي على اقل تقدير الفين فرصة لاشخاص ليلقبوا ما بلغت اذا اردت ان اكون انسانا نافعا في الحياة . علمني اهلي لانهم كانوا اقدر من غيرهم على تعليم ابنائهم ، وعلمتني الدولة لانني نشأت في دولة سمحت ظروفها بذلك ، انفق علي المجتمع ورعائي ، ثم اعطاني عملا طويلا قد يكون متعبا من ناحية الضمير ولكنه مريح من ناحية الجسم ، اعطاني عملا ويعطيني مرتبا ويعطيني مكانا مرموقا ، يحترمني للاميليدي وتقدرني الدولة ويحبني الناس وهذه كلها نعم مضاعفة ، فخرجت بي هذه النعمة من النطاق الضيق الذي اعمل فيه الى نطاق واسع ، خلقتني الله في امة عربية يمتد وطنها الكبير من الخليج الى المحيط ، ويتألف الناس فيها ويقدر بعضهم بعضا ويحب بعضهم بعضا ، هذه كلها نعم كبرى لم تتح لغيري من الاساتذة في اجزاء اخرى من العالم ، علي اذن ان ارد الجميل مضاعفا ، علي ان ارده لاهلي ، وعلي ان ارده لوطني الصغير ، وعلي ان ارده لوطني الاكبر الوطن العربي الكبير . صدقوني انه ما ضر الامة

الحديثة مضطرة اضطرارا الى ان تنقل العلم الحديث من الخارج ، لا نستطيع ان تقاطع هذا العلم لان فيه نفعا لنا ، لا نستطيع ان تقاطع العلم الاجنبي عنا ، العلم الحديث ، ولا ان تقاطع اهله ، لا بد لنا من ان ننقل عن اساتذة الجامعات في الخارج ، اما ان ننقل عنهم نقل الكتب عن طريق القراءة ، واما ان ننقل عنهم نقدا نقل الاتصال الشخصي عن طريق ايفاد البعثات الى الخارج لتتعلم في جامعات اوربا ، واما ان ننقل عنهم عن طريق نقلهم هم الى جامعاتنا ، فلا شك في ان هذا امر ضروري للغاية ليستقيم المصنع ويستطيع ان ينتج وان يعمل ، وان يعمل في خبرة لان الامر في الجامعات - وقد اكون انا احدكم حديث خبرة - ليس امر ارتجال وانما هو امر خبرة طويلة واعداد طويل وعمل شاق ، ولكن جامعاتنا اذا بقيت عند هذا فانها لن تستطيع ان تضيف جديدا الى ما خرجت به على العالم جامعات اوربا ، ونحن نعرف ما خرجت به تلك الجامعات على العالم ، الجامعات التي عنت اول ما عنت باخراج البشر من الحصون ، الجامعات التي وقفت او وقف اغلبها عند ذلك . لن نستطيع ان نبلغ غاياتنا ، ولا ان نحمل رسالتنا ، ولا ان نحقق كلمة الله في الارض ، لن نستطيع ان نفعل شيئا من هذا اذا ما اعتمدنا اعتمادا كلياً على اساتذة مستوردين او على علم مستورد ، او على كتب تقرأها ، او على آراء نستجلبها من الخارج ، اننا يجب ان نضع خطتنا وان يكون تخطيطها في انشاء هذه المصانع تخطيطا عريضا اسلاميا ينبع عن ذاتنا ويرامى ظروفنا ويستجيب لاحتياجاتنا ، ويحقق اهدافنا في الحياة ، يجب ان تكون جامعاتنا عربية ، يجب ان يكون القوام الاول للاستاذية في جامعاتنا الحديثة هو الاستاذ العربي .

ولانتقل من الاستاذ الى الطالب ، وليس احب الى نفسي من ان اتحدث عن الطالب ، اؤكد لكم انني انفعل امامكم الان انفعالا عميقا حين ارى بعض هذه الوجوه التي هي وجوه المستقبل ، الطالب ، ليس احب الى الاستاذ من ان يرى احد فردين احسن منه في الحياة ابنة وتلميذه ، هذه حكمة الله اودعها انفسنا ، والاستاذ الصادق مع نفسه المستجيب لحكمة الله فيه هو الاستاذ الذي يحب دائما ويعمل دائما على ان يصبح تلميذه خيرا منه في الحياة خيرا منه بكل معاني الكلم ، خيرا منه عقلا مصقولا صقيلا ، خيرا منه ضميرا حيا ، خيرا منه ادبا في النفس ، الطالب نريد ان نعلم فيه هذه النواحي المختلفة وان نصقلها ، لا صقل اوربا السذي يتناول المادة في ظاهرها ، ولكن صقل الاسلام وصقل العروبة الذي يتناول المادة من الداخل ، نريد ان نصقل

امته ، انما يجب ان نربيه على اساس العطاء على اساس ان يكون مواطنا صالحا حقا ، هذه هي الوظيفة فلننتقل الى الوسيلة ، ما وسيلتنا في هذه المصانع حينما تتناول الرجال حينما تتناول الشباب من البنين والبنات وهم ذخيرتنا وعدتنا للمستقبل ، ما الوسيلة ؟ الوسيلة يجب ان تكون صورة منعكسة من الهدف واننا اذا اردنا ان نحقق الهدف فيجب ان تكون الوسيلة مكافئة له ، من هدفنا ان نربي جيلا نعيمنا صحيجا ، فالجامعة يجب ان تتناول الطالب في حياته الجسمية ، الملاعب التي ننشئها للرياضة البدنية هي جزء من كيان الجامعة ، وقد تعجبون اذا ما ذكرت لكم انني في جامعة اسبوت انشأت الملاعب الرياضية قبل ان انشيء شيئا آخر ، هذا هو اساس التربية ، عتيت بتغذية الطلاب لان كثيرا منهم فقراء من بيئة فقيرة على حفظ كبير من الذكاء ، ويعوق ذكاءهم عن ان يتطلق من قلة اليد في التغذية ، شاعرين بهذه الناحية ، الحياة المريحة حياة الطالب في الجامعة حياة الاروقة التي عرفها اجدادنا حين اقاموا المساكن للطلاب وحين اجروا الارزاق على الطلاب ، وحين هياوا لهم فرص الحياة المريحة نوعا ما ليستطيعوا ان يفرغوا للعلم .

هذا اساس عرفه اجدادنا ويجب ان نعرفه في جامعاتنا الحديثة في هذه المصانع ، وسيلتنا بعد ذلك ان نربي العقل لنخرج البشر من الحيوان ، هذا الحيوان الشاب الذي تحسن عشرته والذي حين نختلط به في الجامعة نحس اننا عدنا شبابا ، هذا الشباب له عقل متفتح في هذه المرحلة لا بد ان نفتح هذا العقل على منافذ الخير ، لاننا ان لم نفعل ذلك فانه سيتفتح بنفسه وقد يتفتح على نوافذ لا تؤدي الى خير .

العربية والامة الاسلامية شيء كما ضررها ان المواطنين والمتعلمين منهم بصفة خاصة لم يكونوا مواطنين صالحين تقوم حياتهم على العطاء بعد ان قامت على الاخذ في الصغر ، حاول كل منا ان ياخذ اكبر قدر ممكن في الحياة ، اصبحت فلسفة التربية والتعليم في بيئتنا العربية في وقت من الاوقات فلسفة منعكسة ، يعلم الرجل ابنه لا يعمل وليتبع وليخدم الناس ، وانما يستغل المجتمع عن طريق التربية والتعليم ، يستغل غيوره ، ليعيش حياة هيثة لينة ، ليتوب الله عليه من الشقاء في عبارة واضحة ، هذه فلسفة معكوسة ، قلب التنمية نقمة ، ليس هذا اسلام - اؤكد لكم - وليس هذا عروبة تقوم على الشهامة التي نعرفها والعطاء والبذل ، انما هو لون من الوان الكفر بنعمة الله ، وهو لون من الوان الكفر بالعروبة وتنمر لها . ليس هذا تربية ولا هو تعليم ، انما يجب ان نربي في الجامعات المواطنين الصالحين ، وما احوج مجتمعنا هذا الى العطاء لانه اذا ما حاول كل منا ان ياخذ اكثر مما يعطي فلن يكون هناك شيء يعطي ، سنستنفد قدراتنا وسنستنفد خيرائنا وستبقى غالبية عظمى من شعبنا العربي لاتجد ما تاخذ لان كل شيء يؤخذ منها اخذا ، والمتعلم اقدر على ان يستغل غيره من الجاهل وبذلك تصبح الجامعات على الامة العربية بدلا من ان تكون لها .

هذه وظيفة الجامعات فيما يتصل بالاستاذ من حيث انه يمارس وجوده كاستاذ اصطفاه الله واثاح له الفرص بين الناس واختارته الامة وحبته بعطفها واكرمته ، ثم من ناحية الطالب الذي نتيج له مزيدا من الفرص في الجامعة ، فاذا ما عودناه في الجامعة على ان يستمر في الاخذ فانه لن يكون مواطنا صالحا ، ولن ينفع

افضل الناس واعلم الناس !

روى ابن عبد البر عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله « ص » يا عبد الله بن مسعود قلت لبيك يا رسول الله قال اتدري أي الناس افضل قلت الله ورسوله اعلم قال فان افضل الناس افضلهم عدلا اذا فقهوا في دينهم قال يا عبد الله بن مسعود اتدري أي الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا في العمل وان كان يزحف على استه .

علم التجريب

لستاف مسعود العريان

يختلف عليها مفكر ومفكر في اي بلد من بلاد الارض ، فهي مبادئ انسانية عامة خالدة لكل زمن ولكل شعب ولكل ارض ولكل وطن ، فهي مبادئ انسانية عامة خالدة ، واطن ، واعتقد ان كثيرا منكم يظنون ان هذه المبادئ هي اطار الثقافة الانسانية التي يجب ان تكون للناس جميعا فهي ليست ثقافة العرب وانما ينبغي ان تكون ثقافة البشر او ثقافة الانسان على حد الفصل الذي فصل به الدكتور سليمان الحزين امسى بين البشر والانسان .

لكنني احسن ان الامة العربية اليوم في مرحلة من مراحل القلق العلمي ، مرحلة من مراحل القلق العلمي تجعلها بين طريقين او بين عدة طرق ، تصدر مرة الى يمين ومرة الى شمال ومرة الى امام ومرة الى خلف ، لا تكاد تعرف في مجموعها اي طريق تسلك ، وهي تصف كل طريق من هذه الطرق الاربع وصفا ، تسمي طريق اليمين ثقافة كذا وثقافة الشمال ثقافة كذا وثقافة الامام ثقافة كذا وثقافة الخلف كذلك ، هذا الموقف القلق بين طرق اربع لشعب مومن صاحب مثل يعرف نفسه ويعرف مكانه ويكاد يعرف غده ، هو الذي انشأ حالة القلق العلمي الذي وصفته . والقلق العلمي لا يعرض الا لاصحاب المثل ، لان الذين يعيشون كما تأتي الحياة ، كما يتأتى العيش ، لا يخلقون ، وانما يمضون كما يمضي بهم التيار لا يحاولون مقاومة ، وانما يقاوم الذين تتعارض ارادتهم مع التيار ، ومن ثم ينشأ القلق .

فالقلق العلمي اذن فضيلة من فضائل اصحاب المثل ، قد يكون هذا القلق العلمي سببا لانزعاج كثير من المهتمين بشؤون الامة العربية ، يخشون ان تنحرف عن طريقها الذي رسمه الله الى غيره ، فينظرون

الحديث الذي اريد بي ان اتحدث فيه ولا ادري من اراد ، هو الحديث عن علم العرب ، ولا اظن ان للعرب علما غير علم الناس ، ولا اظن انه ينبغي ان يكون للناس علم ليس مثله عند العرب ، فان العلم كما قال الاخ الاستاذ الدكتور سليمان الحزين امسى ، لا وطن له ولا جنس له ، الا ان يكون المراد ثقافة العرب لا علم العرب ، ومع ذلك فاتي ارجو ايضا ان تكون الثقافة لا وطن لها ولا ارض ولا جنس وان يكون مستقبل الثقافة انسابيا للناس جميعا لا لشعب دون شعب ولا لارض دون ارض ولا لوطن دون وطن .

واظن ان هذا الامل او هذا المعنى هو الذي قصده الله تعالى حين جعل الكتاب الكريم آخر كتبه الي البشر ، وحين جعل محمدا (ص) آخر انبيائه الى الناس ، فلم يجعله نبيا للعرب ولم يجعل قرآنه للعرب وانما اراده للعالمين ، يعني انسابيا ، واراد نبينه للعالمين يعني نبيا انسابيا .

وجاءت تعاليم الاسلام مصدقة لذلك فجاءت انسانية لا عربية ، ومعنى هذا ان الله فيما اظن وفيما يظن كثير من الذين يستمعون الي ، يحرص على ان تكون الثقافة انسانية وتعاليم الاسلام نفسها انسانية ، لانها تنزيل للسلوك الانساني وللشعور الانساني وللضمير الانساني ، في كل ارض ولكل جنس ولكل قوم ، مبادئ لم يختلف عليها حتى اليوم احد من اهل الفكر في اي بلد من بلاد الله ، الحرية ، كرامة الانسان ، العزة في النفس ، الشعور بالواجب لنفسه ولكل من حوله ، التكافل الاجتماعي ، لا خوف الا من الله ، لا رجاء الا من الله ، البشرية واحدة لاب وام ، هذه المثل الانسانية التي جاء بها الاسلام وجاءت في القرآن نصا وروحا لم

منزعجين متألين خائفين متشائمين ، وقد اكون انسا واحدا من هؤلاء ، ولكني مع ذلك احس ان القلق العلمي ظاهرة من ظواهر المثالية النفسية ، لولا مثاليتنا ما قلقنا .

قبل ان يحملني الجناح الى بلدكم هذا الكريم لم اكن اتخيل ان هنا مثل هذا القلق الذي سمعت بعضه واحسنت بعضه وسمعت بعضه ولمست بعضه ، كنت اظن ان اخواني العرب المغاربة - الذين استمعوا على كل انواع الاستعمار ثلاثة عشر قرنا كاملا فلم يستطع مستعمر من اي لون ان يقبض راحته على بلدهم الا في نصف القرن الاخير - ابعد عن ذلك القلق الذي احسنه يوما ما في القاهرة ، ولكني لم اكد اطا هذه الارض الطاهرة حتى رايت وسمعت وشممت ولمست ، وباحساسات اخرى غير هذه الاحساسات الخمس عرفت معرفة اليقين ان في نفس كل مغربي قلقا علميا مؤرقا من اجل مستقبل العلم في المغرب ومستقبل الثقافة في المغرب ومستقبل المغرب نفسه ، لانه لا انفصال البتة بين مستقبل الثقافة ومستقبل الوطن .

وجامعة القرويين المباركة في الاحتفال بذكراها الحادية عشر من القرون هي منبع هذا القلق لانها في هذه اللحظة نفسها تبدا تطورا جديدا ، واراها في هذا العيد في قلق لا يكون مثله في الاعياد ، وارى المحتفلين بها في قلق كذلك لا يكون مثله في نفوس المحتفلين بالاعياد ، واسأل نفسي اهو خير ام هو شر ، واسأل عواطفني وقلبي ثم اسأل عقلي ورأبي ، فاسمع جوابا يخالف الجواب ، ولكني انتهي آخر الامر الى الاطمئنان كل الاطمئنان ، لان الامر كما قلت ينبع من مثالية ، من ايمان ، من يقين ، من معرفة كاملة لكل قلق بمكانه وامكانه وامله في نفسه ، وحين يكون الامر كذلك فهو مظهر يقظة واعية لا خوف من نتائجها .

استغرقنا الكفاح خلال قرون اربعة ، وبدا الكفاح هنا في هذه المنطقة حيث بدا الغزو الصليبي في الامة العربية بدا واستمر ، واستمر اربعة قرون ، ثم جلا العدو مكرها او كاد ، وتحمرت ارضنا ، وتححرر بحرنا او كاد وتححرر جونا او كاد ، ولكن العدو لم يجلب بعد عن نفوسنا ، عن ضمائرنا ، لم تزل مؤثراته كامنة فينا وبعض الضوء يختزن وبعض الظلام يختزن ايضا . ولم يزل في نفوسنا ظلام مما اختزننا من عهود الاستعمار ، لم تزل رواسب ومؤثرات اجيال وقرون تغطي على حقائق كثيرة لا

تكاد تنكشف لنا او للكثرة منا ، فحاولنا ان نستأنف الزحف ، الزحف الانساني الذي بداه العرب منذ بضعة عشر قرنا ، وكان لابد ان نستأنف الزحف ، لابد ان نستأنفه ، لان رسالتنا ليست لنا ولكنها للبشر عامة للانسانية كلها ، كان لابد ان نستأنف الزحف ، ولكي نستأنف الزحف يجب ان نحدد طريقنا ، ولكي نحدد طريقنا يجب ان نتعرف غايتنا ولكي نتعرف غايتنا ونصل اليها يجب ان نعرف وسائلنا ، واخذنا نبحت الوسائل ، وحين بدانا التفكير في الوسائل وجدنا الخلف معقدا اشد التعقيد لا تكاد نعرف له اولا ، اذا عرفنا له اولا لم نستطع ان نصل الى آخره ، كانت العقدة ملففة تلففا شديدا لا يستطيع ان يحلها الا صاحب الصبر وصاحب العزيمة ، وصاحب القوة ، وصاحب الايمان . ولم تكن جميعا اصحاب عزم ولا اصحاب قوة ولا اصحاب ايمان ، ولا اعتذر الى نفسي ولا اعتذر اليكم ، انما يمضي بنا الى غايتنا التي نريد ، ان نكون صرحاء مع انفسنا ، لا يجب ان نتجاهل على حساب الحق ، لم تكن جميعا مؤمنين ولم تكن جميعا اصحاب عزيمة ، رأينا مظاهر اوربية امامنا ، فيها حضارة ، وفيها نعمة ، وفيها ترف وفيها جمال ، فبهرتنا ، نسينا اونسى اكثرنا - لحظة ما - الغاية العظمى والطريق الامثل والبدء النبيل الذي بداته الامة العربية ، نسينا ذلك ونحن نفكر في الوسيلة ، اتخذنا وسيلة اخرى ، وسيلة تنبع من قاعدة مشهورة هي : الوظيفة توجه المتعلم نحو العلم الذي تتوجه اليه الوظيفة ، واقصد الوظيفة بمعناها العام .

ما هي وظيفتنا التي نتعلم من اجلها ؟ هل نتعلم لتكون لانفسنا ، او نتعلم لتكون لقومنا ، او نتعلم لتأكل ونشرب ونستمتع بالحياة ، او نتعلم لتؤثر في الحياة ونرفعها الى الامام ، هل نتعلم كعرب ومسلمين ، او نتعلم كبشر يعيشون على قطعة من ارض البشر اسمها وطن العرب ؟ لو استطعنا ان نحدد لانفسنا بواقعة وظيفة المتعلم هذه ، لعرفنا الوسيلة .

ان الوظيفة توجه المتعلم نحو العلم ، ولكل بيئة عربية في كل قطر عربي حاجات ، ومع ذلك فاننا حين نلمس بعض الخطوات التي نخطو في اقطار شتى من الوطن العربي ، لا تكاد نثبني التخطيط الكامل للنتيجة التي نريد ان ينتهي اليها الخريجون .

كم طبيبا نريد ، وما نوع الطبيب الذي نريد ، كم مهندسا نريد وما نوع المهندس الذي نريد ، كم معلما نريد وما نوع المعلم الذي نريد ، كم مرشدا

اجتماعيا نريد وما نوع المرشد الاجتماعي الذي نريد ،
ثم هؤلاء المتخصصون جميعا انريدهم كما قال الاخ
الدكتور سليمان الحزين الامس اختصاصيين في الحرفة
او اختصاصيين انسانيين معا .

في المغرب مثلا ، واسمحوا لي ان اضرب المثل
ببعض ما رايت ، وان كنت لا اعطي تمام الوصف كما
يراه اهل الدقة ، لان نظرتي قصيرة ، قصيرة الزمن
وقصيرة المدى ايضا ، عندنا جامعة القرويين ، جامعة
القرويين هذه عريقة قديمة قامت على اساس راسخ
من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،
قامت على ايمان كامل بان رسالتها هي حياة هذا
الدين وحياة اسبابه حياة كاملة شاملة توجه به من
حولها ومن وراءهم التوجه الانساني الذي اراده الله ،
ومضت الى غاياتها احد عشر قرنا ، وادت رسالتها
اداء كاملا وانتشرت رسالتها في الشرق والغرب ،
وتعلم منها علماء في مصر ، وعلماء في باقي شمال افريقيا
وعلماء في الشام وعلماء في العراق ، وعلماء في بلاد
الخليج وعلماء فيما وراء الحدود العربية منذ احد عشر
قرنا ، وحين اقول تعلم منها هؤلاء لا اعني في كل حالات
التعلم المباشر ، فان الجامعة ليست هي المكان ولا
الرواق وانما هي العالم والكتاب والعلم نفسه ، ليس
هذا وحده ولكن جامعة القرويين في موقفها الاخير
خلال قرون المقاومة كانت حصنا من المع حصون
العروبة والاسلام ، وقفت راسخة في مكانها كالطود
لاتنزعزع ، منها كل القادة ومنها كل الزعماء ، منها مباشرة
او بطريق غير مباشرة ، تخرجوا منها ليقودوا ويتزعموا
ويوجهوا امتهم الى مستقبلها ، او خرجوا ليعلموا
قادة ، هم القادة وقادة القادة ، ووقفت في مكانها كما
قالت في حديث مضي وقفة الحارس على رباط ،
والحارس على رباط لا ينبغي ان يتقدم ولا ان يتأخر
والعدو بازائه ، وقد وقف العدو بازائنا هنا قرونا عدة ،
سلاحه مشرع في وجوهنا والشرر يتطاير من عينيه
السا وصبغات الحرب في فمه تنصب في آذاننا ، ولم
يكن ثمة الا رجال القرويين والذين علمتهم القرويين
والذين قادهم قادة القرويين ليكافحوا ويدفعوا ، وقفوا
وقفة الحارس على الشاطئ يدفعون ذلك العدو
المتربص خلال تلك القرون ، ولم يكن موقفهم في الدفاع
يسمح لهم ان يتحركوا من مكانهم ، ثبتوا ، وقفوا في
مكانهم ، لانهم كان يجب ان يقفوا ، ثبتوا لانهم كان
لا بد ان يثبتوا ، جمدوا لانهم كان لا بد ان يجمدوا ،
كان جمودهم ذاك جمود مدافع ، فهو جمود الفضيلة
لانه جمود الاستبسال في الدفاع عن الشرف .

فلما مضى ذلك العدو او اوشك ان يمضي ، اخذنا
ننظر الى هذه الجامعة القائمة الرائدة الموجهة التي
صنعت تاريخ المغرب ونصف تاريخ العرب ، فرأينا
المغرب في حاجة الى قادة يوجهون مرافقه وادارته
واعماله ، يرممون ما تهدم من جوانب تلك المرافق
ويسيرون بالحياة مسيرها الى غايتها .

من هؤلاء الذين يديرون ويرمون ويسيرون
بالحياة الى مسيرها لا ذلك الجندي الذي انتزع
من بيئته ومن اسرته وقت المعركة ليقف في وجه
العدو كل ذلك الزمن المتطاوّل لو يؤت به بعد الحرب
الى الحياة المدنية لاحتاج الى تدريب طويل حتى يضطلع
بابعاء الحياة المدنية . واذا فقد كان لابد من رعاية
هذا الجندي الذي حفظ الوطن وحمل الوطن وبذل
دمه لاجل الوطن وجمد في مكان الدفاع عن الوطن
حتى نجا الوطن ، كان لابد حين يعود الى الحياة
المدنية من ان يهيئ للاضطلاع بابعاء الحياة المدنية ليضطلع
بها على الوجه الكريم الكامل الذي اضطلع به في حياة
الدفاع ، ولكن الامم في سرعتها الى طلب الصلاح قد لا
تلجأ الى هذه الوسيلة الدائمة ربما تأخذ قصدا من لم
يحارب ، لم يكافح ، لم تثبت قدماءه على الارض ، لم
يثبت نعله على التراب ، لم يثبت ثبات القرون ،
لم يزل في مرونته ومطالغته ليضطلع بابعاء
الحياة المدنية ، هذه ايضا نظرية معقولة ومنطقية ،
ولكن هناك مبدءا ، سننظر الى الوظيف ، ماهي الوظيفة ،
ما هي وظيفة الذي يتولى ترميم المرافق وادارتها
وتسييرها مسيرها الى غايتها ، هل وظيفته ان يضع
القفل في المفتاح ثم يدخل ويجلس ويترك الحياة تمر
امامه كما تمر على اي وجه تمر ، كل ما يعنيه ان لا
تتوقف ، دون ان يحدث فيها تجديدا او يحول لها
اتجاها ، لو ان الامر كان كذلك لما كنا بحاجة الى قرون
المقاومة الطويلة لنستقل ، لنشعر بكياننا ، لنشعر
بوجودنا ، لنشعر باننا هنا شيء لانفسنا ولمن حولنا
بارادتنا لا بارادة غيرنا ، هذا الذي عاش حياته كلها في
الحياة المدنية لم يتمرس بجندية الدفاع والمقاومة
يمكن ان يكون مدنيا اصيلا كل الاصاله ولكنه ايضا
بحاجة الى ان يتعلم بعد قرون المقاومة ، هو ايضا
بحاجة الى ان يتدرب ، بحاجة الى ان يحسن استعمال
السلاح ، بحاجة الى ان يدرب على ان يقف مثل وقفة
اولئك الجامدين على الشاطئ سنين وقرونا حتى اذا
ما دعا الداعي الى الدفاع امكن ان يكون المدني وغير
المدني كتفا الى كتف في صف المعركة ، والمعركة هنا
ليست معركة سلاح ودم ولكنها معركة الروح والنفس ،

غير القرويين ؟ ما هو القدر المشترك الذي يلقيه التلميذ منذ السنة السادسة او السابعة في المدرسة الابتدائية ؟ ما هو القدر المشترك من علم العرب وعلم المسلمين الذي يتعلمه التلميذ في المدرسة الثانوية ، ما هو القدر المشترك الذي يريد ان يبني عليه المتخصص في الدين بناءه العلمي ليصل معارف عامة بمعرفة متخصصة في كلية القرويين ؟ ما هو القدر المشترك من علم العرب وعلم المسلمين الذي يبني عليه طالب الطب معرفته ليكون طبيباً عربياً مسلماً ؟

لا نريد ، لا نريد الامة العربية ولا يريد المغرب ولا يريد أي قطر من أقطار العرب ان يكون نصف المجتمع العربي مشلولاً ، ولا يعرف العرب ولا يعرف المسلمون محترفين بالدين ، يجب ان يكون الدين لكل مواطن ويجب ان تكون الحرفة لكل ذي دين في وطنه ، لا نريد ان ينظر رجل الدين الى نفسه كأن دينه هو مصدر رزقه نزولاً بالدين الى المستوى الذي نزل بالدين في نفوس كثيرة ترونها وتحونها .

ايها الاخوة .

هناك نقطة مهمة جداً حين نتحدث في هذا الموضوع لنصل علم العرب بعلم الحياة التي يحياها العرب في هذه الأيام نقطة مهمة جداً لا يجب ان نغيب عنا هي ان كل مواطنين في وطن يجب ان يكون لهم انفعال مشترك واحساس مشترك ومثل مشتركة وشيء من الثقافة مشترك يجعل انفعالهم واحدا واحساسهم الوطني واحدا وتفكيرهم في الفد واحدا

طالب القرويين وطالب غير القرويين يدرس تعليماً عالياً ، عالياً في آخر مراحل . في المرحلة التي قبل ذلك او التي قبل قبلها يجب ان تكون موحدة ، ولكن على أي نظام تكون موحدة ، فما دام لابد من ان يزواج بين علم الدين وعلم الدنيا لاجراء ذوي حرفة وذوي مثل في كل حرفة ، ما دام لابد ان يسبق ذلك نوع من توحيد التعليم فلا بد ان يسبق ذلك اختيار نوع التعليم الذي توحده عليه المدرسة المشتركة ، ما لم توحده على نظام مجرد سليم مأمون العاقبة فان الاخذ بأي نظام غير ذلك معناه ان تلغي احد الناقصين لنضع مكانه انقص الناقصين ، ينبغي ان توحده التعليم ،

هذا المدني الذي خرج من بيئة اخرى وتربى تربية اخرى وبدأ تاريخه تحت ظل آخر ، وطني مخلص ، جزء من شعب هذا الوطن ، مرموق الفد لامته ، قوي القلب والنفس ، والساعد والارادة ، ولكنه لم يتهيأ لاسباب الدفاع الكاملة ليعرف انه في امة عربية مسلمة يريدونها العدو بكل انواع الشر والفساد ، واذا فلابد لكي يتمرس هذا الذي لم يتمرس قبل للدفاع لكي يتمرس بالحياة المدنية على الوجه الذي اراده الذي دافع حتى احترق ويبست قدماء وجمد في مكانه كصخرة على صخرة يجب ان يتدرب ايضاً ، يجب ان يكمل نقصه كما يكمل نقص الاول ، واذا فهناك نقص مشترك قطعاً ، هناك نقص حقيقي في ذلك الجندي الرابط الذي وقف صخرة على صخرة قرونا لم يتقدم خطوة الى الامام ، وهناك نقص آخر قد يكون اشد منه في الذي عاش تحت ظل غاية اخرى وتثقف ثقافة اخرى وقطعه الاستعمار قطعة كاملة او شبه كاملة عن ماضيه ، عن امته ، عن لسان وطنه ، عن دين قومه ، عن مثل اهله ، عن تاريخه ، انتزعته من الارض كما تنتزع شجرة ثم تضعها من غير ان تحفر لها لتنمو مرة اخرى في نفس الارض ، ابدأ ابدأ ، لا يمكن ان تستقيم الحياة اذا تولاه ذلك الذي يبس على مكانه ولا يمكن ان تستقيم الحياة اذا تولاه ذلك الذي انتزع من بيئته ليصنع صنعة اخرى ، لا ندري أي بيئة بعد ذلك يصنعها .

بعد اليوم وحين تكون وظيفة الطبيب للطبيب ، وحين تكون وظيفة المهندس للمهندس ، وحين تكون وظيفة المعلم للمعلم ، وحين تكون وظيفة كل متخصص في تخصصه ، ما وظيفة خريج القرويين ؟ قيل لي تكون وظيفة خريج القرويين انه حامل دين ، صاحب دين . واعتقد ان الاسلام لا يعرف صاحب دين وانما يعرف المسلمين جميعاً اصحاب دين ، يجب ان يتعلم جميع المواطنين الدين ويجب ان يتعلم جميع المواطنين حرفة مع الدين ، حرفة على تخصص . لماذا لا يكون طالب القرويين طالب طب وطالب دين معاً ؟ ولماذا لا يكون طالب الحقوق في جامعة اخرى طالب حقوق وطالب دين معاً ؟ لماذا لا يكون هناك قدر مشترك من المعرفة العربية الاسلامية لكل متعلم ولكل متخصص ؟ التخصص قبل القدر المشترك بناء على غير اساس . ما هو القدر المشترك من علم العرب ، ما هو القدر المشترك من علم المسلمين ، ما هو القدر المشترك من المعرفة بالمثل العربية الاسلامية التي يعرفها الطالب قبل ان يتخصص في القرويين او في

ثم اننا نطلب وحدة ، نطلب وحدة ثقافية ، وحدة فكرية وحدة عربية كاملة بكل معناها ، وحدة توجهنا الى الاهداف الانسانية السامية التي ارادها العرب منذ كانوا والتي ارادها الاسلام .

في البلاد العربية القدر المشترك الذي تتحدد به خصائص الامة العربية والذي يتفق مع اهداف الامة العربية والذي يمكن ان يصنع مواطنين للامة العربية في غدها المأمون ، هذا التوحيد لابد منه ولكننا لابد قبله من البحث والدرس والاستفادة بالتجارب وانشاء تجارب جديدة لاختيار نوع التعليم الذي توحد عليه البلاد العربية ثم الذي يوحد عليه كل قطر عربي معاهد تعليمه ، هذه المعاهد العربية الاسلامية في مستوياتها العالية ليست ملكا للبلد الذي قامت فيه وانما هي ملك الامة العربية المسلمة او ملك المسلمين في كل ارض .

الازهر اثر في حياة العرب والمسلمين تأثيرا ضخما تحول به تاريخهم وتاريخ عدوهم . القرويين اثرت تأثيرا ضخما جدا في حياة المغاربة والعرب والمسلمين واثرت في تاريخ عدوهم كذلك . الزيتونة اثرت في تاريخ العراق وفي تاريخ العرب وفي تاريخ المسلمين وفي تاريخ اعدائهم كذلك ، الزيتونة اثرت في تاريخ اعداء الزيتونة وفي اعداء تونس واعداء العرب كما اثرت كل هذه المعاهد ، هذه المعاهد كلها معاهد دولية انسانية غيرت من تاريخ الانسانية كلها - تأثيرا ايجابيا في جانب ، وتأثيرا سلبيا في جوانب اخرى ، اثرت فينا ورفعت معنوياتنا واعطتنا المثل وكونت نفوسنا وربتنا التربية التي اشعرتنا مكاننا وحياتنا ووجودنا وحياتنا وكرامتنا ، واثرت في حياة عدونا لاننا نحن بكفاحنا الذي تعلمناه منها استطعنا ان نفرز على عدونا تاريخا آخر . فقد غيرت هذه المعاهد تاريخنا وتاريخ عدونا معا ، غيرت في تاريخ البشر قطاعا كبيرا ، هذه المعاهد التي تركت هذه الآثار لا يمكن ان تكون لارض ولا لوطن ولا لاحد ، وانما هي لكل الذين يتأثرون بها ويتأثرون منها ، من اجل ذلك

اعطيت لنفسي الحق كائن ان وكما سلم وكعربي وكعربي ايضا ان اتحدث هذا الحديث الى رجال القرويين ، وشيء آخر هو ان هذا القلق العلمي الرفيع الذي يدور في نفوس الذين يحبون القرويين ويحبون المغرب ، يدور قلق علمي مثله حول الازهر ويدور قلق علمي مثله حول الزيتونة ويدور قلق علمي مثله حول النجف ويدور قلق علمي مثله حول كل معهد عربي اسلامي في كل قطر من اقطار الوطن العربي ، واذا فهو قلق مشترك يفرض على كل ذي رأي ان يقول رايه لان رايه لا يؤثر في معهد منها دون سائر المعاهد وانما يؤثر فيها جميعا ، فانا حين اتحدث عن القرويين انما اتحدث عن الازهر وعن النجف وعن الزيتونة ، وحين يتحدث متحدث عن الازهر هناك فانا يتحدث عن القرويين واخواتها كذلك ، واذا كانت هذه المعاهد بهذه الصفة لئولاء جميعا وكان لها هذا الاثر كله لا اقول ، وقد سمح لي ان اقول ما قلت ، وانما اقول فقد وجب ان يقول فيها كل عربي وكل مسلم في كل ارض رايه ، ومن اجل هذا اقول مرة اخرى انني احس بواجب عميق يشغل كاهلي وضميري ، اريد ان اتخفف منه لاقوله لادعو الى اقتراح ، لاقول كلمة .

ايها العرب ، ايها المسلمون ، ايها الاخوة الذين تحرسون على عروبتكم وعلى اسلامكم وعلى ان تظل جذوركم راسخة في الارض وعلى ان يظل حاضركم وماضيكم ومستقبلكم على نسق ، لا تحاولوا احداث تغيير في حياة القرويين ولا في حياة الازهر ولا في حياة الزيتونة ولا في حياة النجف الا في مؤتمر عام يضم المعنيين بشؤون الازهر وشؤون النجف وشؤون الزيتونة وشؤون القرويين فانها لهم . فالمؤتمرات لا يدعوا اليها فرد ، ولكننا ، كل صاحب رأي فرد . دعوة ادعوا الله وارجو ان يستجاب لها ، ارجو ان يستجيب لها مستجيب يوفقه الله ليحمل هذه الريبة ليجدد علم العرب وعلم المسلمين ويردنا الى الطريق السوي والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود الغزنوي

للكاتب عبد القادر السرايري ٣١٨ - ٤٢١ هـ

تمهيد :

في الفترة التي أخذت قوة الخلفاء العباسيين الأواخر في التداعي السياسي وضعف نفوذهم العسكري إذا بالقومية تأخذ اتجاهها البارز لدى الشعوب التي فتحتها العرب واهتدت الى الدين الحنيف ، ولعل من ضمن هذه الممالك الشرقية التي أصبحت مستقلة عن الخلافة هي فارس والسامانيون الذين كانت عاصمتهم بخارى ، وبعد نهوض هذه الممالك المستقلة ، تلا ذلك أيضا قيام الممالك الأخرى التي نهجت نفس السبيل ، فالأتراك أصبحوا يمثلون عنصرا أكثر نشاطا ، وأقوى فعالية في ممالك الخلافة الشرقية ، فكان يغلب عليهم الطابع البدوي ، من خشونة وعدم تحضر ، إلا أنهم بتدرجهم نحو الإسلام بدأوا يتفقهون في تعاليم الدين الجديد ، واكتسبوا بذلك طابعا جديدا مكنهم من الظهور في الميادين السياسية والعسكرية ، ومن الممالك الأخرى التي حظيت بالاستقلال غزنة التي نحن بصدد البحث فيها عن شخصية فذة ستناولها بالدرس والتحليل فيما بعد ، وهي شخصية يمين الدولة محمود الغزنوي .

ذلك ان البيت الغزنوي استقل نهائيا عن البيت الساماني سنة 976 م وقد ر لهذه المملكة ان تعيش قرنين كاملين ، وكان مؤسسها الب تكين حيث كان مملوكا تركيا تربى في احضان السامانيين ببلاطهم ، والملاحظ أيضا في امر هذه الامارات انه بالرغم من استقلالها عن الدولة العباسية سياسيا وعسكريا ، فانها اعترفت بها للخليفة من آثار التبعية ويظهر ذلك

في ذكر اسمه بخطب الجمع ، ونقش اسمه على النقود ، ولم يكن الفرض من ذلك سوى حرص الامراء في الإبقاء على المظاهر التي تكسب حكمهم الصبغة الشرعية فيباركه الخلفاء العباسيون ببغداد ، وما دمننا بصدد البحث عن هذه الامارات وخاصة السامانيين فالذي يهمنا انه نتيجة للآفة التي تعرضت لها الخلافة العباسية حيث استسلم زمامها السياسي والعسكري القواد الأتراك ، فانه بتعيين البكتكين حاكما على خراسان ابتغاء اقضائه عن العاصمة العباسية لاسيما بعد ان استفحل امره وعظم - نظره فسرعان ما استقل بغزنة من جبال سليمان بأفغانستان ، حيث تولى حكمها ابوه من قبل ، فتوفى فجأة وتسنى لمملوكه سبكتكين الذي تصاهر معه ان يستولي على زمام الامور ، فامتدت فتوحاته الى بست وسجستان واعتبرت هذه الفتوحات من المهدات التي سهلت لابنه محمود عمليات الفتوح فيما بعد ، كما ان سبكتكين امتاز بحملتين هامتين خلدت اسمه من بين الفاتحين المظفرين وخاصة في الهند وذلك عندما استغل نزاع الامراء الهندود ، وكذلك انتصاره على ملك البنجاب (جبال) حيث اكرهه على ان يخلي اقليم (كابل) الذي يعتبر من اهم الممرات الاستراتيجية والمؤدية الى الممالك الهندية كما انه اشتهر بانه بطل الاسلام والمجاهد المسلم ضد الكافرين (1) .

اما محمود الغزنوي فيعتبر من اعظم وانصع الصفحات في التاريخ الاسلامي بالنظر لما للكه من العظمة حيث استمر اثنين وثلاثين سنة، يوسع مملكته ونفوذه في الاراضي المعروفة بأفغانستان والتي كانت

(1) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج 2 ص 119 .

تمثل الجزء الأكبر من أراضي النفوذ الفارسي ، وكذلك في البنجاب ، وقد آلى على نفسه ان يقوم في كل سنة بفزوتين مقدستين لمحاربة الكافرين من الهنود وتمكن من غزو البنجاب سبعة عشر مرة ، ووصل بذلك الى البحار الفريية .

في السنة التي توفي ناصر الدولة سبكتكين كان ابنه محمود اول من لقب بالسلطان ولم يلقب به احد من قبل (1) . اوصى ابو سبكتكين بالملك لابنه اسماعيل ، فبايعه الجند والقواد ، واخذ يبذر اموال الدولة ويفدق على القواد حتى كادت الخزينة ان تمنسى بالضياح ، والتجا الى حياة ملؤها الدعة ، بينما كان محمود بعيدا عن الدولة بنيسابور ، فتعي اليه خبر وفاة ابيه فارسل الى اخيه يعزبه ، وبدأت بينهما سلسلة من المراسلات السرية مفادها اقناع اسماعيل باحقية اخيه في الملك نظرا لانه اكبر منه سنا ، كما طالبه بنصيبه في تركة ابيه ، ويظهر ان هذه الوسيلة قد فشلت ، فخرج محمود من نيسابور يريد غزنة ليسوي الامر مع اخيه ، فاجتمع بعمه (بفراجق) وساعده على اخيه ، كما التف حوله الامراء والقواد وذلك بعد ان شجعوه بالمجيء الى غزنة ، وانتهى هذا الاستعداد بالاستطدام بين الاخوين فانهمز اسماعيل ، واعتصم باحدى القلع ، فامنه اخوه محمود ، فلما نزل منها اكرمه واحسن وفادته ، واخيرا اشركه في الملك مدة سبعة اشهر (2) .

الفتوحات العسكرية : تظهر شخصية محمود الفزنوي قوية فذة في الميدان العسكري خصوصا مع ابيه سبكتكين ايام توطيد سلطانه وتوسيع فتوحاته ، فكان ابنه محمود الساعد الايمن خصوصا في المعارك التي دارت بين ابيه وبين ابي علي بن سيمحور ، وفخر الدولة بن ركن الدولة البويهى فتم له امر نيسابور ، وتسلم ادارتها بعد ان قضى على نفوذ السامانيين ، وولى ابنه القيادة العسكرية في خراسان ، ولقبه بسيف الدولة .

وبوفاة ابيه سبكتكين سنة 387 هـ بعد ان وضع الاسس القوية للامبراطورية الفزنوية نتيجة لتوالي الانتصارات في عهده سواء في الشرق او الغرب ، وما اثر عنه من الصلابة وقوة الارادة ، فقد تمكن ابنه محمود ان يرث ما لايه من تلك الخصائص والصفات التي هي حجر الاساس في القيادات والزعامات .

وبتسوية امر النزاع مع اخيه اسماعيل كما راينا استتب له الامر ، هذا في الوقت الذي كان يطمح الى ان يكون الوريث الحقيقي للسامانيين ، وهذا ستفسره الاحداث والحروب المتوالية التي عرفت بها شخصية محمود ، فبعد احتلال نيسابور وضم مرو التي كانت آخر معقل للسامانيين ، اتخذ نيسابور عاصمة له ، وتوودد للقادر الخليفة العباسي فاخذ يخطب له في المساجد خصوصا بعد ان ابطال الخطبة السامانيون في اواخر عهدهم (3) ، ولم يكن من القادر الا ان يبارك اعماله وفتوحاته فلقبه يمين الدولة واصبح بذلك عند حسن ظن الخليفة العباسي .

فتح خراسان : يعتبر فتح خراسان من اهم الفتوحات التي خاضها محمود حيث قدر له بواسطتها ان يؤمن هذا الجانب فيتفرغ الى فتوحاته بالهند ، ذلك ان يكتوزون حاكم خراسان عند ما سمع بمسير محمود اليه جمع انصاره امثال عبد الملك بن نوح وبالرغم من ذلك فقد انهزمت جيوش يكتوزون وفر مع انصاره الى بخارى واعادوا تنظيم جيوشهم بتشجيع خطط الهجوم فسير اليهم جيوشه بقيادة قائده الشهير ارسلان ودانت له بذلك الامارات الموالية كامارة آل غريغون وامارة غرستان وخراسان بما جاورها من الامارات الموالية لها تعتبر آخر الاماكن التي اعتصم بها السامانيون ، وانقذت بذلك من الاسراف والظلم الاجتماعي والانحلال الذي سادها بفساد آخر الامراء الذين حكموها ، وفيها اعيد الاعتبار الشرعي الذي فقدته الخلافة العباسية (4)

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج 9 ص 54

(2) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج 9 ص 57

(3) الصابي : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص 372

(4) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج 9 ص 67 .

لتجهيز هذه الحملات ، وما يمكن ان تدره من المبالغ العظمى والاسلاب والفتائم وهذا العامل الاقتصادي لا يمكن اغفاله بتاتا .

وفي مقدمة هذه الفتوحات هي فتح مملكة البنجاب التي كان ملكها « جيبال » فانهزم فيها هذا الاخير سنة 392 هـ وتم اسره هو واسرته ، وغنم فيها غنائم عظيمة القيمة وجواهر نفيسة حيث قدرت القلادة التي كانت في عنقه وحدها بمائتي الف دينار (3) بالإضافة الى خمسمائة الف رأس من العبيد ، واراد يمين الدولة ان يعيد اليه اعتباره فاطلق سراحه ، الا انه لم يرض بوضعه مهانا ذليلا بين قومه فأثر الانتحار ، وباختفاء شخصية جيبال من عالم الحكم أمكن ليمين الدولة ان يضم اماره « ويهند » .

وفي سنة 395 هـ قرر غزو « بهاطية » وتقع وراء المولتان وكان يحكمها « بيجرا » وامتازت بتحصيلين اسوارها العالية ، واحيطت بخندق عميق فاعتصم بها صاحبها واستمرت حروبه ثلاثة ايام ضد المسلمين وانهزم في اليوم الرابع ، وكان هذا بظاهر المدينة حيث اراد ان يدخل المدينة المحصنة من احدى البوابات الضخمة الا ان المسلمين سبقوه الى ذلك فاعيته الحيلة والتجأ اخيرا الى الجبال لينظم المقاومة فسرعان ما طوقه المسلمون فأثر الانتحار بخنجر .

عمل بعد ذلك يمين الدولة في اصلاح احوال بهاطية ونظم احوالها وعاد الى غزنة بعد ان ترك من المسلمين من يفقه اهلها الدين الحنيف (4) .

وثناء رجوعه الى غزنة صادفته امطار طوفانية حيث فاضت الأنهر وضاع قسم من جيشه .

وفي سنة 396 هـ قرر يمين الدولة فتح المولتان وسبب ذلك ما نمي اليه من شيوع الفساد فيها ، وكثرة البدع ، واراد بدافع دينه ان يحارب هذه الامارة وصادف ان كانت بعيدة عنه مسافات طوالة ، ونظرا الى ما اعترض جيوشه في الطريق من كثرة الاودية طلب من صاحب مملكة يسمى « اندبال » ان ياذن له بالعبور في

فتح سجستان : استغل خلف بن احمد فتوحات يمين الدولة فاستولى على تهستان وبوشنج وكانت بوشنج وهراة تحكم من قبل يفرأجق عم يمين الدولة محمود ، واراد الاخير ان يوقف توسعات خلف ابن احمد فاضطدم يمين الدولة خصوصا بعد ان تم له امر القضاء على عم يمين الدولة ، وهذا ما اثار محمودا في الانتقام من خلف خصوصا بعد ان تحصن الاخير بحصن اجيبد وهو موقع ممتاز بتحصيله ، وبازدياد الضغط والخنق عليه تمكن من القضاء عليه وتم له هذا في سنة 391 هـ ، وعادت سجستان من ضمن ممالك يمين الدولة .

الفتوحات في الهند : اسبابها : من الاسباب التي يسوقها ابن الاثير في فتوحات الهند انه باستتباب امر خراسان وما جاورها من الامارات الاسلامية اراد السلطان محمود ان يكفر عن حروبه مع اخواته المسلمين في الامارات الاسلامية وذلك بتحويل دفة هذه الحروب الى الهند التي شاع بين اهلها الكفر ومعاداة الدين الاسلامي (1) . وسبب آخر يسوقه بعض المؤرخين وهو ان طابع الحملات التي قادها بنفسه في الهند كانت تهدف الى الجهاد الديني ونشر الدعوة الاسلامية تميما للمحاولات الاولى التي بداها العرب المسلمون .

ومن المؤرخين المغرضين من يحلو لهم ان يشوهوا هذه الفتوحات وذلك باكسابها صبغة المجازر الوحشية التي كان لها ابلغ الاثر في اقرار الدين الحنيف بالهند . اننا نرى من المؤرخين من يفند هذا الرأي امثال المؤرخ الانجليزي الكبير السير توماس ارنولد حيث يقول : « على اننا نجد بين الستة والستين مليوناً من المسلمين في الهند (احصاء قديم) عددا هائلا لم يكن للقوة والعنف نصيب في تحويلهم او في تحويل ذريتهم الى الاسلام بل كان التعلم والاقناع وحدهما اللذان كان لهما ابلغ الاثر في هذا السبيل » (2) .

وسبب آخر يمكن اللجوء اليه في تفسير هذه الفتوحات هو ما اشتهرت به ممالك الهند الفتيحة وقصورها ببذائع التحف ونفائس الجواهر وما اشتهرت به من غنى قد يكون له من العوامل المحفزة

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ج 9 ص 70 .

(2) توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص 70 .

(3) ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ج 9 ص 71 .

(4) ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ج 9 ص 77 - 78 - 79 .

وبعلن الحاد بعد ارتداده عن الاسلام ، فسار اليه
يمين الدولة واستعاد ولايته منه ، بعد ان ارجع اهلها
الى الاسلام وخلف احد اتباعه ليفقه اهلها في الدين
الحنيف ، وبسبب توالي هذه الانتصارات المظفرة امكن
لعدد من ملوك الهند ان يعقدوا حلفا للدفاع ومقاومة
نشاط محمود الغزنوي فعبر هذا الاخير نهر السند
حيث التقى بقوات ابرهمن بن اندبال ، وراجبات
اوجين ، وجواليار ، فانتصر عليهم وكاد ان يفلت
الزمام من يده (3) .

وفي سنة 398 هـ اخذ يستعد الى حرب اخرى
وفيها انهزم الهنود بقيادة بال بن اندبال بعد التجاء
الهنود الى قلعة « بهيم » وكانوا ينقلون اليها نفائسهم
واعلاق الجواهر قرنا بعد قرن ، وكان هذا على سبيل
اعتقادهم الديني الخاص ، فاجتمع مع توالي هذه
القرون ما لا يقدر بشئ ، فاستمات الهنود في الدفاع
عن القلعة استماتة الابطال ، واستسلمت القلعة فغنم
المسلمون من الجواهر ما لا يحصى العد ومن الاواني
الذهبية خصوصا من خزائن الصنم الاعظم ، وبيت مليء
بالفضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ، فعاد
الى غزنة بعد هذه الغزوة المظفرة حيث فرش المرات
في قصره بالجواهر ، وذلك لكي يظهر عظمته امام الملوك
الذين يفدون اليه (4) . وبقي الطريق مفتوحا بهذا
النصر الى البنجاب ، اما ملوك الحلف فقد ضعف
امرهم وتمزق حلفهم وتعهد اندبال ان يرسل سنويا
ضريبة الى غزنة .

وعاود صاحب الملتان الكرة من جديد فاعتنق
مذهب القرامطة ، وتمكن يمين الدولة من فتح بلاده مرة
ثانية واحتل نادرين سنة 404 هـ ، وهدم الصنم
المعروف بها ويسمى « سومنات » وكان مقدسا لدى
الهنود حيث يتجمع حوله مائة الف من الحجيج سنويا ،
وكانوا يعتقدون بان الارواح اذا فارقت الاجساد
فانها تتقمصه على مذهب التناسخ وان عملية المد
والجزر ما هي الا عبادة لهذا الصنم (5) ، وكانوا
يقدمون اليه اعظم التحف وانفس الهدايا ، كما تحمل
اليه مياه نهر « كتك » المقدس ليُفسل بها الصنم
المقدس ، واشرف على سدائته الكهان البراهمة ، وكانوا
يخلقون رؤوس حجيجه وتقام له طقوس خاصة يتخللها

بلاد ، ومنها الى الملتان فلم يقبل ذلك منه فباداه
محمود الغزنوي قبل مملكة الملتان ففر اندبال الى
كاشمير وضاعت مملكته امام زحف المسلمين
العظيم (1) . ولما سمع صاحب الملتان بخبر اقبال
يمين الدولة اخلى المدينة ونقل امواله الى سرنديب ،
فافتتحها يمين الدولة والزم اهلها دفع عشرين الف
درهم عقوبة لعصيانهم .

حدث اثناء هذه الغزوة ان « ايلك خان » استغل
خروج يمين الدولة من خراسان وملك ايلك خان وهي
تقع ما وراء النهر ، هذا بعد ان جرت مراسلات سابقة
بينهما توثقت اثرها عرى الصداقة ونتجت عنها
مصاهرة فارسل قائده سباشي تكين الى خراسان
واخاه جعفر الى بلخ وكان حاكمها انذاك ارسلان
الجادب ، فطلب منه ان يتحاز اليه ضد غزنة ولما
استولى سباشي تكين على خراسان سار ارسلان الى
غزنة ، ومهد السبيل لاحتلال نيسابور من لدن سباشي
تكين ، بلغت يمين الدولة هذه الاحداث وهو بالهند
واخذ يستعد للمعركة الفاصلة وذلك بعد ان قوى من
معنويات الجند ووزع عليهم الاموال والفضائم ، وادخل
عنصر الانراك في صفوف الجيش وتحركت هذه الجموع
الضخمة تريد « بلخ » ومنها الى بهراه فاصطدم بالتركمان
الغزية وقتل منهم جموعا ضخمة وطهر هذه المدن
فعادت الى نفوذ السياسي وباسر القائد سباشي
تكين وجماعة من قواده ، عادت الى حوزته خراسان
للمرة الثانية ، ولم يقف ايلك خان عند هذا الحد
خصوصا بعد ان ضاعت من يده خراسان فاخذ يرسل
قدر خان بن تفراجان ملك الختل وكانت تجمع بينهما
قربة ، ومنذ سنة 397 هـ بدا يلح في طلب معونته ضد
يمين الدولة فلبى الدعوة قدرخان ، فعبأ جيوشهما
للاقاة محمود الذي كان موجودا آنذاك بطخارستان
فسيقهما الى بلخ بعد ان ادخل في جيشه عنصر
التركمان الغزية وقامت الحرب بين الفريقين عنيفة
استعمل فيها يمين الدولة فرق القبيلة حيث هاجم بها
قلب جيش ايلك خان ، وكان هذا النصر لمحمود من
بين الانتصارات التي حركت همم الشعراء وفتقت
قرايحهم (2) ، واثناء هذه السنة عاد الى الهند مرة
اخرى ذلك ان احد ملوك الهند المعروفين « بنواسه
شاه » كان قد اسلم على يده فصار يميل الى اهل الكفر

(1) و (2) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج 9 ص 78-79

(3) الدكتور حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي : ج 3 ص 91

(4) و (5) ابن الاثير الكامل في التاريخ : ج 9 ص 77 - ج 3 ص 142

الذين اشتهروا بعدم ميلهم الى الاسلام وعرفت بلادهم بوعورة مسالكها فلقى منهم مقاومة عنيفة ، نظرا لعرفتهم باحوال منطقته واهم يمين الدولة زعيم الفور بان جيوش المسلمين بدأت تتقهقر ، واعاد المسلمون الكرة مهاجمين بلاد الفور فتم لهم النصر نهائيا .

والملاحظ ايضا من خلال سياسته الحربية في الهند انه كان يميل حيناً بعد آخر الى تصفية مشاكله مع الامارات الاسلامية والتي كانت تنازعه في النفوذ السياسي ، فمثلاً عندما توفي ايلك خان سنة 403 هـ تولى بعده اخوه طغان فاخذ يرأسل يمين الدولة وطلب مصالحته قائلا : (المصلحة للاسلام والمسلمين ان تشتغل انت بغزو الهند وانا بغزو الترك وان يترك بعضنا بعضا فوافق يمين الدولة على هذه السياسة) وهذا في راي يدل على مدى التسامح الذي جبل عليه يمين الدولة ، فسياسته كانت دائما تهدف الى الصلح والمهادنة وتوجيه اهتمامه الاكيد نحو الامارات التي تدعو للكفر وتؤمن بالالحاد ، فالخافز الديني يكون لديه العنصر القالب في محاربتها ، وهذا لا يعني اهمال العناصر الاخرى المفسدة لتوالي حروبه ، هذا الى جانب اهتمامه بازالة نفوذ البويهيين في الري وبلاد الجبل ، فلقد استغل استنجد مجد الدولة بفخر الدولة وتمكنت امه من تسيير دفعة امور الدولة بعد ان اخذ الى اللهو والكتب ، فقبض عليه يمين الدولة وهو بالري سنة 420 هـ وامتد نفوذه بعد ذلك الى بحر قزوين ، ثم ما عرف عنه من مناهضة فرقة الباطنية ونفي المعتزلة الى خراسان واحراق بعض كتبهم في التنجيم والفلسفة ونقل بعضها بما يقدر بمائة جمل ، وغلب على يمين الدولة تفهم وتقبل العقيدة الاسلامية مجردة من تلك النزعات والافكار الفارسية التي علق بالاسلام وهذا سر قساوته في حروبه مع فرق الرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية ، وحاول الفاطميون بدورهم انقاذ اخوانهم من الاسماعيليين بالتودد الى يمين الدولة فلم يجدهم ذلك نفعا .

والنتائج التي يمكن استخلاصها من هذه الفتوحات ان محمود الفزنوي يعتبر فاتحا فذ الطراز، فبنى للدولة الاسلامية اساسها الركين ، وامتدت الى ربوع الهند بالرغم من شناعة اطرافها وتشعب طرق

الطرب ، وكلما فتح يمين الدولة مملكة من ممالك الهند الا واعتقد الهنود بان هذه الممالك واصنامها المقدسة قد غضب وسخط عليها (سومنات) وانه اهلكها اذ لم يكن راضيا عنها ، ان جانباً من هذا الاعتقاد الذي يسوقه لنا ابن الاثير هو الذي سيفسر لنا مدى تأثير هذه الاسطورة في عقلية الهنود واستماتتهم في الدفاع عن هذا الصنم ، ومدى كره يمين الدولة لمثل هذه الخرافة فجهز جيشا قوامه ثلاثون الف جندي وابتدت عملية فتح القلع والحصون المؤدية الى هذا الصنم فاخضعها ولقي في « سومنات » 120 الفا من السكان وظن اهل سومنات بان الصنم المبارك سيرد عنهم هذا الزحف التحريري لمعتقداتهم ، وبالإضافة الى ذلك كان موقع سومنات بني على شكل حصن عال يشرف على البحر فتسلق المسلمون الاسوار عن طريق سلاليم وضعت لهذا الغرض ، واشتد الحماس الديني بين الفريقين فاخذ الهنود يعفرون وجوههم في التراب ، ويسألون الصنم سومنات النصر بينما المسلمون استولوا عليه بقوة ايمانهم . وفر الكثير من الهنود الى البحر بعد ان يسوا من امر صنمهم (1) ، وكان مصير الصنم ان اخذ يمين الدولة في تكسيره واحراق اجزاء منه ، والبعض اخذ الى غزنة حيث جعله عتبة للجامع الذي بناه ، هذا الى جانب التحف والجواهر مما يهر العقول ويحل عن الوصف ، والطريف في الموضوع انه بعد سقوط الدولة الفزنوية لم يبق من آثار محمود غير مئذنة جامعته وضريحه حيث امر الانجليز بنقل ابوابه الخارجية الى الهند سنة 1842 م فلما منهم انها اجزاء من هيكل « سومنات » (2) .

وفي سنة 407 توجه يمين الدولة من خوارزم فذهب الى غزنة ومنها الى كاشمير ذلك الاقليم الساحر الجميل بمفاته وطالت غيبته فيها ثلاثة اشهر فلما اجتاز سيحون وجيلوم وهما نهران عظيمان اتسى صاحبها اليه معلنا اسلامه واتجه الى ما حول كاشمير كاقليم « ماجون » وفتح ما حوله من الحصون ، والولايات الفسيحة حتى وصل الى « هودب » وارعب صاحبها استعداد المسلمين بعد ان رأى جموعهم من احدي القلاع فاعلن اسلامه .

وهناك بعض الحملات الاخرى التي اتخذت طابعا تحريريا من مظاهر الالحاد كما حدث له مع الفور

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ج 9 ص 143

(2) بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية الجزء الثاني ص 121 .

العظيم ، ولم يشفع له سوى مكانته العلمية الممتازة التي يتصدرها في تاريخ الفكر العالمي ، وبلغ تعشقه للغة العربية حيث قال : (خير لي ان اهجو بالعربية من ان امدح بالفارسية) ولعل اعظم خدمة قدمها يمين الدولة للفكر الانساني هو احتفاؤه البالغ واهتمامه بعملنا البيروني هذا .

كما ان هذا العصر حفل بنشاط جم عظيم ابداه لنا شاعر كبير ونعني به الفردوسي فسعى الى يمين الدولة لينال حظوته عنده ، وتقدم اليه بتلك الملحمة الرائعة التي تعد من غرر الملاحم العالمية والتي بلغت ارقى الاساليب في فن الملحمة (3) ، وسميت « بالشاهنامة » اي سير الملوك ، وفيها مجد الشاعر محمود الفزنوي في كثير من ابياتها فعدد مناقبه كفاتح وبطل مسلم عظيم .

ويظهر ان محمودا تباطأ في مكافأة شاعرنا وكانت جائزته لا تفي بالفرض ، فتحركت عوامل النقد اللاذع فهجاه بايات تعارض الاولى التي مدحه بها واضطر الى الفرار لبلاط بهاء الدولة البويهبي بفقدان خوفا من بطشه به ، وفيها نظم ملحمة « يوسف وزليخا » التي تماثل في قوة اسرها ونفسها الباذة هوميروس وسرعان ما ضاق ذرعا بالحياة في بغداد فارتحل الى طوس .

تلك صفحة رائعة من صفحات سيرة هذا المسلم البطل وددت من عرضها هنا اعطاء ما تستحقه من جليل التقدير وعظيم الاعتبار .

مواصلاتها وكثر انهارها ، وامتداد سلاسل جبالها ، كل هذه العقبات قد ذلت بفضل قوة عزم المسلمين بزعامه هذا القائد المسلم الحديدي الارادة ، هذا الى جانب ارساء قواعد الايمان والعقيدة الاسلامية مكان تلك المعتقدات البالية ، كما ان نتائج هذه الفتوحات العسكرية ، ومدى الفنى العظيم الذي عرفته الدولة ، امكن ان تزدهر ازدهارا عظيما في مجال العلوم والفن والعمران ، وترتقي الى ارقى المراتب في معراج الحضارة الاسلامية ، وهذا ما اود شرحه الان بإيجاز .

ظهر تشجيع محمود الفزنوي الراسخ للادب والعمران بحيث لم يكن اقل اعتبارا وتقديرا اذا ما قورن بعقريته السياسية والعسكرية كزعيم مؤسس لهذه الدولة (1) ، وحامي دمارها ، فلقد حظيت جامعة غزنة باعظم ازدهار عرفته في ايامه ، وازدهرت كذلك حركة بناء القصور والمساجد والماثر الهامة ، وامتدت الحركة العلمية في امبراطوريته من لاهور الى سمرقند واصفهان ، وتم له ذلك في سنوات معدودات وبذلك يكون محمود اول سلطان آسيوي استطاع ان يترجم هذه الحركة العلمية في عهده بمثل هذا الازدهار (2) .

كما ان قصره كان كعبة القصاد من العلماء وجهابذة الفكر ، وفحول الشعراء ، وكانت اواخر ايامه بالبلاط حافلة بنشاط العالم الفذ ابي الريحان البيروني الشهير حيث وقع اسيرا عند ما فتح يمين الدولة خوارزم ، وانهم اهلها بالزندقة وكاد ان يهلك عالمنا

(1) و (2) و (3) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج 2 ص 121 .

من النقد إلى البلاغة

كاتب المقدمة والمقال الأستاذ
عبداس الحارثي

مقال يبحث في تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، منذ أن نشأ ساذجا مرتجلا لا يعتمد على غير الذاتية في إصدار الأحكام ، إلى أن تطور بارتقاء الذوق واتساع الثقافة ، ليسير على منهج علمي دقيق ، لم تلبث أن غلبت عليه الضيقة التعليمية ، فحولت النقد إلى بلاغة جامدة ، لا نزال اليوم نشرح قواعدها واصطلاحاتها وتقسيماتها الشكلية

لها : « بم فضله علي ؟ » فقالت : « فرس ابن عبدة أجود من فرسك » قال : « وبماذا » فقالت : « أنك زجرت وحركت ساقيك وضربت بسوطك » تعني قوله في قصيدته حيث وصف فرسه :

فللزجر الهوب وللحاق درة
وللسوط منه وقع اهوج مهذب
وقال علقمة :

فادركهن ثانيا من عنانه
يمر كمر الراح المتحلب

فادرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه ، فقال : « ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشقة » وطلقها فخلفه عليها علقمة الفحل .

وفي نفس المصدر أنه كانت تضرب لنايفة بني ذبيان قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ ، فتأنيبه الشعراء فتعرض أشعارها ، فكان من أول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير أنشده طويلته التي أولها :

سا بكاء الكبير بالاطلال
وسؤالي وما ترد سؤالي

فتسن العرب بشعرهم فتفتنوا به وتراووه وتذوقوه وعرضوه في عكاظ وغيرها من الأسواق ، حيث كان يلتقي الشعراء ورجال القبائل ، لينظروا فيه مستجيدين أو مستقبحين ، ويصدروا في عبارات موجزة بسيطة أحكاما سريعة مرتجلة ، صادرة لا عن دراسة وتحليل ، وإنما عن فطرة وذوق ساذج لم يتعقد بعد .

وبالرغم من أنها آراء ذاتية خالية من التعليل ، في أغلبها صائبة . ففي « موشح المزرباني » أن امرؤ القيس لما كان عند بني طيء ، زوجه منهم أم جندب ، وجاءه يوما علقمة بن عبدة التميمي وهو قاعد في خيمته وخلفه زوجته ، فتذكرا الشعر فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خيل لي مرابي على أم جندب
تقضي لبنانات الفؤاد المعذب

ثم قال علقمة في نفس القافية والروى قصيدته التي أولها :

ذهبت من الهجران في غير مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

واستطرد كل منهما في وصف ناقته وفرسه ، فلما فرغ علقمة ، فضله أم جندب على زوجها فقال

ثم انشده حسان بن ثابت الانصاري :

لنا الجففات الفر يلمعن بالضحي
واسياقتنا يقطرون من نجدة دما
ولدنا بني العتقاء وابني محرق
واكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما
فقال له النابغة : « انت شاعر ولكنك اقللت
جفانك واسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن
انجبك » .

في « الشعر والشعراء » ان الخنساء انشدته
في هذا المجلس قصيدتها في رثاء اخيها صخر :

قذى بعينك ام بالعين عوار
ام افقرت مذ خلت من اهلها الدار

فقال لها النابغة : « والله لولا ان سبقك ابو
بصر انشدني آتفا لقلت انك اشعر الجن والانس »
فقال حسان : « والله لانا اشعر منك ومن ابنيك ومن
جديك » فقبض النابغة على يده ثم قال : يا ابن اخي
انك لا تحسن ان تقول مثل قولي :

فانك كالليل الذي هو مدركي
وان خلت ان المتأني عنك واسع

ثم قال للخنساء : « انشديه » فانشدته فقال :
« والله ما رايت انثى اشعر منك » ، فقالت الخنساء ،
« والله ولا رجلا » .

من بين هذه الامثلة الموجزة نستطيع ان نبين
مظهرين للنقد في هذا العصر : اولهما : ذاتي يمثل
حكم ام جندب الطائية ليس مؤيدا ولا مدعما وبالرغم
من انها عللت رايها في بيت امرئ القيس كما اسلفنا
فهي لم تحاول امعان النظر في القصيدتين لتوازن
بينهما وتستقرىء ما جاء في الفاظهما ومعانيهما .
فكرها لامرئ القيس وجبها لعلقة وطلاقها من
الاول وزواجها من الثاني كل هذا دليل على ان حكمها
كان ذاتيا صادرا عن شيء في نفسها هو هواها . وفي
هذا اللون من الاحكام يشترك العرب جميعا يستمعون
الى الشعر ، يتذوقونه ويطربون له ويقدرونه
فيستحسنوه او لا يكون شيئا من ذلك فيستقبحوه
والثاني موضوعي يمثل حكم النابغة حين يعلل رايه
في شعر حسان . ولكن موضوعيته جزئية لا تبحث
ولا تتعمق . وهذا اللون هو لون الاختائيس من

الشعراء الذين كانوا يبدون الملاحظات لا يكتفون
بالاعجاب او السخط .

ومع هذا فالذاتية اهم صفة لهذه الآراء النقدية
الساذجة التي ليست وليدة نظرة فاحصة او دراسة
معمنة . ولعل السبب في ذلك ان حياتهم العقلية
اولية . بل ويبنتهم الطبيعية والاجتماعية وما فرضته
من تنقل وعدم استقرار لم تجعل الامن يعرف سبيله
الى عقولهم وقلوبهم لتنظر في العلوم والفنون وتبحث
وتفكر فجاءت لذلك آراؤهم تجمعها كلمات موجزة
سريعة لم تكن لتصدر الا ارتجالا وعن سليقة وملكة .
ولا غرابة فحتى هذا الشعر الذي استطاعوا ان يرسلوا
القول فيه لم يصدر عنه الا ارتجالا وعن هذه الملكة
نفسها .

وجاء الاسلام فخرج بالعرب من ظلمات الجاهلية
واضاء لهم اجواء جديدة لم يكن لهم عهد بها ونفذ
الى نفوسهم النافرة فاعاد اليها الامن والى عقولهم
فارتقى بها وهذبها وكان ان حل الاستقرار والهدوء
محل التنقل والاضطراب فنشطت حركة الشعر
يمثلها طائفتان من الشعراء - فاما الاولى فكافرة
تعادي الاسلام - وتخاصم اصحابه يمثلها شعراء
قريش ويردون على اباطيلهم . وكان النبي عليه السلام
المهاجرين والانصار ويرثون قتلى المشركين من اهل
مكة واشهر هؤلاء عبد الله بن الزبير والحارث بن
هشام بن المغيرة وابو سفيان بن حرب وامية بن ابي
الصلت الثقفي الذي كان الرسول ينهي عن رواية
شعره وخاصة قصيدته التي ضمنها في قتلى بدر . واما
الثانية فطائفة شعراء الرسول امثال كعب بن زهير
وحسان بن ثابت وغيره من شعراء الانصار الذين كانوا
يقفون في صفه يدافعون عن الاسلام ويناهضون شعراء
قريش ويردون على اباطيلهم . وكان النبي عليه السلام
يعثر بهم ويحثهم على تأييده ويطلب منهم ان ينصروه
بالشعر كما نصروه بالسيف . وفي الخبر انه قال
احسان - (اذهب لابي بكر وخذ عنه ما تريد من
معرفة مثالبهم ومواضع الدم فيهم) وكان يقول له -
(اهجم ومك جبريل روح القدس) .

واذن فقد نشطت حركة الشعر ونشطت معها
حركة النقد واصبح الدين ميزانا يقيس التقاد به
الشعر ينظرون فيه على هديه يستحسنون منه ما
لام روحه ومبادئه ويستقبحون ما خالف هذا الروح
وهذه المبادئ . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع نابغة بني جعدة يقول :

الفن الادبي . وبصفة عامة فقد بقي النقد في هذا العصر الاسلامي الاول قريبا من نقد الجاهليين فالتقناد يجمعون في كلمات موجزة سريعة احكاما يصدرون فيها عن ادواقهم التي لا زالت قريبة من الفطرة لا يبحثون عن العلل والاسباب ، وكان انصراف المسلمين للفتح والجهاد لم يترك لهم مجالا لاطالة النظر في الاديب واستقراء الفاظه ومعانيه ، واستخلاص عناصره وخصائصه والوقوف على عيوبه وتعليقها .

وفي العصر الاموي تلونت الحياة بالوان جديدة وتغيرت المظاهر وتحولت الاهداف بعد ان استقر العرب في المدن والامصار وتأثروا بحضارات مختلفة صقلت عقولهم وهذبت ادواقهم فتطور شعرهم ونموا وازدهر في بيئات لم يكن يعرفها قبل الفتح الاسلامي فقد اخذت الشام والعراق والحجاز تزاحم بيئة نجد التي نبع فيها اكثر الشعراء وكانت الحجاز اسبق هذه البيئات الى التطور بظهور ادب جديد فيها اهم ما يميزه انه يدور حول الحب وحوادثه مما كان له اثر في النقد الذي اتخذ مظهرين :

اولهما يمثله التقاد من الشعراء امثال كثير الذي سمع مرة عمر بن ابي ربيعة يقول :
قالت تصدى له ليعرفنا
ثم اغمز به يا اخت في خفر
قالت لها قد غمزته فابى
ثم اسبطرت تشدد في اثري

فقال له : « اترك لو وصفت بهذا حرة اهلك
الم تكن قد قبحت واسأت وقلت الهجر ؟ وانما وصفت
الحره بالحياء والخجل والامتناع » .

والثاني يمثله التقاد من غير الشعراء كابن عتيق فقد ذكر بحضرته شعر عمر بن ابي ربيعة والحارث ابن خالد فقال رجل من قرابة الحارث : « صاحبنا اشعر » فقال ابن ابي عتيق : « دع قولك يا ابن اخي فلشعر ابن ابي ربيعة نوطه بالقاب . وعلق بالنفس ودرك للحاجة ليس لشعر الحارث ، فخذ عني ما اصف لك : اشعر قريش من رقب معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه وتعطفت حواشيه وانارت معانيه واعرب عين صاحبه » وقد تحدث بعض المحدثين عن ابن ابي عتيق فقال عنه انه لم يكن في نقده يقصد الى الالفاظ والتراكيب ولم يكن يطلق الاحكام اطلاقا من غير تحليل . والحق ان هذا النقد الذي ازدهر في مجالس الشعراء

اثبت رسول الله اذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فيسأله وقد احس انه يفخر فخر الجاهليين :
(الى اين يا ابا ليلى ؟) فيقول (الى الجنة ان شاء الله) .

ثم يزداد اعجاب الرسول به ويدعو له بقوله :
(لا يفضض الله فاك) حين ينشده :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرها

ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

ناظروا الى قوله تعالى : (خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهليين) والى قول الرسول : (ليس الشديد
بالصرعة وانما الشديد من تملك نفسه عند الغضب) .

وهذا عمر بن الخطاب ينشده سحيم عبد بنسي
الحساس قوله :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء هاديا

فيقول له : « لو قدمت الاسلام على الشيب
لاجزتك » .

ونظروا الى مسألة اخرى في النقد هي مسألة الطبع والتكلف فاستحسنوا كل كلام يجاري الطبع ويساير الفصح المعروف واستقبحوا كل كلام فيه الغلو والتكلف والغريب . وهذه نزعة جديدة في النظر الى الكلام لم يعرفها الجاهليون . فقد سأل سائل عمر بن الخطاب : « يا امير المؤمنين اضحى بضبي ؟ » قال : « وما عليك لو قلت ضحى بضبي ؟ » قال : « انها لفة » قال : « انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش » هذا من ناحية اللفظ اما من ناحية المعنى فكانوا يحبون القصد والاعتدال ولم يكونوا يحبون الغلو والاسراف فعمر بن الخطاب كان يعجب بشعر زهير لانه لم يكن يعاقل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام . ولا يمدح الرجل الا بما فيه . وهذا نقد جديد يعتمد على تحليل الاختيار والتفضيل بناء على مقاييس تتناول كما رأينا الالفاظ والمعاني ، ولا نبالغ اذا قلنا انه اساس للنقد الموضوعي الذي يتعمق فهم عناصر

والفناء كان يصدر عن ذوق واحساس . ولكنه ذوق راق طريف واحساس مرهف مصقول .

وفي العراق نرى لونا من ألوان الشعر يزدهر تحت تأثير الثقافة الحديثة هو الشعر السياسي الذي نظم في خصومات الخوارج والشيعة مع بني أمية وانصارهم . وقد بدأت تظهر للخوارج في النقد الأدبي نزعة تهوذا بالشعراء الذين يقفون بآبواب الخلفاء والولاة ليمدحهم سعيا وراء الشهرة والعطاء ميزاتها الدين والاخلاق ومقاييسها « ان الشاعر الحق من صدق في قوله واتقى الله في شعره » فقد مر عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال :

ايها المادح العباد ليعطني

ان لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طالبت اليهم

وارج فضل المقسم العواد

لا تقل في الجواد ما ليس فيه

وتسم البخيل باسم الجواد

ولكن هذه النزعة لم تدم طويلا ولم يكتب لها البقاء فقد ضاعت مع ضياعهم .

وفيما عدا هذا فقد كان الشعراء يسبغون على نهج فحول الجاهلية يفخرون ويهجون ولكن في معان جيدة والفاظ مهذبة تأثرت بأسلوب القرآن . وكان طبعها ان يتبع النقد فيسير كذلك على هذا النهج . فقد كان الشعر ينشد في المريد وغيرها من الاسواق فيعرض له النقاد ليصدروا فيه عن ذوق حضري مهذب احكاما تبين ميزة الشاعر ووجوه ضعفه وقوته . واخرى تتجه الى التفضيل بين الشعراء فاي الثلاثة اشعر : جرير ام الفرزدق ام الاخطل . واذا نظروا الى المعاني فالى الجزئية منها . اما في الشام فبالرغم من اننا لا نجد فيها شاعرا مشهورا غير عدي بن زيد الرقاع شاعر الوليد بن عبد الملك . فقد ازدهر فيها المديح بسبب الشعراء الذين كانوا يزورون دمشق ليمدحوا الخلفاء متنافسين وراء العطاء والشهرة ، فقد كانت مجالس الخلفاء تعمم بالشعراء والادباء الذين كانوا يجردون في القصر منتدبي لهم يتناشدون فيه الشعر ويتدارسونه ، مما جعل لهذه المجالس اثرا كبيرا في الادب والنقد ، ولا غرابة فهي عند العرب كالصالونات عند الغرب . ففي العقند

الفريد ان عبد الملك بن مروان سمر ذات ليلة وعنده كثير فقال له : « انشدني بعض ما قلت في عزة » فانشدته الى هذا البيت :

هممت وهمت ثم هابت وهبتها
حياء ومثلي بالحياء حقيق

فقال له عبد الملك : « اما والله لولا بيت انشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك » قال :

« ولم يا امير المؤمنين ؟ » قال : « لانك شركتها معك في الهيبة تم استأثرت بالحياء دونها » قال : « فاي بيت عفوت به عني يا امير المؤمنين ؟ » قال « قولك :

دعوني لا اريد به سواها دعوني هالما فيمن يهيم »

واجتمع مرة في مجلسه جرير والفرزدق والاخطل فامر باحضار كيس فيه خمسمائة دينار ، وقال لهم : « ليقل كل منكم بيتا في مدح نفسه فايكم غلب فله الكيس » .

قال الفرزدق :

انا القطران والشعراء جريسي
وفي القطران للجريسي شفاء

وقال الاخطل :

فان تك زق زاملة فاني
انا الطاعون ليس له دواء

وقال جرير :

انا الموت الذي آتى عليكم
فليس لهارب مني نجاء

فقال له عبد الملك : « خذ الكيس فلعمري ان الموت يأتي على كل شيء » .

فعبد الملك في الشام كابن ابي عتيق في الحجاز ناقد خبير يتذوق . ويتعمق . فلقد غاب على بعض الشعراء عدم براعتهم في الاستهلال وعاب على آخرين اطلتهم في مدح انفسهم . وفي رايه ان المدح يجب ان يكون خالصا للممدوح .

واذن فالنقد في هذا العصر لم يبعد كثيرا عن النقد الجاهلي والاسلامي فهو لا زال يعتمد على الفطرة والدوق والشعور ، ولا زالت احكامه بسيطة غير معقدة ولا معلة تتأثر في اغلبها بهوى الخليفة او الولي وان كانت في اكثرها صادقة مؤيدة . وحتى الموازنة التي رايناها تنتشر في مريد العراق لم تكن تعتمد على دراسة او بحث وانما كانت تتأثر بفكرة المناقصة بين القبائل .

ثم وضع العلماء النحو في آخر العصر الاموي وضبطوا قواعده فظهر لون جديد من النقد كانوا يلاحظون فيه على الشاعر اخطاءه النحوية وعدم مسابرتة لنحى الاعراب . فقد نقدوا النايقة في بيته :

فبت كاني ساورتني ضيليه
من الرقش في انايها السم ناقع

وقالوا ان الصواب ان يقول ناقعا بالنصب على الحال . وهو لون قد اخذ يظهر فيه عنصر الموضوعية وان كانت موضوعية جزئية . فالناقد لا ينظر الا من زاوية معينة ، لا يحاول ان يفحص النص او يبحث في جوه وما جاء فيه من معان وخيال وابتكار وتقليد ، مما يجعلنا لا نفلو اذا قلنا ان النقد في عصر بني امية كان لا يزال في طوره البدائي ولم ينتقل بعد الى طور التعمق في فهم الادب .

اما في العصر العباسي فقد ازدهرت الحضارة وانتشر الترف واتسعت الثقافة لتشمل جميع الوان المعرفة وقد نضجت آداب العرب وثقات علوم غيرهم الى لفهم بعد ان نظمت الترجمة وشجعها الدولة فأسس المامون في بغداد مدرسة للمترجمين تضم مكتبة وتشرف عليها هيئة نظامية وجمعت مادة اللغة كما جمعت مادة الشعر الجاهلي والاسلامي وما اصدر عليه النقاد من احكام . وتأثرا بهذه الثروة العلمية والادبية ، تحول الدوق الفطري الى ذوق مثقف وتشعبت فنون الادب لتشمل الرسائل والخطب والحكم والوصايا والامثال ، الى جانب الشعر الذي لم يعد يصدر عن الطبع والسليقة ، وانما اصبح فنا وصناعة . واتخذ النقد في تناوله لهذه الفنون اتجاهين مختلفين :

فاما الاول فتقليد لنقد الاقدمين من جاهليين واسلاميين ولكنه اوسع واعمق ، فقد اخذ علماء اللغة ينظرون في شعر السابقين ويبدون رأيهم فيه ،

فابو عمر بن العلاء يقول في ذي الرمة : « ان شعره نقط عزوس تضحل عما قليل او ابعاد ظباء لها شم في اول شمها ثم تعود الى ارواح الابعار » وتنازعوا في افضلية شاعر على آخر ، فعلماء البصرة يقدمون امرا القيس وعلماء الكوفة يقدمون الاعشي وعلماء الحجاز يقدمون النابغة وزهيرا . ونظروا في شعر الشعراء وبحثوا الموضوعات التي نبغوا فيها واتقنوها والموضوعات التي فشلوا ولم يوفقوا فيها فقالوا : « امرؤ القيس يحسن وصف المطر ، وعنترة يحسن ذكر الحروب وطفيل الفنوي يحسن وصف الخيل وعمر بن ابي ربيعة يحسن ذكر الشباب » . ثم نظروا في المعنى الواحد عند اكثر من شاعر وفي اللفاظ ما يستحسن منها وما يستقبح والى اخطاء النحو والاعراب والى ما وقع في الشعر من اخلال بالوزن والقافية وكان الخليل بن احمد قد وضع علم العروض وحدد اوزانه وقواعده ، ونظروا الى ناحية الدين والاخلاق فعاثوا على الشعراء الذين يمدحون ويسرفون وراوا انهم بغلوهم يجاوزون حدود الدين كما نظروا الى الشعر من زاوية عناصره الفنية الخالصة كالخيال والاستعارة والكفاية والمجاز والابتكار والتقليد .

واما الثاني فاتجاه علمي ، لم يسبق اليه القدماء يعتمد على المناهج ويقوم على التأليف ووضع الكتب . ولعل اقدمها كتاب : (طبقات فحول الشعراء » لابن سلام الجمحي وقد تناول فيه طبقات الشعراء فجعل الجاهليين عشر طبقات وكل طبقة اربعة شعراء وزاد على هذه الطبقات عشر طبقة اصحاب المراتي ثم شعراء القرى العربية وجعلها خمسا مكة والمدنية والطائف واليمامة والبحرين ثم شعراء المدينة الفحول من اوس وخزرج . ثم قسم شعراء الاسلام فجعلهم كالجاهليين عشر طبقات وكل طبقة اربعة شعراء ، وقد اعتمد في تقسيمه على كثرة شعر الشاعر وجودته وتعدد اغراضه دون احصائها كلها مقتصرنا على المجيدين في المراتي وكأنه رآها اغزر الاغراض بالعاطفة . والذي يؤخذ عليه انه غاب الكثرة فجعلها مقياسا لقيم الشعر دون ان ينظر الى التوفر الفني فيه في وقت لم يوفق في حكمه بالقلة على شعربعض القرى كمكة مثلا وكأنه لم ينظر الى شعر عمر بن ابي ربيعة وغيره من الغزليين . كما انه لم يقف طويلا عند النصوص التي اوردها لينقدها ويدقق البحث فيها ويكشف عن مواطن الجمال والتعب فيها . وابن سلام في نقده يعتمد على الدوق في تقدير القيم الفنية والاحساس بالجمال ، وعلى الدربة والبصر بالشعر وعلى النظر في النصوص

لتحقيق نسبتها وفي ظواهر الصحة والانتحال وتفسيرها منقبا عن العوامل ومدللا على الاسباب في روح علمية ونهج قويم . والدارس لطبقات ابن سلام يلاحظ انه اسس نقده على عناصر اربع : عنصر ذاتي في نظريته الى الكثرة والجودة ، وعنصر اجتماعي في تفريقه بين الجاهليين والاسلاميين وعنصر تاريخي في تحقيقه في صحة الشعر ونسبته . ثم عنصر موضوعي في تقسيمه الشعراء الى بدو وحضر . ولعل هذه اول مرة يلاحظ فيها الناقد العربي اثر البيئة في اسلوب الشاعر كما في تعليقه لسهولة شعر عدي بن زيد بان كأن يسكن الحيرة ومراكز الريف .

وبالرغم من ان ابن سلام عاش في اواخر القرن الثاني واولئل القرن الثالث فانه لم يعرض بالنقد والتحليل لشعر معاصريه امثال ابي نواس وبشار وابي تمام ولعله لم يتصد لهم خشية ان يضاب بهجوههم المقدع ولعله كذلك لم يكن يعتد بشعر المحدثين جريا على ذوق اللغويين المحافظين . وابن سلام وان لم يبعد كثيرا عن حدود المنهج الفني ، ولم يعتمد على منهج مستقيم فقد اصاب في التنبؤ وتحقيق النصوص واستطاع ان يعطي صورة للنقد العربي وتطوره منذ الجاهلية حتى اوائل القرن الثالث ضمت اذواقا مختلفة وافكارا مبشرة لم تستأنها ووطد اصولها . ولعل هذا كفيل بان يجعل كتابه من اهم ما كتب في النقد الادبي عند العرب افاد النقاد بعده كثيرا مما جاء فيه .

سياسة علي كرم الله وجهه في قبض الخراج

روى ابو يوسف عن رجل من ثقيف قال استعملني علي بن ابي طالب رضي الله عنه على عكبراء فقال لي واهل الارض معي يسمعون : انظر ان تستوفي ما عليهم من الخراج واياك ان ترخص لهم في شيء واياك ان يروا منك ضعفا ، ثم قال رح الي عند الظهر ، فرحت اليه عند الظهر ، فقال لي : انما اوصيتك بالذي اوصيتك به قدام اهل عملك لانهم قوم خدع ، انظر اذا قدمت عليهم فلا تبين لهم كسوة شتاء ولا صيف ولا رزقا ياكلونه ولا دابة يعملون عليها ، ولا تضربن احدا منهم سوطا واحدا في درهم ولا تقمه على رجله في طلب درهم ، ولا تبع لاحد منهم عرضا في شيء من الخراج ، فانا انما امرنا ان نأخذ منهم العفو ، فان انت خالفت ما امرتك به ياخذك الله به دوني وان بلغني عنك خلاف ذلك عزلتك ، قال : قلت اذن ارجع اليك كما خرجت من عندك ، قال وان رجعت كما خرجت ، قال فانطلقت فعملت بالذي امرني به فرجعت ولم انتقص من الخراج شيئا .

الرييح في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

باستثناء شعراء الجاهلية - قلما تغريهم المناظر المهولة والقوية ، مثل انفجار البراكين وتلاطم الأمواج في عرض البحار وتدفق السيول في الأكام والبراري وغير ذلك من مشاهد العظمة في هذا الكون الذي نحيا فيه ، بل انهم يعربون عن كراهيتهم لمثل تلك المناظر، وإذا أوردوا ذكرها ، فانما بقصد الهجو ، فهذا أبو تمام لم يرقه الشتاء بخراسان ولا مرأى الثلوج بجبالها يقول :

لم يبق للصيف لا رسم ولا طلل
ولا قشيب فيستكي ولا سمل

عدل من الدمع ان يبكي المصيف كما
يبكي الشباب ويبكي اللهو والفزل

يعني الزمان طوت معروفها وغدت
يسراد وهي لنا من بعده بديل

ما للشتاء وما للصيف من مثل
يرضى به السمع الا الجود والبخل

اما ترى الارض غضبي والحصا قلق
والجو بالحرجف (1) التكبء يقتل

من يزعم الصيف لم تذهب بشاشته
ففير ذاك امسى يزعم الجبل

غدا له مفتر (2) في راسه يقق (3)
لا تهتك البيض فوديه ولا الاسل

إذا خراسان عن صنبرها (4) كشرت
كانت قتادا لنا انيابها العصل (5)

من احسن ما يستوقف القارئ في الشعر العربي بعض القصائد والمقطوعات التي تتفنى بالطبيعة وجمالها وجلالها ، فتثقل النفوس الى عالم كله طراوة وبهجة وانسجام والوان زاهية واصوات غردة منعشة، فالشعور بالطبيعة كان من الينابيع الفزيرة التي وقف عليها شعراؤنا فرووا ظلمهم واستقوا بعض ما قالوا من اجود القريض واحبه الى النفوس ، ونحن بدون ان نتناول الموضوع من وجهة تاريخية ، يجب علينا ان نلاحظ بادية ذي بدء ان الشاعر العربي ، بالرغم من الظواهر ، قد تطور في تذوقه للطبيعة وتصويره لها ، تبعاً لتغير ذوقه بالاحتكاك والاقتباس ، وبانتقاله من مكان الى غيره ، فبعد ان كان شاعرنا وهو في جزيرته العربية لا يعرف غير مناظر الصحراء القاحلة الجرداء، نراه ، وقد مكنته دولة الاسلام الفتية الناهضة بفضل فتوحها وتوسعها من الاستيطان بكل الاقاليم والقارات المعروفة في ذلك العهد ، اصبح واقفا على كل اسرار الطبيعة ، عارفا بمناظرها المختلفة ، من فيافي مقفرة الى غابات وآجام ومن بطاح مخضرة شاسعة الى جبال مكسوة باردية الثلج البيضاء ، ومن بلدان شمسها مشرقة وسماؤها صاحبة الى اخرى ترى الفيوم متراكمة فيها طول السنة .

الا ان الفلسفة الابيقورية التي كان يعيش عليها المجتمع العربي في مختلف العواصم ، او بالاخص الطبقة المترفة فيه ، جعلت الشعراء ، وهم الصوت الطبيعي لذلك المجتمع ، يغلبون جانب الجمال والمتعة في شعورهم بالطبيعة على الجوانب الاخرى ، بحيث تجدهم - وذلك

- (1) الحرجف : الريح الباردة القوية (2) المفتر : مثل الخودة التي يلبسها المحارب
(3) يقق : ابيض شديد البياض (4) الصنبر : شدة البر (5) العصل ج اعصل : معوج .

فشعراؤنا في هذا المضمار ساروا في الاتجاه المعاكس الروماتيكين في أوروبا حيث كان هؤلاء يؤثرون التحدث عن الجانب الموحش والمتجهم في الطبيعة وقد استوحى منه كتاب امثال « شاتوبريان » و « لامارتين » و « وبايرون » و « فيكتور هوجو » صفحات تعد من اروع ما كتب في الادب الاوروبي .

ولهذا فقد كان الربيع وهو الفصل الذي يغلب فيه جانب الانس في الطبيعة على جانب الوحشة ، موضوعا مؤاتيا لميول شعرائنا او بالاحرى موضوعا متجانسا مع الذوق العام للمجتمع العربي في ذلك العهد ولما كان ينشده من انواع المتعة في الحياة ، فقد نظموا فيه شعرا كثيرا ، فرصفوه ومدحوه واستقصوا في البحث عن جوانب جماله وتغننوا في تصوير كل ما يتم عنه او يرمز اليه من زهر وريحان وطير ونسيم . الا ان الاقبال على الربيع وتذوقه واتخاذة موضوعا من مواضيع الشعر لم يظهر طفرة في الادب العربي ولم يرافق هذا الادب منذ نشأته الاولى ، وانما نما وترعرع في ظروف طبيعية ، تبعا لتطور الحضارة العربية وتعدد مراكزها وتنوع مشاربها .

فنحن اذا انصرفنا الى الشعر العربي الاول من جاهلي ومخضرم لا نجد شيئا ذا بال نظم خاصة في الربيع ، وانما هي صور عن الطبيعة تجيء في عرض القصيدة او في مستهلها عند ذكر منازل الاحباب ، كما جرت بذلك عادة الشعراء العرب ، او عند التعرض لوصف سفر من الاسفار ، وتلك ظاهرة تعللها في نظري الاسباب التالية :

اولا : من المسلم به عند نقاد الادب ومؤرخيه ان الشعراء لا مندوحة لهم عن التأثير بالمناخ الذي يعيشون فيه وبالطبيعة التي تحيط بهم بحيث يظهر لذلك انعكاس واضح في شعرهم ، وبما ان شعراء الجاهلية والصدر الاول من الاسلام لم يعرفوا في الغالب الا المناظر الصحراوية الخالية من سمات الربيع ، فانه من المنطقي ان يكونوا امسكوا عن وصف شيء لم يروه ويحسوا به ، ويزيدنا اقتناعا بهذا الرأي علمنا بانهم كانوا وصافين الى حدود المبالغة حتى قيل ان ابرز ظاهرة تلمع في الشعر الجاهلي هي الاغراق في الوصف والتصوير ، اجل ، لقد وصفوا الناقة ووضفوا الفرس ووصفوا الرمح والسيف لان كل هذه اشياء كانوا يعرفونها ، ولكنهم لم يعتنوا بوصف الربيع لان الربيع ما كان يشير شئنا في مخيلتهم .

ثانيا : يظهر ان تذوق الطبيعة له ارتباط بمستوى الحضارة ، فالبدوي الذي يعيش دائما وسط

الهواء الطلق وبين احضان الطبيعة والذي يكابد ما يكابد من متاعب الحياة ومشاكلها لا يستهويه ما ياله من مشاهد وما يراه كل يوم من مناظر ، فليس لديه ذلك التهيؤ النفسي والاستعداد الفكري اللذان يلهمانه الى جمال الطبيعة ويحببانه اليه ، في حين نجد الحضري يشتاق من حين لآخر الى النزهة في البساتين وفي الحقول ، واذا ما وقف امام بطحاء مخضرة تتمايل فيها الاشجار على هبوب النسيم تراه يتحرك ويتململ من شدة الطرب ، وكل هذا معناه ان التائر بمنظر الطبيعة ليس من المشاعر البدائية ، بل انه عنوان عن مستوى فكري وروحي رفيع .

ثالثا : هنالك ظروف مادية ما كانت لتساعد الاعراب على الاحساس بجمال الربيع ، فالفقر والبؤس حجاب بينهم وبينه ، وهم قبل ان يفكروا في اخذ حظهم من الكماليات يجدون انفسهم دائما في مصاعب مع ضروريات الحياة ، بحيث يمكن القول ان الاستمتاع ببهجة الربيع نعمة مقصورة على طبقة محفوظة من الناس المترفين الذين يملكون الخدائق والبساتين والرياض والذين يساعدهم الفراغ على اخذ حظهم من جمال الفصول كلها شأنهم في ذلك شان السواح الموسمين في عصرنا هذا الذين يقطعون الاف الاميال ليقيموا سهرة عيد الميلاد في بلد آخر .

ومع ذلك ، فمن الواجب علينا ان نعترف لشعرائنا القدمين بانهم كانوا صادقين فيما صوروه من مناظر طبيعية فلم يحاولوا ان يزخرفوا ولا ان يتصنعوا ولا ان يفرقوا في الخيال ، وهم من هذه الناحية اقرب الى روح الشعر العصري الذي تائر بالواقعية الى حد كبير .

فهذا امرؤ القيس حين يصف تهطل الامطار وتدفق السيول ، تجد نفسك امام شاعر لا يهمه الا ان يصور لك روعة المنظر ورهيبته ، تحس بذلك سواء فيما يسرده من احداث او فيما ياتي به من تشبيهات او فيما يستعمله من لفظ ليعبر عما يشعر به ، وله في هذه القطعة المشهورة من معلقته ترتيب عجيب يكاد يشبه ترتيب المسرحية من نوع المأساة حيث نشاهد منذ البداية الاهواء (ا) تطفئ رويدا رويدا . فتصطدم ارادات الانطال وعزائمهم حتى اذا بلغ العراك ذروته ووصل توتر النفوس الى منتهاه ، اتجهت المأساة نحو حلها المحتوم ، هذا الترتيب المسرحي ادركه امرؤ القيس بقرينته البدوية ، فصور لنا منظرا من مناظر الطبيعة القوية ، فتري البرق يلمع ثم تهطل الامطار وتندفق السيول وتطفئ قوى الطبيعة ويصبح مرآها رهيبا

حيث ترى جداول المياه المتسارعة تخرب كل ما صادفت في طريقها :

فاضحى يسح الماء حول كتيفه
يكب على الاذقان دوح الكنهيل
ومر على القنان من نفياته
فانزل منه العصم من كل منزل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا اجما الا مشيدا بجندل
كان ثبيراً في عرائن وبله
كبير اناس في بجاد مزمل
كان ذرى رأس الجيمر غدود
عن السيل والغشاء فلكة مغزل

وبعد هذه المشاهد القوية الرائعة المربعة ، يصور لنا الطبيعة وقد عادت الى حياتها العادية والى هدوئها ووداعتها ، فيصف لنا الطيور وقد اصبحت فرحة نشوى والسباع وقد غرق اكثر اجسادها في المياه فيقول :

كان مكاكي الجواء غدية
صبحر سلافا من رحيق مفلل
كان السباع فيه غرثى عشية
بارجائه القصوى انابيش عنصل

ومما يدل على واقعتهم انك قلما تجد وصفا مسهباً للنبات في قصائدهم ، لان مناظر بلادهم كما قلنا آنفاً خالية في الغالب من النبات . فهذا زهير ابن ابي سلمى حين يقف على منازل الاحباب ويصف آثارها يذكر كل شيء ما عدا النبات . فهو يشير الى آثار الديار ويصور البقر الوحشي والرائث واولادها وهي تجوس خلال تلك الآثار ، ثم يتكلم عن الاثافي التي كانوا ينصبون عليها القدور عن النوى وهو الحاجز الذي يبنى حول البيت ليقيه من السيول ، ولكنك لا تجد اثراً لنخلة او سدرية او تينة او غيرها من الاشجار ، فالمنظر لا يشمل الا الحيوان والجماد :

امن ام اوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالتثلثم
ديار لها بالرقمطين كأنها
مراجع وشم في نواشر معصم
بها العين والارام يمشين خلفه
واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلاياً عرفت الديار بعد توهم

اثافي سفعا في معرس مرجل
وتؤيا كجذع الحوض لم يتنلم
وهذه المناظر الجافة الموحشة كانت في الواقع من الاسباب التي جعلت العربي يشيد بالشجاعة ويعتز بها ويرى ان الطبيعة ان كانت بخلت عليه بالارض الخصبة وبالعيش الرغيد فقد وهبت الصبر والثبات والقوة وكلها مزايا روحية تضفي على الانسان رداء الكرامة والهيبة ، ولهذا ، فاننا نرى شعراء الجاهلية يفتخرون بكونهم يعيشون وسط هذه الطبيعة المخيفة ، فامرؤ القيس يقدم لنا نموذجاً من ذلك حيث يقول :

وواد كجوف العبر قفر قطعته
به الذئب يعوي كالخليع المعيل
وكذلك يصف لنا تابط شراً صعوده الى جبل وسط النهار تحت هاجرة الشمس المحرقة :

وقلة كسنان الرمح بارزة
ضحيانة في شهور الصيف محراق
بادرت قنتها صبحى وما كسلوا
حتى نبت اليها بعد اشراق
لا شيء في ريدها الا نعماتها
منها هزيم ومنها قائم بياق

هذه نظرة خاطفة على الشعر العربي الذي نظم في جزيرة العرب وهي تبين لنا ان الربيع لم يخط بالتفات الشعراء في ذلك العهد .

والواقع ان شعر الربيع والطبيعة ، بصفة اعم ، لم يصبح باباً مهماً من ابواب القريض الا يوم اصبحت للحضارة العربية الاسلامية تمكن واستقرار وامكن للشاعر العربي ان ينسلخ عن بداوته وينسى جو الصحراء ومناظرها ليندمج بجسمه وروحه وعقله في حياة العواصم الزاهرة المتلونة ، تلك العواصم التي لم تستمد عظمتها وثراءها الا من المناطق الزراعية الخصبة التي كانت تحيط بها ، مثل منطقة ما بين النهرين دجلة والفرات في العراق ومنطقة وادي النيل في مصر ومناطق اخرى باسبانيا وفارس والشام والمغرب .

هذا الشعر الجديد الذي اوحته تلك المدينة الجديدة ، هو الذي سنلقي عليه نظرة في مقالاتنا المقبلة .

يتبع

أصول الثقافة الكفريّة

لأستاذ المحسن السّايح

- 2 -

اعظم مؤلف روماني من مواليد افريقيا وهو مؤلف كتاب
الجمار الذهبي والنوادر ، وازهار الفلسفة الخ ...
وان يكون من القياصرة كورديسان Gordien
وسبتيم سيفر Septime Severe وهو سوري ينتمي
الى عنصر بربري وولي حكم روما بصفته قنصلا من
سنة (193 / 211) (انظر كتاب فيكتور دورى
Victore Doury في كتابه القيم Histoire Romaine
ص 526 .

ويمكن ان نحصر تأثير الثقافة الرومانية في
النواحي الآتية :

- 1 - في النظام العقدي والقانوني .
- 2 - في اللغة وآدابها .
- 3 - الفنون المعمارية والهندسية .

اما النظام العقدي والقانوني ، فقد اجهده
الرومان انفسهم للقضاء على الاثر الفينيقي في سائر
الميادين فاحتلوا المدن الفينيقية التي كانت تشمل
افريقيا الشمالية من افريكا الى نوميديا (مركز
مسنيسا) الى موريطانيا وهي المغرب التي كانت تحت
نظر القائد البربري بكوس ، وحرس الرومان حدود
(الليماس) Limes بالليف (ليجيون) Légion
واذا فقد استولى الرومانيون على نوميديا واربوا بكثير
على القاعدة الجغرافية التي اختصها سيفاكس
Syphax وماسنيسا Massinissa الى ناحية

ورغم المقاومة الصارمة التي ابداهما البربر ضد
الاحتلال الروماني (يوقرطا) الى عهد القائد تاكفارتاس
Tafarinas الذي استسلم باطرة للرومانيين الذين
تعاون معهم ملوك برابرة وبالاخص يوبا الثاني صديق
كاينوس الذي حملته معه الى المشرق وزوجه من ابنة
كليوباترة (يوبا هذا هو مؤسس مدينة القيصرية وهو
فنان مثقف ومهندس بارع الذوق ، الف في مختلف
شعب العلوم ويعتبر يوبا الثاني هو الرائد الرئيسي
للحضارة الرومانية في المغرب)

لقد انتشر المعمار الروماني وتجلّى في هذه المدن
الرومانية التي ما تزال معالمها في المغرب كوليلي (1)
ولينا (2) وسلاكلونيا وطنجة وروسادير (مليية)
وربما كانت سجلماسة (3) من بينها بل ان مدينة وليلي
ما تزال تحتفظ بهيكل المدينة الرومانية من باب
الشمال الى باب الجنوب وما تزال عرصات معبرة عن
معالم هذه الحضارة ، ويخطئ كثير من المؤرخين حين
يزعمون ان البربر لم يتأثروا بالحضارة الرومانية ، بل
كان من طابع البربر قوة استعدادهم للاخذ والاقباص
في اسرع وقت ممكن وكفى ان نذكر ان الفتح العربي بدا
بغرب الجزيرة وحدهم واستمر الى الاندلس بعرب
الجزيرة وبرابرة الشمال الافريقي ، وهذا لا يدل على
فقدان الشخصية بمقدار ما يدل على طابع هذا الشعب
الذي يمتاز بقوة قدرته على استيعاب مختلف عناصر
الحضارات مع الاحتفاظ بمقوماته الذاتية ، بل من
دواعي عظمة هذا الشعب ان يكون (ايليوس) وهو

- (1) اسم نوسيج احد القادة الذي سرعان ما استحال الى مدينة كيزري .
- (2) وقع العثور على ست حمارات تحت هذه المدينة الرومانية وفي (صودا) قرب تطوان امكن الكشف عن
مدينة برمتها كانت قد لحطمت عند الفزو الروماني (انظر خطاب (ازونا) في متحف الآثار بالرباط)
- (3) يظن بعض المؤرخين ان سجلماسة رومانية من الاسم Sean - Messa أي Sigilme - Massa

(تانجيتين) (4) وحولوا الحياة البربرية من التأثير الفينيقي الى التأثير بالحياة الرومانية سواء في تفكيرها او نظامها وقد حولوا الحياة الاقتصادية نفسها يوم ادخلوا الجمل فتغيرت الحالة من نظام نوميدي اي الرحالات الى حياة الرعي والانتجاع سيما في بلاد الشاوية التي معناها (رعاة الغنم) والتي كانت تشمل حدود نوميديا الحالية ثم انتقلت الى اقليم (تانجيتين) .

ومن المعلوم ان العقيدة الرومانية كانت قبل ظهور المسيحية عقيدة وثنية متفطرة قامت على انقراض الوثنية الفينيقية ، فهدم الرومان معبد بعسل وعوضوه (بابلون) كما هدموا (قانيث) وعوضوه (بسيلستيس) ثم تمسح الرومان بعد انتصار المسيحية في بلادهم وحملوها الى افريقيا حين كانت ذات اثر قوي في البربر الذين راوا فيها عقيدة الخلاص مما يعانون من تعسفات الرومانيين وارهاقهم للشعب البربري ، ولم يلبثوا ان تركوها يوم اعتنقها الرومان كدين رسمي واصبحت لا تقيم فروقا بينهم وبين اعدائهم .

واذا كان البرابرة تأثروا بديانة الشرق التي حملها الفينيقيون فعبدوا اوثانا تمثل الالهة بعسل وتانيت ، فانهم كذلك تأثروا بالوثنية الرومانية ثم بالمسيحية لما انتشرت في بلاد الرومان وانتقلت الى افريقيا حيث تزعمها الراهب القديس سيبريان Saint Cyperian وقد ظل البرابرة اوفياء للمسيحية الى عهد الامبراطور قسطنطين سنة 312 حيث اصبحت المسيحية دين الدولة الرسمي وراى البرابرة انها لم تعد متنفسا لثورتهم ضد الرومان فانشقوا عن الكنيسة تحت شعار دوناتزم نسبة الى راهب قرية بربرية يسمى دونات Donat وقد برز من زعماء المسيحية الراهب الكبير اوغستان Augustin المولود بعنابة سنة 430 والذي حارب الدوناتزم جهدا مستطاع وسجل آراءه في كتابه مدينة الله واعترافاتي ولا شك ان اوغستان كان محركا لنشاط فكري ديني في عصره مما خلق في البلاد المغربية نشاطا عقليا حادا . . . وقبل اوغستان بكثير عرفت قرطاج اسم الكاتب الكاثليكي تروتوليان من مواليد 150 م وهو من دعاة المسيحية بين البربر .

تأثرت الفلاحة البربرية بالفلاحة الرومانية وما تزال في الاصطلاحات البربرية عبارات رومانية مثل كلمة (اكر) المحرفة عن اكر والتي معناها الفدان ، وكذلك عدة مفردات نباتية .

اما عن التأثير العرفي ، فقد يكون في ازرف بعض الانظمة ذات الاصل الروماني ، ويظهر ان نظام (الجماعة) في الحكم قد يكون مستوحى عن نظام الحكم النيابي الروماني والذين يريدون دراسة تفصيلية لهذه النواحي انصحهم بمطالعة ما كتبه Basset في (محاولات في الادب البربري

Essai sur la littérature berbère وما كتبه لاوس في كتابه مسميات واشياء بربرية وفي الدراسات البربرية التي كتبها Gearmy اما الاقتصاد فان شبكة خطوطه المواصلات التي انشأها الرومان والتي كانت عبارة عن طرق عريضة مرصفة تربط ما بين طنجة الى سلا مارة بالعرائش ومن طنجة الى ويلي وبين تلمسان وويلي عن طريق تازة ، بل ان هناك طريقا تربط بين طرابلس (وتافنة) وقد اقتفى الرومانيون اثر الرحلة الطويلة التي قام بها (هانون) فاستقروا بالشواطئ المجاورة لتطوان براس (سارطيل) وبقلعة ليكسوش المشرفة على ميناء العرائش ، فلا شك ان هذه الشبكة كانت معبدة لحمل البضائع ونقل الصادرات الى العاصمة (الام روما) وحمل الواردات الى الرؤساء والافياء ، وبذل نشاط تجاري استفادت منه كل الطبقات .

اما التأثير الروماني في المعمار والفنون الجميلة ، فان ذلك يظهر في القناطر العتيقة الموجودة في المغرب ذات الاقواس المتداخلة الاحجار وقناطر حمل المياه وفي الحمامات المبلطة بالفسيفساء واما الفن فيظهر في صناعة الخزف ، وصناعة المصاييح بمدينة (شرشال) القيصرية وبعض صور الزراي البربرية القديمة .

هذا هو التأثير الروماني اما الحياة الروحية والنصرة القومية فقد كان التأثير في احمادها ضعيفا ، انما يستطيع ان يؤدي اثره تحت الضغط والتعسف حتى اذا وجد السكان متنفسا لهم ثاروا من جديد ، اذ ان اللغة البربرية ظلت قوية طيلة العهد الروماني بل انتشرت هذه اللغة القومية في عهد (مسنيسا) الذي

(4) اطلق الرومان كلمة موريتانيا Mauritania على شمال افريقيا باستثناء طرابلس ونسبها الامبراطور (كلاوديوس) Claudius الى تسمين التانجيتية والقيصرية وفي سنة (361) قسموها الى عمالات وهي بدورها الى (ابرشيات) ثم الى مقاطعات وصارت موريتانيا التانجيتية تابعة لاسبانيا .

أحياء ونفخ في قومه روح العزة الوطنية واستقل باقتصاد بلاده فطبع السكة باسمه وحسن مسائل الفلاحة بارضه ووحد البلاد سياسيا ورغم ان البرابرة كتبوا المسرحيات وصنفوا الكتب باللفظة اللاتينية فان طابع التفكير البربري ظل باسرها في انتاجهم (فابوليوس) المؤلف القصصي له طابعه الخاص (وفلوروس) المؤرخ الكبير له فلسفة في التاريخ وخاصة فيما يتعلق ببلاده .

وما كادت ستة قرون تنصرم على الاستعمار الروماني حتى شعر الرومان بخيبة استعمارهم لان اللغة الفينيقية لم تمت وانما بقيت لسان الشعب يرتل بها اناشيده الكنسية ويعبر بلغته القومية في ثورته ضد الاستعمار الروماني ، فكان الانتصار للفينيقية البونيقية والانزعام للرومانية المتفطرة .. وباتهاء حكم الرومان يتعرف المغرب على حضارة جديدة او بعارة ادق على لون باهت من الحضارة التي كانت تنسب للونداليين فقد وصلت جحافل جنود جنسريق بعد ان مهد له الكونت يونيفاص الطريق ليستولي على افريقيا الرومانية وقد شيد هذا القائد الروماني مملكته على انقاض المملكة الرومانية في افريقيا وضرب النقود باسمه ونظم المحاكم على غرار ما فعل الرومان من قبله وشجع المذهب المتشي الى (اريوس) وبني له المعابد ، ظهر ادباء باللغة الوندالية منهم الامير جاليم Jélimer الذي نظم مرتبات في الدولة الوندالية .

ولكن البربر لم يستفيدوا من الوندال شيئا ، لان الوندال كانوا اقرب الى الوحشية منهم الى الحضارة ، فلذلك لم يفيدوا ولم يستفيدوا .

واذا كان البربر قد استفادوا شيئا من الوندال فهو تجربتهم لصمودهم واختبارهم لبلاتهم في الدفاع عن ارضهم والتمسك بقوميتهم .

ولا اشك ان تكون تبقت هناك رواسب لقوية قليلة جدا في اللغة البربرية ، واقول قليلة لان الوندال لم يتمكنوا من التوغل في البلاد ، ولم تطل اقامتهم بها ولم يطل عهد الوندال فقد دخلت بيزنطة في حروب طويلة ضدها واعان البربر الجنرال باليزار Bélisair على احتلال قرطاجنة ومطاردة الوندال ، والذي يهمن

هو الاثر الذي خلفه البزنطيون (5) في بلاد البربر ، والطابع الخاص الذي طبعوا به هذا الشعب العظيم ، لقد غير البزنطيون نظام تقسيم البلاد ، فجعلوها سبع مناطق على كل منطقة عامل يصل الى هذه الوظيفة عن طريق الارتشاء ، وكانت هذه هي النكبة الاولى التي حلت بالاقتصاد المغربي اذ تنافس القواد في شراء هذا الوظيف السامي واستثمروه عن طريق الضرائب والاناوات حتى اثقلوا كاهل الشعب وافقروه على ان هؤلاء الرؤساء استخدموا العمال في بناء الحصون وتشييد القلاع لحماية البزنطيين من هجوم السكان الثائرين ولحراسة الموانئ والمرافئ لحماية تجارتهم حيث كانوا مستعمرين تجارين كالفينقيين من قبل وكذلك شيّدوا الكنائس ذات شكل بيزنطي لطيف كان العمال هم بناتها ومشيدوها .

غير ان البربر شاهدوا ازمت متوالية نظرا لسوء الادارة والانتفاضة البربرية ضد الحكم الاجنبي، ولولا ان جان تروجيلطة Jean Troglita ثبت اقدام البزنطيين لعصف بهم البربر .

واما التأثير الروماني من الناحية الدينية ، فقد وهنت سلطة الكنيسة ، وذلك لان البزنطيين انقسموا شيعة دينية وحاربوا الدونازم كما حاربوا الديانة اليهودية ، فضعت سلطة الدين .

وعرفت افريقيا البزنطية حركة ادبية وعلمية ومدارس متعددة، وقد برز في عصرهم الشاعر الافريقي كوريبوس Corripus صاحب منظومة La Johamide (اليوحانية) نسبة الى ممدوحة جان ترويسلطة وهي ملحمة تاريخية مهمة جدا .

واما الفن المعماري فهو ما يزال ماثلا في اثار سفيطة Seffétula وفي الكنائس الفخمة وفي الحصون المنيع والذلي لاشك فيه ان اجدادنا البرابرة تاءثروا بهذه الفنون والاداب الى حد ما ولكن استمرار الثورات والقتال عفى على هذه الآثار .

ولم يكن المغرب بمعزل عن التيارات الفكرية في بلاد المشرق ، فقد تعرف اليها في مناسبات عديدة تعرفوا بها عند ما ظهر الاسلام في جزيرة العرب، واخرج الخليفة عمر يهود خيبر عن الجزيرة فقصده معظمهم

(5) البزنطيون هم المعروفون بالامبراطورية الرومانية الشرقية او الامبراطورية البزنطية او دولة الروم كما يسميهم القرمان الكريم .

شمال افريقيا التي كانت ارضا فلاحية خصبة كما ذكر ابن خلدون وبذلك جددوا الصلات بين اللغة العربية وبين البربرية والفينيقية وتعرف سكان افريقيا على الحركة الاسلامية في الشرق .

ويذكر بعض المؤرخين ان وفدا من البرابرة ذهبوا الى الجزيرة العربية وتشرفوا بالحديث مع رسول الله وجاء في كتب الحديث ان نفرا من البربر ذهبوا الى جزيرة العرب لما سمعوا بالنبي عليه السلام وتكلموا معه بلفتهم البربرية فاجابهم بلفتهم واسلموا على يده فكانوا في عداد الصحابة ، ولكن المحدثين ينكرون سند هذا الحديث ويستبعدونه وهم يطعنون فيه من الوجهة الحديثية أي من ناحية الفن الحديثي ، والواقع ان منته لايقبل الاستبعاد وهو بعيد ان يتكلف تصنعه سيما ونحن نعرف الاتصال القديم بين البربر والروم والبرنطينين وقوة البربري على الرحلة والسياحة وهم ان انكروا سنده فليست استبعد منته بل يقال انهم رجعوا الى بلادهم مسلمين وماتوا بها حيث دفنوا بالسياظمة في جبل الحديد . . . وهناك من يرى ان هذه القصة وقعت في زمن الخليفة عمر رضي الله عنه فقد نقل مؤلف الاستقصا عن صاحب (كتاب الجمان) انه لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستفتحت مدينة مصر - وكان عليها عمرو بن العاص - قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين الرؤوس واللحي فقال لهم عمرو من انتم وما الذي جاء بكم ؟ قالوا رغبتا في الاسلام فجننا له لان جدودنا قد اوصونا بذلك ، فوجههم عمرو الى عمر رضي الله عنه وكتب اليه بخبرهم ، فلما قدموا عليه - وهم لايعرفون لسان العرب - كلمهم الترجمان على لسان عمر فقال لهم : من انتم ؟ قالوا نحن بنو مازيغ ، فقال عمر لجلسائه : هل سمعتم قط بهؤلاء ؟ فقال شيخ من قريش : يا امير المؤمنين هؤلاء البربر من ذرية بربر بن قيس بن عيلان خرج مقاضيا لايه واخوته فقالوا بربر اي اخذ البرية ، فقال لهم عمر رضي الله عنه : ما علامتكم ؟ قالوا : نكرم الخيل ونهين النساء ، فقال لهم عمر : لكم مدائن ؟ قالوا : لا ، قال : لكم اعلام تهتدون بها ؟ قالوا : لا ، قال عمر : والله لقد كنت مع رسول الله (ص) في بعض مغاربه فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله (ص) : يا عمر لاتحزن فان الله سيعز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا اسواق ولا غلامات يهتدون بها في الطرق ، ثم قال عمر فالحمد لله الذي

من علي برؤيتهم ثم اكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه ، وكتب الى عمرو بن العاص ان يجعلهم على مقدمة المسلمين ، وكانوا من افخاذ شتى .

وقد اتصل بالمغرب في هذه الحقبة شعب آخر هو الشعب القوطي ابناء عمومة الونداليين من الجرمان فقد طارد القوطيون البيزنطيين وعبروا بوغاز جبل طارق واحتلوا سبتة سنة 547 م وسنرى ان المسلمين في عهد عقبة بن نافع لما وصلوا سبتة وجدوها تابعة للقوطيين حكام اسبانيا حيث شجعهم حاكمها القوطي على التوغل في بلاد المغرب والابتعاد عن اسبانيا ثم ان حاكمها شجع من بعد موسى بن نصير على حكم اسبانيا واعانه على ذلك للخلاف الذي كان بينه وبين لودريك .

وفي هذه الحقبة المبررة من تاريخ المغرب حين كان يعاني ظلم الوندال او الفندال واحتلال الرومان كانت الجزيرة العربية تتمخض عن ثورة كبرى ستقلب العالم راسا على عقب كانت الثورة العظمى هي ظهور الاسلام الذي كان دينا ساميا جاء للناس اجمعين ولعل قابلية الشعوب السامية والحامية لاعتناق هذا الدين الذي يسائر نزعتها الفطرية واهدافها الانسانية كان عاملا على انتشاره بسرعة في بلاد افريقيا وآسيا واتاح الوضع الجغرافي لبلاد المغرب ان تكون من اهداف الحركة الفتوحية الاسلامية ولذا فمن الواجب ان نبحت في روح الاسلام باعتباره مصدر الثقافة المغربية بعد وصوله الى بلاد المغرب لتقف على مجال الاتفاق بين طبيعته وطبيعة الشعب المغربي . حمل الاسلام الى الفرد استقلال شخصيته فلم يربطه بالمعبد او الكاهن ولا بالكنيسة والايقونة وانما المسلم فرد حر يتحمل مسؤوليته وحده ويخاطب ربه بدون واسطة من الوسائط فهو في صلاته يتوجه الى ربه وهو في حجه يطوف ويسعى لا يلتصق بالفقران من اي شخص عليه واجبات وله حقوق عليه احترامها وادائها وهدى الاسلام الشخص الى الكمال فاذا اقتفى المثل العليا السامية التي سنها الاسلام كان خليقا ان يصبح السوبرمان المسلم الذي لا يتطوع الزمان ولا تسعى الانسانية جهدها لتراه في يوم من الايام وفي سيرة الرسول عليه السلام نماذج الشخصية الاسلامية السامية التي تتفانى في الخير والمحبة والصلاح ، والتقوى وحدها هي ميدان المفاضلة بين الناس

اجمعين واعطى الاسلام للدنيا حقها وللآخرة حقها فلا ترهق الروح على حساب البدن ولا يرهق البدن على حساب الروح فالازدواج كامل بين الروحية والمادية في شخصية المسلم وحمل الاسلام الى الفرد العزلة والكرامة فليس في الدنيا الا مخلوقات متساوية عقلا ونفسا وتتفوق في ميدان القوى فقط ، ليس هناك حاكم مستبد يجبرك الاسلام على احترامه وليس هناك ما لقيصر فيعطى وما لله فيعطى اي ان السيطرة والهيمنة انما هي لله تعالى وليس في العالم قوة ثانية يجوز لها ان تتحكم فيما خلق الله وحرمه وجاء الاسلام ليبحث الفرد على العمل ولا يدعوه الى القنوط والانعكاس وكان رأيه في القضاء والقدر اعظم حافز للمسلمين في صدر الاسلام ان يجتازوا معالم بلادهم الى العالم اجمع وهم يسترخسون نفوسهم في سبيل الله وما ساء فهم الناس لفكرة القضاء والقدر واصبحت فكرة جامدة حتى فسدت القيم الاسلامية واصبحت معانيه تفسر تفسيرا جامدا مشوهة ولم يكن الاسلام دين فرد من الافراد او طائفة من الناس او شعب من الشعوب وانما كان دين الناس كافة لايفرق بين الابيض والاسود ولا بين السامي والاري والهامي ولا بين الاسيوي والافريقي والاوربي وانما هو دين المساواة لا يحفل باللونية والبقعة والبيئة وانما هو رسالة للناس اجمعين .

وكان الاسلام بعد كل هذا دين الحرية والاستقلال فلا يقيم العراقي في وجه الشعوب التي

تحاول اعتناقه ولا يجبر احدا على اتباعه فهو دين متسامح رحيم ، يحرر الفرد من الخرافة ويحرر الشعب من الرق ويسامح كل الاديان لايغادي عقيدة من العقائد السماوية وانما ينكر الوثنية ولا يحتمل وجودها لانها عقيدة بدائية لا يؤيدها عقل وتقود الانسان لكل شر ، ثم هو بعد كل هذا نظام تام يتناول العقيدة والمجتمع والاخلاق فيقيم وحدة شاملة بين طبيعة الفرد وسلوكه ونظامه الاجتماعي في تحرر كامل واعتناق شامل لا يمنع الفرد من التطور والتقدم ، ثم ان المتساكنين المفاربة وخصوصا سكان المغرب القديم قرباء من الشعوب السامية وان لم يكونوا ساميين في نظر اغلبية علماء النسب فهم ابناء عمومة العرب ، والساميون على العموم يعبرون عن نزوع نحو الاندفاعات والحماس والتأثر العاطفي ، وحدة الطبع ولا يحفلون بالمفاهيم ذات المعاني الكلية والبراهين العقلية في الغالب ، وعالمهم حافل بالرموز والاحاسيس والصور ، عالم الآراء المنسقة الهادئة التي تعتمد على العقل ولا تحفل بنزوات العاطفة واللهفة الى التطلع على الغيب لذلك ما كاد الاسلام يظهر في جزيرة العرب حتى انساب في سرعة التيار الى بلاد المغرب التي لا تبعد عنه جغرافيا ولا عن اهله جنسيا ولا عن طبيعته عقيدة ، واندفع البربر اليه متلهفين وقد وجدوا ضالته الروحية وطمانينتهم العقلية ومتنفسهم الاجتماعي فحرروهم وتحرروا به واعتنقوه مومنين به مخلصين له .

مصادر البحث

الممالك والممالك	البكري
نبد تاريخية في اخبار البربر	لؤلف مجهول
البربر	عثمان الكعك
مظاهر الحضارة المغربية	الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله
دائرة المعارف الاسلامية	الاستاذ اجوليان
تاريخ افريقيا الشمالية	الاستاذ سوردون
مؤسسات واعراف البربر	الاستاذ العقاد
حقائق الاسلام	الاستاذ عثمان الكعك
مراكز الثقافة في المغرب	الاستاذ توفيق المدني
الثقافة الانسانية وفلسفة التربية	مع مصادر اخرى سنذكرها في آخر البحث
قرطاجنة في اربعة عصور	

العالم العربي والفرع الجديد في إفريقيا

لأستاذ: المهدي الجبالي

اليوم سبيلا له حركات الفتح والغزو كما كان الشأن خلال القرون الأخيرة يوم كانت القارة مرتع السباق التسلطي الحاد بين دول الاستعمار الغربي كفرنسا وإنجلترا والبرتغال وألمانيا وإيطاليا وغيرها، أن التسابق الدولي الحالي حول إفريقيا يستمد أهدافه ومظاهره من الحقائق البارزة التي تنطبع بها الحياة الإفريقية الحديثة ومن طبيعة الجو الدولي الحاضر وظروفه وملاساته .

كانت السنة الماضية بحق سنة تحرر القارة الإفريقية ، فقد انقلبت فعلا مختلف الأوضاع السياسية التي كانت تسود القارة السوداء ولم يعد في مستطاع الاستعمار الغربي - وليد حركات الغزو والتوسع خلال القرون الأخيرة - لم يعد في مستطاعه أن يحتفظ بوجوده المباشر إلا في أجزاء قليلة منها هي على عتبة التحرر الآن .

وإذا كانت موجة الحرية في إفريقيا قد ساعدت هكذا على تقليص رقعة التوسع الغربي بل والأجهز عليه أجهزا حاسما فإنها قد أعانت - إلى جانب كل ذلك - على بروز كثير من المعطيات الهامة في العالم الدولي وساهمت في امتداد رقعة الحرب الباردة بين الشرق والغرب أحيانا وبين الدول الصناعية والتجارية الكبرى في العالم أحيانا أخرى وذلك لما هو محتوم من اشتداد التنافس والتزاحم بين هذه الدول على الاستفادة من الأوضاع الجديدة في القارة واستقاء النفع من الاستقلالات الإفريقية الناشئة

والواقع أن اشتداد المنافسة الدولية حول إفريقيا ليس شيئا غريبا أو مفاجئا ، فقد كان من المتوقع جدا - والقارة على عتبة عهد جديد - أن تصبح ميدان سباق دولي حاد وذلك بالنظر لما تنطوي عليه من إمكانيات مادية ضخمة وما تكتسيه من أهمية موقعية وشرائية بعيدة المدى بالإضافة إلى ما يتوفر عليه سكانها من استعدادات فريدة في مجال الصراع الفكري والمذهبي العالمي .

لهذا كان طبيعيا إذن أن يحتد التنافس الدولي من جديد حول قارتنا الفتية وأن كان هذا التنافس لا يتخذ

وينجلي من استقرار كل ذلك الظواهر الآتية :

(1) ارتكاز التدخل الاجنبي الجديد في إفريقيا على أساليب الغزو الفكري والمعنوي ووسائل الاستغلال الاقتصادي غير المباشر .

(2) ظهور قوى دولية جديدة في الميدان الإفريقي كاليابان والصين الشيوعية وغيرها .

(3) بروز نوع من التدخل الدولي يمكن أن نسميه بـ « التسلي » ذلك الذي تمارسه إسرائيل منذ سنوات على أوسع نطاق ممكن وتنفذ بواسطته إلى آفاق اقتصادية واسعة في قلب إفريقيا .

ولكن هل يكتسي التنافس الدولي حول إفريقيا صيغة التدخل الواقعي بما لهذه الكلمة من مدلول سياسي مألوف ؟ هل يجوز أن نسمي الارتباطات الدولية الحالية بإفريقيا تدخلا مباشرا في شؤون القارة وإلى أي حد يجوز لنا أن نقول ذلك ؟

ليس من الإنصاف أن ندرج في مفهوم التدخل الاجنبي كل ما يتم في القارة من نشاط دولي عادي أو له أهداف عادية مألوفة ، وإذا جاز لنا - على العكس -

ان نعم هذا المفهوم ليشمل جميع انواع الاحتكاك الدولي بشؤون القارة والتفاعل الاجنبي مع أحداثها وتطوراتها فانه سيكون علينا حينئذ ان نصنف مظاهر التدخل واهدافه كما يلي :

(1) التدخل الذي لا يعدو نطاق الوسائل المشروعة العادية كزيادة توثيق الروابط الدبلوماسية ومجاراة التيارات السياسية المحلية واستغلال ذلك كله للاغراض التجارية العادية : ومثال ذلك - كما يبدو - اليابان .

(2) التدخل المصلحي الذي يبلغ الى درجة التصارع الحاد ويستهدف الاغراض النفوذية والاستثنائية معتمدا في الغالب على وسائل الحرب الباردة واساليب الغزو المعنوي (الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي ، الصين الحمراء) .

(3) التدخل الذي يعتمد الوسائل الودية والتفاهمية ولكن اهدافه قد توجد متأثرة احيانا بالمشارييع الاحتكارية الدولية كمشروع السوق الاوربية المشتركة ولهذا يكون منطويا على بعض الاغراض الاستغلالية غير المباشرة (المانيا الفيدرالية) .

(4) التدخل الاخوي الذي يحتمه واجب التضامن والتساوئ ويستند على الوسائل الدولية المشروعة منجسما في الغالب مع المعطيات المبدئية التي اقراها مؤتمر (باندونغ) وما في نوعه (الهند ، اندونيسيا) وعلى ضوء هذا يمكننا ان نجد بعض التعليل لكثير من العوامل المتخفية التي تشكل وجه الاحداث في افريقيا وتحدد المواقف الدولية من هذه القارة وشؤونها ، في امكاننا اذن ان ندرك اسباب حرص اليابان على تمتين الروابط بالدول الافريقية الناشئة واضطرار طوكيو نتيجة لذلك الى تعديل موقفها لفائدة القضايا الافريقية التحريرية كالقضية الجزائرية مثلا ، كما يجوز لنا ايضا ان نكتنه بواحد الحملات الغربية المشنة على الوضع السياسي - الحكومي بفرنسا وعوامل الصراع المرير بين نظام احمد اهدو وحزب الدكتور مومبي بالكامرون والمشادات السياسية الحادة بين نظام لومومبا في الكونغو (ليوبولد فيل) والمسؤولين في الكونغو الفرنسي السابق (برازافيل) وغير ذلك من التعقيدات السياسية المحلية والدولية بافريقيا . ان وراء هذه الظواهر الافريقية المعقدة عوامل دولية

وتيارات مذهبية واتجاهية اخرى اكثر تمقدا وتشعبا ، هناك التصارع الحاد بين مبادئ الحياد الايجابي الذي تتبناه اغلبية اعضاء الكتلة الافريقية الاسيوية وبين نزعات الانحياز للمسكرات تلك النزعات التي تغذيها مختلف القوات الدولية الكبرى وتجتهد كثيرا لاصطناع الانتصار من الافارقة لها (الكونغو - ليوبولد فيل - مثلا) .

هناك ايضا مجال التصادم بين النزعات الافريقية الضيقة الانطوائية كنزعة تضامن الشعوب السوداء الناطقة بالفرنسية وبين الاتجاهات الافريقية الواعية المفتوحة على العالم والمتفاعلة مع أحداثه وتطوراته كالاتجاه العام الذي يمكن ان يلاحظ في غينيا مثلا .

هذه المصادمات الاتجاهية والفكرية توجد في اساس كثير من الاحداث والتطورات في افريقيا ، ومن البديهي ان مداخلات القوات الدولية الكبرى في القارة كان من شأنها ان تزيد في حدة المصادمات وتضاعف من مفعولها وتثانجها ، ولهذا جاز للدول الكبرى مثلا ان تحيل معركة الاستقلال في الكونغو « ليوبولد فيل » الى حركات صراع مرير بين الشرق والغرب من جهة وبين الدول الافريقية من جهة اخرى ، ولهذا ايضا جاز للاوساط التوسعية ان تؤثر احيانا على حركات الوحدة الافريقية وتدس لها حتى تكاد تصبح - في بعض الصور - عبارة عن تنازع على الاسماء والعناوين ... (1) .

على ان الصراع الدولي حول افريقيا لا ينحصر فيما يوجد من تنافس حاد بين الدول الجديدة التي لم تكن لها صلة بالانظمة الاستعمارية القريبة في القارة ، الواقع ان هذا التنافس يوجد على اشده ايضا بين الدول التوسعية التقليدية التي هيمنت من قبل على مصائر الافارقة حينما من الدهر واضطرها سير التاريخ الى التخلي عن سيطرتها المباشرة القديمة ويوجد في مقدمة هذه الدول بالطبع فرنسا وانجلترا .

لقد احرزت جل الاقطار الافريقية الفرنسية الانجليزية على مظاهر السيادة الوطنية جزئيا او كليا ، الا ان التفكير التوسعي الفرنسي الانجليزي لم يتمكن من هضم مبدأ التخلي عن مماسه السيطرة المباشرة في هذه الاقطار الا على اساس انتهاز اساليب جديدة في

(1) كالتنازع الموجود بين الكونغو الفرنسي السابق والكونغو البلجيكي السابق حول من هو احق بهذا الاسم

الإبقاء على استمرار هذه السيطرة ولو في أشكال غير مباشرة ودقيقة وقد نجم عن ذلك نشوء حالات من التنافس الخفي بين الدولتين الاستعمارييتين تبرز مظاهره أحيانا وتدق أحيانا أخرى ولكنه - على كل حال - تنافس فعلي يمكن على أساسه تفسير بعض الظواهر السياسية التي تترأى أحيانا في الميدان الإفريقي .

ومن المعقول جدا أن تؤدي هذه الأحوال الجديدة من التنافس الدولي حول أفريقيا إلى نشوء أوضاع سياسية في القارة تختلط تارة بمفهوم الحرب الباردة العالمية وتمتزج تارة أخرى ببعض الصور الإفريقية المعقدة كالصراع الطائفي والقبلي الذي تختفي وراءه كثير من الحقائق الدولية المثيرة .

أن المناورات الأجنبية لها أكبر الارتباط بهذه الأوضاع ، أما الهدف الرئيسي من كل هذه المناورات فهو ضمان استمرار أفريقيا مورد طاقة لا ينضب للاحتكارات الصناعية الكبرى ، هذا بالنسبة إلى الغرب أما بالنسبة للعالم الشيوعي فتهدف المناورات إلى تهيب القارة كمنجال رحب لاستقبال الإيديولوجيات الأجنبية وجعل القارة ميدانا واسعا للصراع بين هذه المذاهب وبين خصومها الراسماليين والبورجوازيين .

بقي علينا الآن أن نسأل : هل من الضروري للشعوب العربية أن تعنى بمراقبة التطورات الجارية في أفريقيا وتشارك بدورها في تعديل مجرى هذه التطورات ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو واقع السياسة العربية العامة في القارة السوداء ؟ وما هو دور هذه السياسة ومدى كفاءتها في مواجهة الحقائق التي تحدد مستقبل القارة وتساهم في تكييف مصيرها ؟ وإذا كان للغرب دور في السياسة الدولية الإفريقية فما هي القيمة الفعلية لهذا الدور ؟ وهل يمكن أن يكون في مستوى الأهمية التي تكتسبها علاقات العرب بالقارة الإفريقية ؟ .

أما أن على العالم العربي أن يعني شديد العناية بتطورات الأحداث في أفريقيا السوداء فهذا شيء يبدو طبيعيا ومعقولا جد ، فإذا كانت مختلف الدول في أوروبا وآسيا وأمريكا تبدو مقتنعة بأن مستقبلها يرتبط في بعض النواحي بمستقبل علاقاتها بأفريقيا فإن من حق العالم العربي أن يبالغ في تقدير قيمة الارتباطات التي يجب أن تصله بهذه القارة فأكثر من نصف أبناء

الامة العربية يعتبرون مواطنين افارقة ، وكذلك فإن ملايين الكيلومترات المربعة من الاراضي العربية توجد في صميم القارة الافريقية ، هذا بالإضافة إلى اتحاد مصالح العرب بمصالح الشعوب الافريقية وارتباط قضاياهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بقضايا هذه الشعوب وانتساب الجميع إلى عالم الأمم الشرقية وإلى دنيا الأمم المتخلفة التي تربط برباط متين كثيرا من شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ولهذا كان من البدهيات الأولية أن تكون عناية العرب بالشؤون الإفريقية أكثر من عناية أية أمة أو مجموعة من الأمم الأخرى بمشاكل هذه القارة ، ولكني لا أظن أن واقع السياسات العربية في أفريقيا السوداء يوازي هذه الأهمية التي تكتسبها مصالح العرب في هذه المنطقة الهامة من العالم ، فالحكومات العربية ليست على درجة واحدة من الاهتمام بالقضايا السياسية والانسانية الكبرى في ربوع أفريقيا الزنجية ، ويكاد يكون مقياس عنايتها بمشاكل هذه المنطقة الموضع الجغرافي والارتباطات السياسية المباشرة فقط ، وهكذا نجد الدول العربية الإفريقية أكثر اهتماما من شقيقاتها الاسيويات بالقضايا الإفريقية العامة وذلك بالطبع نتيجة العامل الجغرافي لا غير ، بل أن البعض من هذه البلاد العربية الإفريقية كليبيا لا تجد من موقعها الجغرافي أيضا ما يحفزها إلى تحديد سياسة خاصة تتفق ووجهتها الإفريقية الطبيعية ، وإذا كان لنا أن نشعر بكثير من الاعتزاز والتقدير للسياسات الإيجابية التي ينتهجها المغرب والعربية المتحدة والجمهورية الجزائرية وتونس في المضمار الإفريقي فإننا نلاحظ - مع ذلك - أن مجموع الدول العربية الأخرى وخاصة الجامعة العربية لا تتوفر على تخطيط منهجي واضح يبين الاتجاه العربي العام من المشاكل الإفريقية السوداء ويضمن سلامة المصالح القومية والدولية للامة العربية في ربوع القارة الإفريقية ، وليس من حاجة للتأكيد بان الكتل الدولية قد اضحى لها من الوزن في العمليات السياسية العالمية أكثر بكثير مما يمكن أن تأتي به السياسات المنفردة الخاصة ، والكتل الدولية اليوم تقوم في ربوع أفريقيا السوداء بعمليات واسعة تستهدف فرض أنماط من التبعية السياسية والفكرية والاقتصادية على الجماهير الإفريقية المتوترة ، واعتبار هذه الحقيقة يحتم على الدول العربية كتلة دولية لها وزنها في هذا المضمار أن تضاعف من اهتماماتها الإفريقية وتزداد شعورا بمسؤولياتها إزاء تطور الأحوال العامة في الدول الجديدة بأفريقيا السوداء .

الرامي الى تصفية الوجود الفعلي العربي في الصحراء الافريقية الكبرى والاستحواذ على ينابيع الثروة والرخاء فيها بالإضافة الى الاعتماد عليها كمركز انطلاق لتهديد البعث العربي المتوثب واستخدامها اداة لعزل الشعوب العربية في الشمال الافريقي عن الشعوب الافريقية الملونة في الجنوب .

والواقع ان سياسة العزل هذه قد غدا لها وزن كبير في مخططات التآمر الاستعماري على روح التضامن العربي الافريقي ، وقد كانت هذه السياسة - في الواقع - ذات مقام كبير في الاساليب الاستعمارية الكلاسيكية التي تمت تجربتها من قبل في المغرب وسوريا ولبنان وغير هذه الاقطار ، الا انها تعتمد اليوم في افريقيا لتطبق على نطاق واسع الهدف منه عزل الشعوب العربية في الشمال الافريقي عن الشعوب الافريقية الملونة في الجنوب .

ان هناك من الشواهد ما يدل على ان هذا العزل بين الكتلتين الافريقيتين العربية والسوداء قد غدا من اكثر الضرورات الحاحا واشتدادا في وجهة النظر التوسعية الغربية ، وذلك بالنظر لما يسيطر على اذهان التوسعيين من اقتناع بخطورة الدور القيادي والتوجيهي الذي تمثله الشعوب العربية والاثر الكبير الذي تحدثه الثورة الفكرية والحضارية العربية في كثير من بقاع القارة الافريقية .

وعلى ضوء هذه الملاحظة يمكننا ان نجد بعض التفسير لما يمكن ان نسميه بسياسة « الحاجز الاوسط » بين الشمال الافريقي والاقطار التي الى الجنوب تلك السياسة التي يبدو ان الغرب يعتمد عليها كثيرا في مخططاته المقبلة في القارة الافريقية ، وتهدف هذه السياسة الى اصطناع « جدار » سياسي واقتصادي يمتد على جنوب الاقطار العربية في افريقيا ليسانع على تكوين نوع من الانفصام والانعطاف بينها وبين الاقطار الواقعة في الجنوب ، وفي سبيل ذلك نلاحظ ميل الغرب وخاصة فرنسا الى زيادة تركيز النفوذ السياسي والاقتصادي الاجنبي في مناطق الصحراء الكبرى وفي بعض الدول الافريقية حديثة العهد بالاستقلال حتى يتم بذلك كله احكام « الجدار » وتعزيز حصانته على اوسع نطاق ممكن

ومن هنا تبدو احدى العوامل التي تحدد بفرنسا الى الاصرار على حماية نظام ابن دادة في موريطانيا المغربية وتدفعها الى التعاون المطلق مع اسبانيا في

وليس هناك - في الواقع - ما يوجب كل هذا الاكتراث للشؤون الافريقية لو لم تكن كثير من الاحوال القائمة في القارة مما يمس المصالح العربية ويهددها احيانا في الصميم بل ومما يرتبط بمستقبل الوطن العربي وضمان سلامته واستقراره وتطوره .

ان هناك الكثير من الصور التي يتمثل فيها هذا الارتباط بين المصالح العربية وبين تطورات الاوضاع العامة في افريقيا السوداء ، ومن بين هذه الصور :

(1) التسلل الاقتصادي الاسرائيلي الى الدول الافريقية الجديدة

(2) التمرکز السياسي الغربي في القارة وتقمصه اشكالا جديدة اكثر خطورة واهمية .

(3) التهديدات الاقتصادية الناشئة عن تضخم الاحتكار الغربي لافريقيا (السوق الاوربية المشتركة)

(4) التسيريات الايديولوجية الاجنبية المضادة في الغالب لمبادئ القومية العربية والحياد الايجابي وقد بدا الراي العام العربي يحس فعلا بالاهمية البالغة التي تكتسبها المناورات الدولية في اقطار افريقيا السوداء وما تجسسه من اخطار على المصالح الجوهرية للعالم العربي ، وقد تركز الانتباه خاصة حول النشاط الصهيوني المتزايد في ربوع القارة فاتخذت الجامعة العربية في شأنه سلسلة من التدابير المضادة التي تستهدف مقاومته وتحديد خطورته تحديدا حاسما .

ان القرارات المتخذة لا تغني - في الواقع - قليلا اذا لم تكن خاضعة لمنهج تطبيقي صارم واضح المعالم مضمون النتائج ، وعلى افتراض ان القرارات العربية المتعلقة بالنشاط الصهيوني بافريقيا يمكن ان تكون كفلية بتحقيق نتائج ايجابية في هذا السبيل فهل يجوز ان تكون هذه القرارات كافية للحفاظ على مجموع مصالح الامة العربية وسلامتها الاقليمية والدولية وخاصة في القارة الافريقية ؟ كان من الممكن ذلك لو ان النشاط الصهيوني كان كل ما يهدد العرب في افريقيا السوداء ، لقد رأينا - فيما تقدم - ان هناك مصادر اخرى لتهديد المصالح العربية في افريقيا لا تقل عن التسلل الصهيوني اساءة وخطورة ، ومن ابرز مظاهر هذا التهديد : المناورات الدولية الرامية الى اصطناع الثغرات في الوحدة الاتجاهية بين الشعوب العربية والامم الافريقية الملونة والتواطؤ الدولي المكتشف

الخطر الذي يمثله الزحف الشيوعي العالمي في القارة
الافريقية وبين المخاطر التي تتمثل في انبعاث الروح
الاسلامية وانتشارها في ربوع القارة .

ان هذه المدعيات والتقولات الغربية لا تنحصر في
ضمن الحدود اللفظية المجردة فقط ، بل انها تمثل فعلا
الواجهة السطحية لمنهج تطبيقي منظم لاشك ان
القوات الاستعمارية العالمية تعتمد لتصفية بذور
التضامن الافريقي العربي ونسف قواعده من الاساس ،
وتعتمد هذه المناهج - في جوهرها - على اصطناع
انواع من التناقض في المصالح والرغبات بين بعض
الدول في الشمال والآخرى في الجنوب .

وتجتهد المصالح الدبلوماسية الغربية بالفعل في
الحصول على نتائج ايجابية في هذا المجال ، وتبدو
قضية موريطانيا - في الوقت الحاضر - التجسيم
الفعلي لهذه السياسة التي تقتضيها فرنسا في القارة
الافريقية ، فهذا الاستقلال الوهمي الذي منحه لهذه
المقاطعة المغربية الصرفة لا يستهدف فقط اقامة
الحواجز المادية دون امتداد الصلات المباشرة بين
المغرب والشعوب الافريقية في الجنوب ، بل ان
الوضع الدولي الناشئ عن هذا الاستقلال يستخدم
وسيلة لاختلاف جو من الاختلاف في الرأي والتناقض
في المصالح والتباين في الاهداف بين المغرب وبعض
البلاد الافريقية المتأثرة باتجاهات الجامعة الفرنسية .

وقد اتى مؤتمر « ابيدجان » في اواخر اكتوبر
المنصرم ليؤكد ان هذه الاحتمالات السيئة قد يوجد
هناك احيانا ما يبرر امكانية وقوعها على شكل من
الاشكال ، فقد استطاع ابن دادة ان يتسرب الى
المؤتمر واستطاع بذلك ان يغالط - بعض الشيء -
قطاعا دوليا افريقيا له وزنه وقيمته ، على الرغم من
انه لم يحصل في الاخير على اية نتائج ايجابية تهم
قضية الاستعمار الفرنسي في موريطانيا ، وقد كان من
الممكن ان لا يتسلل العميل الموريطاني الى مؤتمر من هذا
النوع يضم دولا مستقلة ومتمتعة بسيادتها ومعترف
بوجودها قانونيا ودوليا ، كان من الطبيعي الا يتم
هذا لسبب بسيط وهوان المقاطعة التي يحتكر ابن دادة
لنفسه تمثيلها لا بصطيف وجودها الدولي باية صبغة
قانونية ما دام ان استقلالها الوهمي - في حالة انعقاد
المؤتمر - لا يزال دائما موضوع مؤاخذات قانونية
خطيرة ومحط حقوق وطنية ثابتة ومشار نزاعات
دولية جدية وواسعة ، كان معقولا اذن الا تكون
موريطانيا ممثلة في مؤتمر ابيدجان ، الا ان الجو

سياستها التوسعية بالمناطق الجنوبية للمغرب والواقع
ان السياسة الفرنسية ليست معزولة في هذا الميدان
من الناحية الدولية بل انها تنعم بتأييد شركائنا
الفريبيين بصورة علنية او خفية ، ومن دلائل ذلك
اسراع المصرف الدولي الى منح القروض للشركات
الاحتكارية التي تحظى برضى ابن دادة وذلك في سبيل
استنزاف الثروات الطبيعية التي تزخر بها موريطانيا
وربطها بمجلة الاقتصاد الاستعماري الغربي ، واذا
تذكرنا جيدا قصة هذا المصرف الدولي مع مصر في
قضية تمويل السد العالي وعلاقة ذلك بموقف
الشيقة العربية من الاستعمار الغربي ادرنا جيدا
حقيقة العوامل التي ساعدت ابن دادة على الحظوة
برضى المصرف ومسيريه والاسباب التي جعلت هذا
القرض الغريب شيئا ميور المنال .

واذا كانت موريطانيا تهيأ هكذا لتكون اوثق
الحلقات في سلسلة التطويق الاستعماري لاقطار
المغرب العربي فان هناك مجالات اخرى للعمل تستغلها
القوات التوسعية في المغرب كثيرا لاحكام العزلة بين
شطري القارة في الشمال والجنوب ومن ذلك ما
يجتهدون في بثه من افكار انطوائية وانعزالية بين بعض
الرعماء الافارقة السود وما يصطنعون من اجواء
الريب والحذر بين الكتل الديموقراطية الافريقية
وخاصة بين الشعوب العربية والشعوب الملونة في
القارة ، وقد اتخذت هذه الخطة اشكالا متعددة من
قبل وكان آخر مظهر لها ما لاحظناه خلال مؤتمر
الشعوب الافريقية الناطقة بالفرنسية .. ذلك المؤتمر
الذي تم انعقاده في « ابيدجان » عاصمة ساحل العاج
في اواخر اكتوبر الماضي . لقد كان المؤتمر بادرة
افريقية محدودة يبدو انها قد اتخذت لمحاولة العثور
على حل سلمي لقضية الجزائر في نطاق الجامعة
الفرنسية ، وعلى الرغم من انه لم يتوصل الى نتائج
ايجابية معينة فقد كان مجرد انعقاده اساسا لانبعاث
الاحاديث في المغرب عن الفروق بين شعوب الشمال
وشعوب الجنوب في القارة الافريقية وتكاثر الاشارات
في اقوال المعقبين الفرنسيين خاصة عن « التضامن
الاسود » ضد الانتشارية العربية و « التوسع »
المغربي في الصحراء واشياء من هذا القبيل ..

وقبل ذلك بكثير كانت العلاقات بين غانا
والجمهورية العربية المتحدة هدفا لبعض المحاولات
« التسممية » من هذا النوع ، بل ان الامر بدأ يعدو
ذلك عند البعض الى حد القيام بالمقارنات الخيالية بين

أفريقيا المستقلة كالوضع في « انكولا » و « غينيا »
البرتغالية واتحاد جنوب أفريقيا وأفريقيا الشرقية
البريطانية وغير هذه المناطق .

ان التسابق نحو القارة السوداء على اشده اليوم
بين مختلف الدول ذات المطامع والامراض المختلفة
وليس من ريب في أن الدوافع الأساسية التي تحكم
في تحديد مواقف الدول الأجنبية من القارة ليست على
اية درجة معقولة من التجرد والنزاهة لأنها تتصل في
الغالب عند البعض بالامراض الاحتكارية الاستغلالية
وعند البعض الآخر بمبادئ التغلغل السياسي والتبعية
الأيديولوجية والفكرية وما إليها .

اما الخط الذي تود السير فيه نحن العرب في
علاقتنا مع القارة السوداء فلا يمت طبعاً بآية صلة إلى
هذه الميادين وإنما هو طريق التعاون الخيري والتفاهم
المثمر والتضامن الإيجابي في سبيل العمل من أجل
القارة وضمن حمايتها من شرور المنافسات الأجنبية
المعقدة والناورات الدولية المحبوك والمشاريع
الاستغلالية العدوانية كمشروع السوق المشتركة
والتجارب الذرية الفرنسية في الصحراء وغير ذلك .

ان سبيل التعاون بين العرب والإفارقة لا يخلو
من عراقيل وصعوبات ولكنه بالرغم من ذلك ممكن
وجائز إلى أقصى الحدود ، بل انه تتوفر له كثير من
الفرص والامكانيات التي لا تتوفر لأم أخرى تبدو أشد
طموحاً في سياستها الإفريقية وأكثر حماساً واندفاعاً .

على ان كل ذلك لايجوز ان يصبح حقيقة دولية
واقعية الا اذا اهتمت الحكومات العربية جميعها في آسيا
وأفريقيا على السواء بمراجعة سياستها الإفريقية
العامّة وعيّنت بتخطيط مناهج تطبيقية مشتركة لها
القدر الكافي من القدرة على مواجهة الحقائق الإفريقية
الجديدة بكل ما يتطلبه ذلك من فاعلية وضبط واحكام

ومن الضروري - لكي تتوفر للسياسة العربية في
أفريقيا مثل هذه المقترضات ان تلتزم في تطبيقها
المقترضات الآتية :

1) تقدير الرسالة التاريخية التي على العرب ان
يواصلوا تاديتها في أفريقيا كما فعلوا من قبل خلال
العصور الخالية .

السياسي المغمم بالمغالطات ذلك الذي يصطنعه
التوسعيون الفرنسيون في أفريقيا لم يكن من شأنه
الا ان يساعد على امكانية وقوع غلط فادح من هذا
النوع ، وقد اعترف السيد هوفيت بواتي رئيس
حكومة ساحل العاج البلاد التي تم فيها انعقاد المؤتمر
- اعترف فيما بعد - لوفد الصداقة المفرنسية بما سماه
هو نفسه غلطا صادرا عن حسن نية ، ونحن نذكر
مقدما ان الاخوان الإفارقة ينطوون على كثير من حسن
النوايا نحونا ، كما نفهم جيدا ان العديد من الاغلاط
التي قد يرتكبونها في حقنا لا يكون مصدرها - في الغالب -
الا حسن الإرادة وسلامة الطوية ، غير ان هذا لا
يجوز ان يصرفنا - نحن العرب - عن ادراك الحقائق
الدولية القاسية التي يفاجئنا بها الغرب أحيانا في
أفريقيا ، والامكانيات السيئة التي يصطنعها
التوسعيون العالميون في القارة ، فادراك هذه الحقائق
وتقدير تلك الامكانيات يمكننا - ولا شك - من التمرس
على اساليب الكفاح الدولي ضد الاشكال الجديدة من
التوسع الأجنبي في عالمنا العربي والأفريقي ، وهذا
التوسع الذي يأخذ شكل تغلغل اقتصادي وسياسي
وفكري بعيد الأثر والمفعول بالإضافة إلى امتزاجه
أحيانا بحركات التسرب الاقتصادي الصهيوني
وامتدادها في مختلف شرايين القارة وأوردها ، ومن
مظاهر هذا التمازج بين الحركات التوسعية الغربية
والصهيونية ما امكن استشفافه من عزم الادارة
الديموقراطية المقبلة في أمريكا وتصميمها على استقلال
التسرب الاقتصادي الاسرائيلي للقارة الإفريقية
لاغراض دولية واسعة النطاق ، فقد بدأ يلوح في الأفق
ان الدبلوماسية الأمريكية قد تتبنى - في هذا
الموضوع - وسائل متعددة تستهدف في جوهرها
توسيع رقعة الاختلاقات النظرية بين العرب وبعض
البلدان الإفريقية حول موضوع التعاون الاقتصادي
مع إسرائيل واستقلال ذلك كله لنسف الوحدة
العقائدية والمصلحية التي تربط بين وحدات المعسكر
الحيادي الدولي في القارتين الإفريقية والآسيوية .

على انه ليس من المعقول - بالرغم من ذلك - ان
تعزى جميع هذه المداخلات الأجنبية التي تعقد الجو
السياسي بأفريقيا - إلى المعسكر الرأسمالي الغربي
وحده او القوات الاستعمارية القديمة بمفردها ، ان
الكتل الدولية الأخرى وخاصة الكتلة الاشتراكية
الماركسية لها هي الأخرى تأثيرها الفعال في هذا المجال،
هذا بالإضافة إلى الآثار الناشئة عن استمرار بعض
الأوضاع العتيقة التي لا تزال طافية على سطح

١ - الروابط الجغرافية والسلالية والروحية التي تلحم وحدتنا العاطفية والمصلحية .

ب - الروح التحريرية اللا استعمارية التي وحدت بين كفاحنا في الماضي وتوحده في المستقبل .

ج - الاهداف المشتركة التي تجمعنا على صعيد الكفاح من اجل النهوض الاقتصادي والتقدم الاجتماعي والانعتاق السياسي والتفوق الدولي .

ان الامة العربية - في انطلاقتها الفكرية المعاصرة لم يعد يعوزها الادراك الواعي لمثل هذه المسؤوليات الضخمة التي تنتظرها في جميع الميادين ، لكن على هذا الوعي ان يخرج من النطاق الفكري المجرد ليتبلور في تخطيطات عملية منهجية يمكننا تطبيقها من الوقوف على اقدامنا في خضم المعركة الحضارية الكبرى التي يصطبغ بها جز الحياة العالمية في عصرنا الحاضر .

فهل يمكن ان تكون اهتماماتنا الافريقية الحالية مقدمة لانطلاقة شاملة تستهدف تصفية تخلفنا الدولي في الميدان الافريقي وفي غيره من ميادين الصراع العالمي الحالي ؟ .

ذاك ما نتنظر

(2) وضع مشاكل المداخلات الاجنبية في القارة في اطارها الحقيقي الواسع الذي يشمل جميع انواع التسلسل السياسي والاقتصادي وكافة الوان التسرب الايدولوجي والفكري والحضاري سواء كان مصدره الشرق الاشتراكي او الغرب الرسالي او من بدور في فلكهما .

(3) تقييم اهمية القضية العربية في القارة الافريقية وتوسيع النظرة الى هذه القضية توسيعا يتناول جميع نواحيها الحضارية والفكرية والروحية وغيرها ، وبهذا نخرج بها عن النطاق التقليدي - المتمثل في النضال ضد الاستعمار العادي - الى آفاق واسعة تشمل جميع انواع الكفاح من اجل القيم العربية الخالدة ومن اجل المثل الحضارية الشرقية الرفيعة ومن اجل السلام الافريقي المتحرر من الرقابة الاجنبية ومن المؤثرات المعنوية والمادية الدخيلة .

(4) اعتبار قيمة الامكانيات المعنوية التي تتوافر لنا في مجموع القارة الافريقية واعتماد هذه الامكانيات في تحقيق الرسالة السلمية التي يفرضها علينا مركزنا الدولي والاقليمي ومن بين هذه الامكانيات :

وصية عمر بن الخطاب الخليفة الراشد بعد انفاذ مقاتله يوم اغتياله

قال رضي الله عنه : اوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، واوصيه بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم وكرامتهم ، واوصيه بالانصار الذين تبوأوا الدار والايمان من قبل ، ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم .

واوصيه باهل الامصار فانهم ردة الاسلام وغيظ العدو وجباة المال ان لا يأخذ منهم الا فضلهم عن رضي منهم ، واوصيه بالاعراب فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يأخذ منهم حواشي اموالهم فيرد على فقرائهم .

واوصيه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم .

رسالة النشأ في إفريقيا

للأستاذ أبي فريد

فقد كان المغرب أول دولة عانت من تسلط الاستعمار الأوروبي عندما اقتطعت أساطيل البرتغال والأسبان سواحله بدافع من حب الانتقام والتأديب ، واعتقادا منها بأن باب إفريقيا إذا ما انفتح فسيمكن لقوات الفز من التغلغل والنفاذ .

نعم قام المغرب بدور المدافع تقديرا منه لدوره الذي حدده موقعه الجغرافي كجسر للعبور ، في نفس الوقت الذي كان يتمي صلاته بالاقطار الأفريقية فيما وراء الصحراء فهذه الهدايا تتبادل بين أمراء مالي وغانا القديمتين وملوك المغرب في العصر الوسيط وهذه مدينة تنبوكتو وغانو يشع منهما يريق الحضارة المغربية والسودانية وهذه التجارة تنشط قرونا متواصلة بين المغرب وغرب إفريقيا فيحمل الجنوبيون النحاس والعاج والحديد ليبدلوه نسيجاً وملحاً وأواني للزينة عند الشماليين .

وتأتي بعدئذ فترة الضعف والعزلة التي فرضت على المغرب أن ينكمش داخل حدوده ، ويأخذ في علاج الجراحات الداخلية التي عمقها الفزاة ، وفي تدارك التدهور وتفادي السقوط .

وتنتقل حينذاك جحافل الأوروبيين - بعد أن فلت شوكة جبهة إفريقيا الامامية - تقسم الغنائم ، وتنزل جيوشها هنا وهناك محددة لنفسها مجالاتها الحيوية ، وتمعن في القتل والإحراق والإبادة الجماعية ، والتجويع ونشر الأوبئة الفتاكة ، ثم تأخذ في اصطيد الأفريقيين كما تصطاد الوحوش وأرسالهم إلى أمريكا للعمل كرقيق للبيض ، وفي البحث عن الامكانيات المعدنية والحيوانية والنباتية تسلبها لأصحابها الحقيقيين وتدخل ريعها في جيوب السيد الأوروبي .

فدت أولى خواص العمل الفكري أن يكون مقرباً ورباطاً بين مختلف الشعوب ، ودافعا بها إلى الوعي والتواصل والاحتكاك ورسالة هذه المجلة هي أن تخلق وعياً فكرياً وتفذي الطبقات المثقفة أولاً ثم تحمل هذه الرسالة إلى الجنوب مساهمة بالقدر الذي تخوله وسائلها في التحرير الفكري وفي خلق وعي إفريقي .

ففي طليعة الواجبات التي تشرع بها مجلة « دعوة الحق » الاتصال ببناء هذه القارة الجديدة التي تربطنا بها وشيجة الجوار ، ولمحة التاريخ المشترك ، والتي نجتمع وإياها في حومة الكفاح من أجل التخلص من التسلط ، ورواسب عهود الضعف والخضوع ، والتي نضع يداً في يدها للخروج من التخلف والانعتاق من مظاهر التبعية الفكرية والاقتصادية والدولية ، لبناء مستقبل سعيد متطور .

وفي هذه الظروف الصعبة التي تواجه فيها القارة الإفريقية صعوبات من مختلف الأشكال والألوان، حيث لا زالت هناك شعوب تعاني من الاحتلال، وأخرى تجابه الاستعمار الجديد ، وثالثة لا تجد سبيلاً إلى التخلص من وكلاء الاستعمار الوطنيين ، ورابعة يفرض عليها توجيه خارجي لا يتلاءم مع مصلحتها أو مع ضروريات تطورها . في هذه الظروف تعقد المجلة هذا الركن مساهمة منها في معركة المواطن الإفريقي الذي يروم الاستقلال ويهفو إلى الوحدة ويتعشق العيش الحر .

وهذا الجهد المتواضع تستوحيه هذه الندوة الفكرية من الدور الذي لعبه المغرب ولا زال يتحمل مسؤوليته في مختلف أدوار التاريخ مما يفرضه وضعه الجغرافي وامكانياته النضالية والحضارية .

ولكن الافريقي في كل مكان لا يلبث وهو يئن تحت السياط وتقطر الدماء من يديه المكبلتين ، ان يستجمع قواه الخائرة ليصرخ بصوته المبحوح افريقيا لسي لا احجار في التاج البريطاني او ملك خاص لبلجيكا او امتداد تحت البحر لفرنسا او عمالة من عمالات البرتغال .

ويزداد حماسه وتصميمه وهو يرى اشقاءه في الشمال يفلون الجيوش التي كانت تذيب بان كلمة « النصر » من صنعها واختراعها ، ويسفّهون التفوق الذي كانت تعتقد انه احدي صفاتها الأزلية ، فتتوالى الثورات في المغرب والجزائر وتونس ومصر ، ويحمل الاستعمار البريطاني عصاه ليفادر وادي النيل ، وتندحر فرنسا امام الثورة المسلحة في المغرب وتونس وعند ما تجرب الدولتان الاستعماريّتان وسيلة القوة في قناة السويس تعودان وقد تيقننا ان معركة افريقيا العامة لا معركة قناة السويس فقط قد تقرر زعمائها وحددت نتائجها .

وهكذا فان شمال القارة الافريقية عندما حمل السلاح فانما كان يعمل من اجل الحرية له وللمواطنين الافريقيين جميعا ، ويريد ان ينتفض واباهم ليمضوا جميعا في صنع تاريخهم المشترك ويفتحوا في هذا التاريخ صفحة التحرر الكامل والاشراق الافريقي والنضال من اجل العيش الكريم والحياة الافضل .

ولا تلبث القارة برمتها ان تسير وراء هذه الفايات وتعتنق الكفاح من اجلها ، ولا تلبث حصون الاستعمار وقلاعها ان تنهار الواحدة تلو الاخرى امام تيسار التحرر الجارف والانطلاق في طريق التضامن .

ويعيش - المغرب افراحا متتالية ، افراح الانتصار الاول لافريقيا في السودان والمغرب وتونس ، وتضمه فرحة اخرى بانتصاب الرجل الافريقي في غانا ويهتز للصرخة التي دوت في غينيا حيث هتف الرجل الافريقي « لا حياة في ظل العبودية » ويعتبر انتصارات هذا الرجل نفسه في مالي والكامرون والكونغو ومدغشقر والصومال ونيجيريا وافريقيا الاستوائية ودول الوفاق تحولا جذريا في تاريخه الحديث .

ولكن المغرب لا زال يوقن بان المعركة يجب الا تقف او تتوانى ضد قوى التسلط والاسترقاق والاستنزاف التي ما فتئت تمعن في غيها في كئيب من بقاع القارة .

فالاستعمار لا زال يحلم بالامجاد الاسطورية في كينيا وطانغانيكا ومزنبق وأنجولا ووادي الذهب وسييرا ليون وغيرها .

والرجل الادوي لا زال ينكر على المواطن الافريقي العيش الكريم تحت سمائه ويعمل على الاتساع شمسها الا على محياه الابيض وعرقه المختار بسبل وينكر عليه حتى حق الحياة فوق ارض آباءه واجداده والرجل الادوي يريد بعد ان طرد من بعض الاقطار وغلبته قوة التصميم الافريقي ان يخرج من الباب ليدخل من النافذة ، فهو اذا لم يشر الاضطرابات ضد الحكومات الشرعية الوطنية ويقذف بجيوشه ضدها ويخلق لها الاشكالات والمتاعب كما يفعل الآن في الكونغو ، واذا لم يقد تطاحن الطوائف الدينية كما تشهده اليوم جمهورية نيجيريا ، واذا لم يشجع الاقطاعية المتعاونة المتحرفة كما هو ضئيله في كينيا وموريتانيا واذا لم يسند الاتجاهات الانفصالية كما هو الحال في كاتانغا وكاساي ووادي الذهب والكامرون الشمالي ، اذا لم يفعل ذلك في بقية الاقطار الافريقية الفتية فهو قد ابتدع على مستوى القارة - نوعا مستورا من الاستعمار يمكن ان نسميه « الاستعمار الجديد » أي الاستعمار الذي يقوم على الارتباط الاقتصادي والفني والثقافي والابقاء على اعتماد الافارقة على الخبرة والاموال والاسواق الاجنبية . والاستعمار قد اخترع اقنعة جديدة تحكم البلاد التي غادرها باسمه ، وتضفي صبغة المشروعية على استثماراته ومصالحه الاستراتيجية والتجسسية . ففرنسا قدمت في هذه الايام استقلالا مزيفا مسموخوا لقطعة من صحراء الشمال الافريقي هي اقليم موريتانيا ، متعمدة خلق دولة ليس لها من مقومات الحياة الا ما يدفعه الاستعمار لاذنابه وحراس مصالحه

ان العفريت الآن قد خرج من القمقم ليدوس الاحتلال ، الاحتلال بجميع اشكاله والوانه ولباسه ، وليبني هذه القارة التي اراد الاستعمار ان تكون قارة مظلمة ، وليخط لها طريقها للخروج من نطاق التخلف الذي فرضته احقاب من الاسترقاق والتجهيل والتفرقة .

فرسالتنا في هذا الركن تحددها حاجيات الافارقة الى حركة هادفة وبعث جديد ، ويؤكدنا اكثر من ذلك الافتقار الى حضارة فكرية جديدة على مستوى القارة تجمع بين الاستعدادات المبدعة في جو من الاخلاص والجدية .

ولا ينسى هذا الركن ان يحيي كفاح ابناء هذه القارة ويزكي تطلعهم الى التحرر الثقافي والاعتناق والوحدة .

ماذا بعد استقلال موريطانيا؟

د. سنان: أبي فريد

ان المؤامرة التي تحاك آخر خيوطها في هذا اليوم يراد بها في الواقع تأمين الاهداف الخمسة الرئيسية السابقة ، لا ابراز شخصية موريطانيا او اخذ بيدها لتحل مكانها في الاسرة الدولية كما يحاول الاستعمار ان يوهم الافارقة والعالم الخارجي .

فاقامة دولة مستقلة رمزيا بصحراء شنقيط يمنع تماس المغرب العربي مع اقطار افريقيا القريبة السوداء ، ويبعد حدودها عن بعضها بمقدار ألفي كلمتر ، وهذا الابعاد عرقلة حقيقية في طريق تعاون المنطقتين في الميدانين التجاري والاقتصادي، وفي طريق تطوير القارة الافريقية لان المغرب الذي يتوفر على تجهيزات اقتصادية مهمة والذي قطع اشواط بعيدة في مجال التطور الاقتصادي ، في امكانه ان يضع خبرته وتفوقه عن صدق واخلاص في خدمة الاسرة الافريقية ولان الدول الافريقية الفتية ذات الانتاج الخام في استطاعتها ان تعتمد - اذا ما كانت مجاورة - على هذه الخبرة في تحويل انتاجها محليا او تصديره الى السوق المغربية القريبة منها ، الامر الذي ينجح الجهود الاقتصادية ويخلق وحدة افريقية حقيقية ويبعد الافارقة عن التبعية والارتباط .

هذا من الناحية الاقتصادية البحتة اما من الناحية السياسية فان خلق هذا الكائن الغريب في قلب افريقيا القريبة يباعد جغرافيا بين دول تدين بمبدأ عدم التبعية وهي المغرب من جهة ومالي وغينيا وغانا من جهة اخرى ، والخطوة المرسومة بعناية من الاستعمار هي منع هذه الجبهة المتحررة المحايدة من الالتحام والتجاور حتى لا ينتج عن ذلك تساند موضعي للتيار المعادي للاستعمار من شأنه ان يؤثر في التوازن الاستعماري بهذا الجزء من القارة ، وان يقضي على الترتيبات والتقدير التي تراود المحتلين السابقين .

ولا يمكن لفرنسا ومن ورائها مصالح الغرب كله ان تجد ميدانا للتربص والانتظار احسن من هذه المنطقة

في الساعات الاولى من صباح يوم الثامن والعشرين من شهر نوفمبر انتهى آخر مشهد من المؤامرة الخزية التي حيكت ضد الشعب الموريطاني وضد التاريخ الموريطاني وضد العروبة والاسلام .

وفي هذا اليوم بالذات يركب العميل ابن دادة راسه ويقدم لاعداء التحرر واعداء العروبة بلادا يحكمها اقتدارا وشعبا لم يقبل في يوم من الايام ان يكون ذلك الخائن هو المتحدث باسمه او المعبر عن آماله ومطامحه .

في هذا اليوم الاسود يبيع ابن دادة القطر الموريطاني لجلاديه السابقين ليتولوه برعايتهم وينفحوه بمطائهم ، ويحولوه - بالمقابل - الى حاجز خطير منبع يقف حائلا بين اتصال شمال القارة الافريقية بقرىها وجنوبها . ويجعلونها منه (ثانيا) منطقة عسكرية تحشد فيها الجيوش والطائرات لتهديد استقلال الدول الحديثة العهد بالانعتاق من السيطرة الاجنبية ويتخذوا منه (ثالثا) مركزا للتجسس على الدول التي رفضت باباء وشمم ان تنقاد وراء التوجيه الخارجي الاجنبي وقضلت ان تسلك طريق التحرر الكامل وان تباشر مسؤوليتها الدولية وشؤونها الداخلية بمقتضى مصالحها وحاجاتها الحقيقية واهدافها المرسومة ويمنعوا بواسطته (رابعا) الزحف الاسلامي وانتشار اللغة العربية في مجاهل افريقيا ذلك الانتشار الذي كان من الحوافز على اتباع سياسة التبشير الموجهة وتقليفها - احيانا بمظاهر الاحسان والشفقة و احيانا اخرى بالتخويف والارهاب ولينفردوا (خامسا) باستغلال خيرات هذا الاقليم من حديد ونحاس وبترول محتمل حيث ان انضمام موريطانيا الى المغرب سيبحر حتما هذه المطامع ويجعل خيرات موريطانيا في خدمة الموريطانيين انفسهم ومسخرة لرعاية هذا الشعب الفقير المتخلف .

وتأتي بعدئذ الدوافع الأخرى ذات المدى البعيد من حيث النتائج المتوخاة ، وهنا نتذكر المؤامرة الاستعمارية في كاتانكا التي سعى البلجيكيون وأصحاب المصالح من الراسماليين إلى فصلها عن جمهورية الكونغو للاستئثار بخيراتها ، وسلب معادنها تحت قناع المشروعات والتعاون الطبيعي مع المالك الحقيقي .

وهنا نتذكر كذلك الخوف الذي ساور المستعمرين من إمكانية استئثار الانتشار الإسلامي داخل القارة ، وعودة المنيع الذي يقع في الشمال إلى إرسال موجات الدعوة كما كان الحال قبل تسلط الأجنبي . فالإسلام الذي لم يعرف توقفا أو إحسارا كان دائما عرقلة أساسية في إخضاع الإفارقة وإدخال الثقافة الأجنبية والعادات الاجتماعية الأوروبية في حياتهم . والملاحظة التي أدهشت المستعمرين هي أن الدول الإسلامية في أفريقيا أكثر من غيرها مجافة للرجل الأوروبي والتقاليد الغربية ، وأكثر من غيرها أخذا بمبدأ الحياء .

وإذا فإذا تمكنت الجمهورية « المجهضة » من الوقوف ولو بعض الوقت على قدميها فذلك سيصرف الجوار إلى تطاحن فيما بينهم حول الحدود وتضارب في ميدان الاجتهاد القانوني مما سيسمح بالمضي بالمؤامرة إلى نهايتها هذه المؤامرة التي تستهدف كما مر بنا المغرب والقارة الأفريقية والقيم الروحية وأخيرا الشعب البريطاني . ولكن هل ستمر الأحداث على هذا المنوال ؟ هذا السؤال سيوجب عنه عمليا الشعب البريطاني ، والتاريخ ينتظر من هذا الشعب الإبي الواعي لخطورة ما سيقوله أن يكتب فيه صفحاته وأن يثبت صفحات أخرى كانت قد بترت منه طيلة نصف قرن .

إرادة الشعب البريطاني هي التي ستقرر كل شيء .

التي تحتل قلب أفريقيا الغربية ، وهي إذا حدثت أربعين الفا من الجنود بمعداتهم خلال الشهرين الماضيين وهي إذ تركت ابن دادة وكيلها عاما « دائما » عنها فهي متيقنة من أن هذه القوة الضاربة بمقدورها أن تعمل بسرعة وتتجه إلى أي مكان تجد فيه فرصة للتدخل وإعادة السيطرة من جديد .

وهكذا فإن إيجاد كيان مموه لما تسميه فرنسا بالجمهورية الإسلامية هو الخاتم السحري الذي ينتصب عند ادارته البعيع الاستعماري وينشب اظفاره إذا ما اقتضت الظروف في أي جسم من هذه الأجسام الفتية التي فتحت أعينها أخيرا على النور .

فتحويل مليون كلمتر مربع من الأراضي ذات الأهمية الاستراتيجية القصوى إلى قاعدة حربية هو أحد الدوافع الحافزة بالاستعمار إلى الاستمارة في « اجهاض » هذه الدولة وفي المبادرة إلى انالتها الحرية لتقول انني في خدمة مصالح الاستعمار .

وتأتي بعد ذلك قضية التجسس على الاقطار « المتنتعة » كما يسميها غلاة الفرنسيين وهذه القضية يشرحها بوضوح القرار الذي اتخذته برغزال المشرف الحقيقي على الشؤون الداخلية في اقليم موريطانيا ، فهذا القرار يعطي للمكتب النفساني الفرنسي الذي طردته حكومة مالي من ترابها ترخيصا بالعمل - في الاقليم - ومكتب من هذا النوع لا يهتم بشيء اهتمامه بتنظيم حرب الاعصاب وجمع المعلومات بواسطة العيون وافلام المخابرات وأزاء هذا فليس هناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن مؤامرة الاستقلال ستوجه قبل كل شيء لضرب الثورة الجزائرية التي تجري عملياتها الحربية قريبا من حدود موريطانيا .

اقرأ هذا الكتاب



المعسول

محمد المختار السوسي

قضى العلامة الكبير والأديب المبرز السيد الحاج محمد المختار السوسي عدة سنوات في البحث والتفتيش عن احوال المجتمع السوسي والحركة العلمية والأدبية فيه ، وانتشار الزوايا والطرق الصوفية وكانت نتيجة هذا المجهود المتواصل هي اخراج كتاب « سوس العالة » الذي قدمته « دعوة الحق » لقرائها في عدد سابق ، وكتاب المعسول الذي تم طبع الجزء الاول منه وغيره من الكتب القيمة التي ستكشف نواحي من هذا الصقع الفاضل ، وقد اختارت دعوة الحق نشر مقدمة كتاب المعسول لانها تبين الخطوط الرئيسية لموضوع الكتاب والفكرة النبيلة التي حملت المؤلف على مواصلة بحثه في حله وترحاله حتى انمرت جهوده هذه الثمار الشهية ، وسيزداد المطفون على الكتاب يقينا بان المجتمع الذي انتج يوسف بن تاشفين وعبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي وغيرهم من العظماء النبلاء هو مجتمع فاضل لشعب عظيم في التاريخ ، وعلى ان تغير دراسات هذه الكتب فكرة شبابنا في الحياة فيشمر عن ساعد الجد ليكون عظيمًا كاسلافه الذين بنوا عظمة المغرب في ظل الفضيلة والدين .

بين الامس والقد

الذي هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتًا ؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب رأسا على عقب .

امس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد بعده من يعيشون قبله ؛ ثم يمتد بهم العمر الى ان يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا . فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأي لون . كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع . ثم ها نحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خط مستقيم .

امس كان الدين ومثله العليا . والتخلق به . والتحاكم اليه . والحرص على علومه . واحترام حملته . هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لان ذلك راسخ في النفوس ؛ وتواترت عليه

من طبائع الايام التحول من حال الى حال ؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا . او افول معروف كان لم يكن في يوم ما جديدا . فما يالفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا . وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوف . وهذا ما يراه الانسان في نفسه . فيكون في كهولته غيره في شبابه فكرا وذوقا ورغبة في شيء او رغبة عنه ؛ وهي اطوار جبلت عليها هذه الحياة . سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والتحول في الحياة الاجتماعية في غالب الازمنة ؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء ؛ حتى لا يكاد يفتن له الا المليون ؛ حتى جاء هذا العصر ؛ عصر الذرة والصواريخ ؛ فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين . خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا

اليوم

وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله . بلونه وفكره . سياسته ومكره . بحضارته المشعة . بعلومه الخيوية المادية . بنظامه العجيب ؛ بمعاملته المنتجة السريعة ؛ بكل شيء يمت إلى الحياة الواقعية . فوقع لنا كما وقع لأصحاب الكيف يوم رجعوا إلى الحياة ، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما . وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور . مندفعا إلى كل ما يروقه . أقبل بنهم شديد على التهام كل ما في هذه الحضارة الغريبة العجيبة . التي تغير على جميع نواحي الحياة . فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والأفكار وكل ما يمت إلى العادات . فإذا بالمغرب يتحول في عهد قصير إلى مغرب آخر بغير كل ما كان معروفا منه في الأمس . فإذا بأمثالنا نحن الذين كنا نعيش في شرح شبابنا في المغرب المستقل قبل سنة 1330 هـ . قد كدنا نكون غرباء في طور شيخوختنا في المغرب المستقل من جديد 1375 هـ . فقد حرصنا أن لا نكرر إلا ما يستحق أن يكرر . وأن نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر . وأن نتفهمه فلا نكرر اخذ ما لا بد من اخذه من أساليب الحضارة ونظمها وعلومها . لأن الحكمة ضالة المؤمن بلتقطها أنى وجدها . ولكننا مع ذلك نشاهد أسرافا في التحول السريع الذي لم يراع فيه - حسب انظارنا نحن المسلمين - حكمة ما بين التفریط والإفراط ؛ فنحاول أن نجتمع بين محاسن أمس واليوم . ناصبين ميزان القسط . فإذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع إليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال . وأعظم ما نهتم له شيان : أحدهما التفریط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب إلا بعد جهود قرون ؛ ومتى اجتمعت من أي شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فإن أبناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة . وثانيهما التفریط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكنززه الموروث المحافظ عليه كلغة رسمية حتى يوم عممت تركيا لفتها في جميع أنحاء بلاد العرب منذ أوائل القرن العاشر الهجري . وليت شعري لما ذا كنا نحرض على الاستقلال أن لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في أسس ديننا الحنيف ؟ والمحافظة على هذه اللغة التي استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد .

القرون ؛ منذ عرف المغرب الإسلام في القرن الأول الهجري إلى أن أدركنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر .

امس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وآدابها وألوانها وهدونها واتساع ساحتها . وهي التي استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وببازانة . ثم بلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة . ثم كان مغربنا هذا ممن له من إرث هذه الحضارة كنوز كاد يحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الأندلس . واستولى التركيون على الشرق الأدنى كله ما عدا هذا القطر السعيد . الذي لم يعرف إلا الاستقلال منذ عرف الإسلام إلى الآن . فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وأفكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار .

امس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفي اختيار التأثيث وفي حياة الجلوس وفي إقامة الحفلات وفي مزاوله الأعمال . فتكونت لنا حياة اجتماعية نوافقتنا لأنها كانت متسلسلة عن الأجداد . لا يحس فيها بأنها تتغير في كل جيل ، وأن كانت في الحقيقة لابد أن يكون فيها تغير ما في كل جيل - فكانت لها موازين خاصة مألوفة . إليها يتحاكم ذوو الأذواق والأفكار عند الاختلاف . فيتخذ حكمها مسطرا . وقانونها مرتكزا في أعماق النفوس لا مسطرا في الطروس . تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعتنا تلاؤما تاما . دين العربية ولغة الدين . وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح .

هكذا كنا امس نعيش عيشة راضية نقر بها عينا ونرضى عنها كل الرضا لا نرى بها بدلا . بل لا نظن أن هناك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التي نحيها في أمسنا الحلو اللذيذ ؛ يوم كنا في عزلة عن العالم . في قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية . فمن الجنوب بالصحراء الكبرى ، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذي لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه . ومن الشرق بالجزائر التي سددت أيضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين . فهذا هو محيطنا الذي لا نعرف سواء قد الفناء وسعدنا فيه سعادة من ينشأ في محل خاص في عمره كله . فلا يتصور أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه .

ومعلوم مالمغراوين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميعة وذلك هو موضع العجب . واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعليون عليها فان ذلك امر طبيعي . لان الجالسين منهم على العرش عرب اقحاح . هكذا اصبحنا نرى كثيرا من تراثنا يضمحل بكل سرعة . ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله ان لا يطول .

الفد

نحن نوقن انه سيأتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لابائهم من اناضع المحمود . ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه . فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من ابناء اليوم ان يسمى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين اميننا اليوم . وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا . بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات او ما يشبه الخرافات ؛ فان نههم من سيأتون في القد سيلتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان ؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده . وهذا احد مغازي هذا الكتاب الذي بين يدي القاري .

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلس الكبير . فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار أولئك العلماء الادباء العظام ؟ فلم اقع على أي اثر . فاعلمت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية . وعن اعمال رجالها . فاذا ذلك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقلام فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس التي اعرف فيها من امثال الزاوية الدلائية عشرات فعشرات كادوز وتيمكدشت واكشتيم واططة وتالت والمعدر وتادارات واسرير وتاكوش وتيفراسين واغبالو ماسة وتامانارت واقا وتازموت واكرار وتاغاثين والمحبوب وامثالها . فمئها ما اندثر قبلنا . ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقتها . ومنها ما لا يزال فيها رفق . يعرف منه ماضيها المجيد . فكنت

اتمنى وانا اذ ذاك في مراكش في موالاة السدروس لمن يحلقون حولي لو اجد فراغا لما يختمر في نفسي حتى اؤدي هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ البونعماني ابي هذه الفكرة . ثم جاء النفي مختتم 1355 هـ الى مسقط راسي حيث التزمت القبوع والانحياش والبعد عن المجتمعات . فامتشقت القلم فاتخذته انيسا في اليوم الثاني لنزولي في (الغ) . وحين لم اجد من اخالط الا من في زاويتنا فنتعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكائهم . وفي عشية يوم كنت مع اخي احمد رحمه الله ؛ فقال لي وقد رأني مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار ؛ ماذا تصنع الآن ؟ فان كنت لابد كتابا ؛ فهبىء لنا كتابا عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث . ليكون لنا كتاب آل زاوية تيمكدشت الذي افه العربي المشرفي الفاسي ؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البذرة الاولى لهذا الكتاب . ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الامام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم . وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا . وقد رتب الكتاب على خمسة اقسام . فاشتريت انني كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حوالية من رجالات أسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة . فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء .

3 في الالفين العلماء والرؤساء .

5 في اساتذتهم كالجشتميين والادوزيين والتيمكدشتيين وآل ماء العينين والمزواريين والتاماناريين والاقاربين .

3 في تلامذة مدرستهم كاليزيديين والسالميين والحضيكيين والتادراتيين والناصرين والوهداويين الاساويين .

6 في الاخدين عن زاويتهم كالاكراريين والمحبوبيين والكوسيفيين والمعدريين والركنيين والتالتيين .

3 في اصدقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجرايين والتاماناريين والقائد المدني والقائد الناجم وغيرهم . وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها

تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء ، وبعض الصوفية ؛ وبعض الرؤساء . وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعلماء سوس . وآخر في رؤسائهم . والمقصود ان اسجل اكثر ما يمكن لي تسجيله للفقد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب .

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان في بوادي درعة وفي تافيلالت وفي دكالة وفي الريف . ولكن اين من يجمع لنا مما هناك مثل هذا الجمع . وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغي . ولا مستوعبا كما كان يجب .

ثم انني ابن زاوية وابن بيثة امس . مومن بالروحيات الصادقة . فاقبل خرق العادة ان صبح ان ذلك واقع . ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد في بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولي ديني .

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال البادية وسيكون كالداخل الى السوق التي تجمع كل شيء . فليأخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه . فان ما لا يعده الا شيئا تافها ؛ ان كان لا يذوق حلاوته . قد يكون ازاءه قارئ آخر لا يعجبه هو الا ذلك . فالكتاب كما يقولون كالنافذة الطافحة بانواع الاطعمة ، يأكل كل واحد منها ما يشتهي فممن ليس باديب لا يرتاح للادب . وممن ليس بفقيه لا يرتاح لاحوال الفقهاء . وممن ليس بصوفي يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية . نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج بفرح بكل شيء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

واخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالمة) امام القارئ . وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى . وهالك الآن (الجزء الاول من هذا الكتاب الثاني الذي ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله . فالله ييسر بفضلته ؛ فان لم يخرج القارئ بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات . نطلب الله ان ياتي بمن يستتم ما ينقص في الموضوع . او يصحح الاغلاط . وما ذلك على شأبنا الذي نراه يشارك اليوم في هذا الميدان ببعيد .

هذا وقد يجد القارئ من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لا ينبغي ان يهتم به مما يعده عند نفسه في ذوقه من الخرافات ولكن لا ينسين انني مؤرخ ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقذى به الاعين . فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القائمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك ، فانه قلم التظليل والمسخ للحقائق . لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بواسطة براعته الى الذي يتحدث عنه حتى كأنه يشاهد عيانا . واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويضيف حتى يضل القارئ عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا في التراجم ان اذكر كل شيء مدحا وقدحا وان كنت اصمل فكري واختار وارجح . لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ . ولا خير في مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب .

وبعد فها انذا اجعل امام القارئ بعض ما سودته عن سوس في هذا الكتاب الذي هو احد تلك الكتب . وسيجد فيه احيانا تكرارا في التحدث عن شيء واحد في مختلف التراجم . والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة . ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حوالها . فينظم الكلام في صعيد واحد . وانا لا ازعم في هذا الكتاب الا انه مجموعة مهيئة لمن سيستقي منها غدا ما يريد . ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار . والنكات الادبية . والقوافي وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية في الادب ؛ كما لا ادعي انني بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمي في الدقة . وانما ادعي انني حرصت على امانة النقل عن المصادر - وغالبها من افواه رجال الاسر - واجتهدت على ان اتبع الترتيب المنطقي ان حاولت الاستنتاج . باذلا جهدي ما استطعت - لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارئ مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب . يضم طائفة من ابناء امازيغ الشلحيين البدويين . من نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا . فقاموا باعظم دور في ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة .

في طريق الاستقلال



ذكرياتنا القومية

للأستاذ أحمد مراد

هذه الانغام المعبرة العذبة تحدد مواكب الابطال في ارض النضال ، وهذه اناشيد الاخوة والتضامن ، في ربوع الوطن المغربي - كما في كل انحاء الوطن العربي - تشدو بكفاح الاحرار ، وجهاد الابرار ، في ارض الوطن الجزائري ، جباله ورواياه ، وسهوله ، وتغني بطولتهم وشجاعتهم ، احياء ليوم فانسح نوفمبر ، وتخليدا للذكرى الثورية المباركة في الجزائر ، وهي تطوي صفحات ، ست سنوات ، من الكفاح المرير ، والجهاد الكبير ، وتفتح صفحة سنتها السابعة ، لتسجل فيها آيات جديدة من آيات التضحية والفدى .

مهرجانات تقام ، في يوم التضامن ، واحاديث تداع من اجل التضامن مع شعب عربي ابي ، وشعبنا في المغرب ينهض عن بكرة ابيه ليساهم بقدر ، في ذكرى ثورة التحرير الجزائرية ، اسوة بملكه الهمام ، وقائده المقام .

فأي برهان اقوى من هذا على وحدة الاهداف ، ووحدة الغايات ، التي تجلت في وحدة ذكرياتنا القومية .

والواقع ان اواصر هذه الوحدة لم تزدها الايام الا قوة ومتانة ، ولم تزدها الاحداث الا عمقا وصلابة

اشرفت الشمس في الافق ، في صبيحة يوم عيد العرش المغربي ، مع شروق بسمات الفرحنة والبهجة على شفاة كل فرد مغربي ، وفي قلب كل عربي ، من ابناء هذا المغرب العربي .

وذهبت بي الذكريات ضاربة في اعماق الاحداث القريبة والبعيدة ، معيدة الى الذهن تلك الايام الفابرة . التي كان خلالها المحتل الفاصب ، في ارض وطننا المغربي ، يحاول بكل قواه ان يخمد الانفاس المتحركة ، ويكبت العواطف المتجاوبة ، ويخرس الاصوات المتعالية في شرق الوطن وغربه ، منددة بجيروتة ، مستنكرة لسعيه في الحيلولة دون جمع الشمل ، ورص البيان ، وتوحيد الصف ، ودفع الموكب - موكب الحرية - الى الامام ، يسير في نهج واحد ، نحو هدف واحد واتجاه محدد .

لكن تلك الايام السود ، قد ذهبت ولن تعود .

وهكذا بتنا واصبحنا ، فاذا بنا نسعى ونجد في سبيل موحد ، وطريق قاصد ، بغية ادراك الاهداف القومية ، وتحقيق القيم السامية ، والمثل العليا ، التي خضنا - وما زلنا - من اجلها المعارك ، ضد العدو المشترك .

وقد ذهب ضحية الفتك الاستعماري في هذا اليوم نحو عشرين ألف من الأبرياء العزل ، الذين لا يدلهم في الحرب ، وإنما ذهبوا ضحية الانتقام الوحشي ، بيد أن تلك الدماء الطاهرة ، لم تذهب ولن تذهب سدى ، ما دامت قد أريقت من أجل تطهير الوطن المغدى من رجس الاستعمار الممقوت ..

واستيقظت صبيحة يوم عيد العرش ، على أناشيد البطولة والخلود ، تشيد بيوم هذا العيد المجيد ، وتنوه ببطولة وعظمة الرجل الفذ ، الجالس على هذا العرش الرفيع ، وبدا لي أن أسهم بكلمة في إحياء هذه الذكرى الجليلة ، وفكرت : وطال بي التفكير ، ثم قر قراري على أن خير هدية أقدمها لقراء (دعوة الحق) بهذه المناسبة ، وأبلغ تحية نحني بها عيد العرش ، هي هذه التحفة السنية ، والذرة البتيمة ، التي دبجتها براعة العلامة الجليل ، فضيلة الاستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، تحية لعيد العرش العلوي ، في إحدى ذكرياته الخالدة ، وبما أكثر ما حبر قلم الإبراهيمي ، في ميدان الدفاع عن القضية المغربية ، وخاصة خلال الازمة الشهيرة .. وإلى القارئ هذه الكلمة القيمة ، بعنوان :

عيد العرش المحمدي العلوي

(آمال قساح ، في الفوز والنجاح ، وتباشير صباح باليسر والإسحاح ، وتوق وطماح ، إلى السؤدد اللامع ، وكد والحاح ، من أصلاء في العز اقحاح ، وعزمات صحاح في الدياد والكفاح ، ومسدى ومراح ، في الحق الصراح ، وشباب نضاح ، عن الشرف الوضاح ، ومليك مسماح في العلم والإصلاح ، وأمامها تاجها الصمامة ، صدف عن المظاهر ، وعزفت عن المآثر ، لتخط الاسوة ، وتحط الجبرية والقسوة ، وأعلام من علماء الاسلام ، حافظوا على الارث وظهروه من الدم والفرث .

تلك هي حيلة الصدور ، وزينة المجالس ، في عيد العرش المحمدي العلوي ، وذكريات من المجيد التليد تثار ، وآفاق من الفخر الطريف تثار ، وسمات من مخايل البطولة تشهر ، وصفحات من تاريخ العظيمة تنتشر ، ولحات من الشرف العلوي الفاطمي ، تشع فتشيع ، ونفحات من الغر الجلائل ، من أعمال الاوائل ، تضوع وتذيع ، وذخائر من اخلاق الطيبين الاخابر ، تجبي لوارثها ، ومفاخر ، مما ترك الاول

رغم كل ما بذله الاستعمار من جهود ، في وضع الحواجز وبناء السدود ، أن وحدتنا كانت - وما زالت - عميقة الاركان سامقة البنيان ، لأن دعائمها تقوم على الدين واللغة والتاريخ ، وبهذه الخصائص أصبحت سبيلنا إلى النجاة ، ورائدنا إلى القوة والعزة ووسيلتنا إلى الرفاهية والازدهار .

ومن أجل ذلك ظل الجزائريون - وما فتئوا - يسبرون في ظليمة المعركة التي خاضها أبناء المغرب العربي ، ضد النظام الاستعماري ، وافتكك سيادتنا القومية من بين مخالبه ، وكان تجاوبهم مع أحداث القطرين تجاوبا قلبيا عميقا . كلما المت بأحد الاخوين ملمة ، أو نزلت بساحته نازلة ، وهذا امر طبيعي ناتج عن صدق الاخوة ، المستمدة من وحدة الآلام والأمال ، ووحدة المصير والمآل .

وبوم أقدمت فرنسا على افتراف فعلتها النكراء ضد العرش المغربي ، اهتزت الجزائر المتحفزة للحادث من أقصاها إلى أقصاها ، احتجاجا واستنكارا ، وامتنع المواطنون من ذبح الاضاحي تضامنا مع الشعب الشقيق في محنته ، وظلت ذكرى العدوان على العرش المغربي ماثرا حزن ، ومبعت اسى ، كلما آن أوانها ، وعاد يومها .

ولكن ذكرى يوم عشرين غشت 1953 كانت لها ميزة خاصة ، ومظهر فريد في نوعه ، لأن تلك الذكرى قد حلت بين ظهراننا ، في الوقت الذي كانت فيه الثورة الجزائرية مشتعلة الاوار ، في طول البلاد وعرضها ، فأعلنتها المجاهدون - في تلك المناسبة - صيحة مدوية في وجه الظفأة : أفصحت عنها البنادق الرشاشة ، وعبرت عنها القنابل المدمرة لمراكز جنود الاستعمار ، في مدينة سكيكدة ، وقسنطينة ، وعين عبيد ، ووادي الزناتي ، والميلية وغيرها .

وكان أبطال جيش التحرير يومئذ يتمثلون في هجوماتهم على العدو ، بقول أحد شعراء الجزائر :

فيها قدألفنا الاولى قد انطلقت

كيما تحطم للطفيان بنيانا

وعندها ثارت الرشاش قاذفة

عليهم من لقي البركان نيرانا

فاسمعت منهم من كان في صمم

وبصرت منهم غلغا وعميانا

فلم نزل ثورة الاحرار كاسحة

بالنار كل عدو اينما كانا

لآخر ، تجنى لهما بها وحارثها ، وصور من عز الملك
تجلى ، وسور من مكارم الاوبة تتلى ، وشماثل من باني
البيت اسماعيل تجلت في محمد .

تلك هي الجمل التي شرحها عيد العرش المغربي
ابان ، ورفع احاديثها مسندة الى ابان ، وفرع بها
الشماريخ الباذخة من ابان .

والعرش المغربي ، همك من عرش ، زرت ازواره
على ادريس في الاولين ، وعلى الاباء بني علي في الآخرين ،
فرست رواسيه في طينة الشرف الرفع ، وبسقت
افئانه في جوه الصافي الانصع ، واوطا متونه ، ذوائب
لمتونه ، ومد تمتانه ، على واحد هتانه ، وارث الارين ،
بمساعير مرين . . همك من عرش مد ظلاله على
المغرب احقابا ، وحط رحاله على عتبات برقة مرات . .

فاذا شاركنا اخواننا في البشري بعيدة ، فانما
نفي بعهد قل الاوقياء به ، وننعم بخيال طاف طائفه
بنفوس مترقبة لمسراه ، متعرفة لمجراه ، وما زال
الطيب كالضيف ، محببا الى الكرام ، مبغضا للثام .

ومن حكم الله في هذا العرش انه لم يزل حارسا
لغة الضاد ، من الاضداد ، حاميا للدين ، من المعتدين ،
ولم يزل في مقتعديه امثال مضروبة ، في النضج عن
الاسلام والعروبة ، اختلفت بهم الانساب ، بين يعرب
ومازيغ ، ولم تختلف بهم الاسباب في رعاية العلم وتقدير
البيان ، فكم ولدت دولهم من اعلام في الادب والبيان
ونوابغ في الفقه والتشريع ، واساطين في الفلسفة
والحكمة ، واثبات في التاريخ والخبر . .

وما زلنا ننكر على المسلمين في زمننا هذا اقامتهم
لهذه الاحتفالات ، ونعدها عليهم في باب المجانة واللغو ،
ونقول ان معظمها محاكاة لا تأتي بفائدة ، وتقليد للاقوياء

لا يعود بعائدة ، وانها تتنافى مع الجد والشهامة ،
وتلهي عن الواقع والواجب ، وان الاليق الاشبه بنا
عقد مناحات نندب فيها الجود العائرة ، والاشلاء
المتناثرة ، ولكننا حين نصل الى هذا النوع الذي ينبه
ويوقظ ، ويحرك الذكرى ويدعو الى التماسي بالعاملين ،
اسلم انها دروس تلقى على الجاهلين ، وتؤمن بانها
تاريخ يحيى ، واجيال تنشر ، واعمال تبعث ، وما
احوج الامم الفائلة النازلة بالسافلة ، المنقطعة عن
القافلة ، المشغولة عن الغرض بالنافلة ، الى امثال هذه
الدروس الحافلة .

ايها الاخوان بالمغرب الاقصى ، نحبيكم على بعد
الدار ، وحيلولة الجدار ، ومعاكسة الاقدار - تحية
ود ، لا تقابل بالرد ، ونهنيكم بهذا العيد السعيد ،
تهنئة الفريق لمن بالساحل ، والمبعد لمن طويت له
المراحل . وندعو للجالس على العرش بالتأييد من
ذي العرش ، ونتمنى لكم - كما تتمنون لنا - سعادة
يطرز حواشيها النعيم ، وسيادة تدفع الى حرم
العر من تنية التنعيم .

انا لمسنا من السنان صفحته ، وشممتنا من
الريحان نفحته ، فتعاطفت الارحام ، وتداعت وشاليج
القربى الى الالتحام ، وهزتنا الاربحية ، الى هذا التزر
القليل من التحية ، تحملها عنا اليكم ربح الصبا كلما
هبت ، وبرد الصحائف كلما خبت ، فاعدرونا فاننا لا
نبليغ في هذا المقام - وان اطلنا - القلامة من اصبع ،
والدقيقة من اسبوع والمقطرة من ينبوع .

ايها الاخوان ، ان العروش لا تثبت ما لم تكن
رواسيها القلوب والمهج ، فكونوا دون العرش صفا ،
وجمعا ملتفا ، وساعدا وكفا ، ودفعا للباغي وكفعا ،
وذودوا عنه كل مريب ، والقريب منهم قبل الغريب .

ا عن صحيفة « البصائر » عدد 58 في 48/11/29



تحية محمد الخامس

للتأخر: محمد بن علي العلوي

وبمس في حبل الرقي تبخترا
قد حقق العرش العتيد وقررا
حتى بلغت به الى اوج السدري
لما قهرت عدوه المستعمر
في عيد عرشك ان يتيه ويفخرا
وبملك الامثال تضرب في السورى
والعيش ريان الجوانب اخضرا
ولتاجه نرجي الثناء معبرا
وننال ما نصبو اليه واكثر
وبه ازدهى غرس العلوم واثمرا
برزت به عند التنافس عبقر
كالروض داعبه النسيم فازهرا
املت على التاريخ ما بهر السورى
قاد الخسيس جيوشه لسيطرا
متجيرا متنمرا مستهترا
يابى الخضوع وقوة لن تقهرا
متلفتنا من ذعره متعشرا

من حق شعبك ان يتيه ويفخرا
ويجرر الاذيال مبتهجا بما
فلقد كسرت قيوده ورفعته
وأرسته معنى البطولة رائعا
أقلا يحق لمن كسرت قيوده
وبمجدك الركبان سار حديثها
بظلاله تقضي الحياة لذيدة
ونفاخر الدنيا بملك محمد
وبعهده الميمون نسمد كلنا
عهد به دنت القطوف لطالب
وتفتقت فيه القرائح بالسدي
ونمت عقول الناشئين واصبحت
لله ما ابهى موافقك التسي
لله ما اسى صمودك عندما
(كيوم) كم دخل البلاط مهددا
فراى على عرش الاباة غضنفر
كم مرة خرج الخسيس بخيبة

قد ساء غضب الهمام لشعبه
فاختار من مكر النفوس سلاحه
طاشت لها منا العقول واوشكت
وتقى الى المفاش اسرة ملكنا
ظن القبي بأنه بلغ المنى
ما ظن ان الشعب يرفع رأسه
لم يدر ان الملك قد شرع القدا
حتى رأت عيناه ثورة امه
القت على جيش الضلال قنابلا
وقضى الاله لعبده واعاده
عادت بعودته النفوس الى الهنا
لقى الى شعب الاباء بشارة
اضحى بها الشعب الوفي بفرحة
من راقص هز السرور قوامه
ومفرد يشدو بمجد محمد
مولاي شعبك قد أنرت طريقه
والشرق هلل يوم زرت وزغردت
واهتز من طرب لمقدمك الذي
وفدت اليك حماته وعظامه
واستقبلتك شعوبه بحفاوة
وتدفقت منه الجموع يسوقه
جاءت الى البطل الهمام ترى الذي
وهفت اليك قلوبها وترنحت
تهدي اليك من القلوب تحية
لله ما ابهى الكنانة تحتفى
والنيل يوم عبرته متجولا
ومآثر الفرعون رغم جمودها
ولو استطاعت ان تكلم زائرا
ومتاهل التقوى ودين محمد
وينابيع العرفان راق نميرها

ورأى الدفاع عن البلاد تهورا
واتى الخبيث جريمة لن تغفرا
من هواها الاكباد ان تنفطرا
متقننا في خبثه متجبرا
وقضى بحنكته على اسد الشرى
بعد الجريمة او يغير منكرا
متقدما جيش الخلاص محررا
هبت تناضل في المدائن والقرى
غسلت جفون الجنرال من الكرى
للعرش موقور العطاء مظفرا
وطفى السرور على القلوب فاسكرا
اضحى بها بعد القيود محررا
وغدا بها بعد الاسى متخفرا
ومحرك بين الازاهر مزهرا
خير العظام سياسة وتصورا
ليواصل السعي الحثيث مثمرا
آماله ورأى المنى فتخفرا
جعل العسير من الامور يسيرا
والكل يفتح عين هواه معبرا
ورائك اهلا ان تجل وتشكرا
شوق تاجع في القلوب وسعيرا
كسر القيود عن الشعوب وحسرا
نشوى تحيي بالهتاف غضنفرا
وتصوغ من حسن الثنا لك جوهر
وتبجل الملك العظيم الخيرا
غنت جوانبه تباهي الكوثر
كادت تقبل راحتك وخنصرا
لسمعتها تبدي الشاء معظرا
غبطت لاجلك يا مليك الازهرا
لما نشرت بها النصائح جوهر

عادت بفضلك للبلاد قواعدا
ورأيت أن تسعى لخير جزائر
ارسلت للكنفو جنود محبة
وعرضت مسألة الشناقط تبقي
شنقيط جزء لا يلبس لغاصب
شنقيط تطلب أن ترد لاصلها
وتثور كالبركان تنذر معشرا
هيهات أن يدع الاشاوس خائفا
بسطت الى الجزء المحرر حالها
مولاي يا خير الملوك تحية
والى ولي العهد ارفع مثلها

وبه غدا امر الجلاء مقسرا
حتى ترى القطر الشقيق محسرا
تحمي الحقوق كبيرها والاضفرا
من مجلس الامم الموقر ان يسرى
ما كان يرضى ان يباع ويشتري
وترى القيود جديرة ان تكسرا
جعلوا الخيانة للمواطن متجرا
ارض الشناقط ملت المستعمرا
كيما يدافع عن حماه وينصرا
اهدي اليك اريجها المتعطرا
فواحة الانفاس تحكي العنبرا

الاسلام مبني على الاحسان وعدم استغلال حاجة المحتاج فلذلك حرم الربا بالشرط

روى مالك في الوطا عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال استسلف رسول الله بكرا (هو بفتح الباء الصغير من الابل) فجاءته ابل من الصدقة ، قال ابو رافع فاسرني رسول الله ان اقضي الرجل بكره فقلت لم اجد في الابل الا جملا خيارا رباعيا ، فقال رسول الله (ص) اعطه اياه فان خيار الناس احسنهم قضاء . ومن فتاوي ابن عمر في هذا الموضوع ما يتضح به كيف كان السلف يفهمون منع استغلال حاجة المحتاج من مثل هذه النصوص الشرعية فعن مالك انه بلغه ان رجلا اتى عبد الله ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته ، فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا . قال فكيف تامرني يا ابا عبد الرحمن فقال عبد الله : السلف على ثلاثة وجوه ، سلف تسلفه تريد به وجه الله « يعني ابتغاء رضى الله » فلك وجه الله ، وسلف تسلفه تريد به وجه صاحبك فلك وجه صاحبك ، وسلف تسلفه لتأخذ خبيثا بطيب فذلك الربا . فقال (اي السائل) فكيف تامرني يا ابا عبد الرحمن ؟ قال : ارى ان تشق الصحيفة (اي تبطل ما فيها من الشرط) فان اعطاك مثل الذي اسلفته قبلته وان اعطاك دون الذي اسلفته فأخذته أجرت ، وان اعطاك افضل مما اسلفته طيبة به نفسه فذلك شكر شكره لك ، ولك اجر ما انظرت به .

فصحيتي

للشاعر: محمد الحلوي

لدهز الدنيا وأحيا الزمانا
لصداه وادهش الشجعانا
أن يضحوا المروش والتيجانا
كنت فيه ملكه الإنسان!
ر وغنى أمجادكم الحانا
يحسن الشعر أو يطيق بيانا
ريخ أن يلهم الهدى والبيانا
سك مثال قد أعجز الكيوانا
سها وعزم القت اليه العنانا
ك بجلي الظلماء والاحزانا
واسكانت الفيتة يقظانا
ملكى وغيرة لا تدانى
خف اليكم يستمنح الفجرانا
سي تباتا وكالحديد جنانا
سب جهارا وينشدون الإمانا
فاستجبت دعاءه وامتحنانا
ل اتيا يزلزل الأكوانا
ت ويصلي عدوه النيرانا
من وخطب قد حرر الإوطانا
فتجلت وانت أعظم شأننا!

جدد الذكريات والاشجانا
ومليك قد هدمنا الطغيانا

يا سليل الملوك موقوفك الخنا
موقف طارت النفوس شعاعنا
لو وعاه الملوك هان عليهم
كان للشمر مطمع فيك يوما
وقديما سما لعليكم الشعر
وغدا فيك شاعرا كل من لا
وجدير بصانع المجد والتنا
ومدى الشعر في سماء معاليه
همة أغيت الليالي أمانيه
ودهاء تحوطه حكمة الملأ
وضمير اذا الضمائر اغفقت
شيم هاشمية وجلال
أن يك الدهر قد اساء فقد
قد رآك العداة كالجيل السرا
فجثوا خثما يقرون بالذنأ
كان صوتنا من السماء دعاكم
واذا الشعب من ورائك كالسي
منذرا بالفناء يقذف بالمو
حدث كان فاصلا بين عهديه
غمرة خضتها وانت عظيمهم

يا سليل الإبادة عيذك هذا
وجلا للعيوب ثورة شعب

انه مولد البطولة في الشعب
موسم تلقى الاماني فيه
فرحة ترقص الجبال وذكرى
وانتشى من ديبها كل ميت
هكذا حبكم تغفل في الشعب
لنقته اليباء دينا من الشعب

بابن من دوح البلاد ومن شيد
انت اعلی من ذب عن لغة الضا
فاعدها سمحاء تنتظم الثم
واحتضنها رعية عرفت في
واقمها على الجباله حربا
ان للشر في الظلام جرأيا
فضع السوط وارفع السي
كل شعر الى علاك تسمى
فلام عليك اذكى من الزهر
وعلى قائد الشباب العظام
يتسمى الى العلا حيث كانت
علوي يشنف السمع بالسد
وخطيب احيا الخطابة في المل
وابن من ضم عطفه عزة المل
وعلى الانجم اللوامع ما غر
وهنيئا بالعيد يا منية العي

ب وذكرى جهاده الشيطان
وهي نشوى قد عانقت نشوانا
ملات من جلالها الاذان
فتمنى لو مرق الاكفان!
ب فجز الارواح والابدان
ه مصونا وارضعته لبانا

د للدين والهدى بنيانا
د واغلى من قدس الاديان
ل جميعا وتقتل الاصفان
ك شوقا يوطىء الاحضان
وعلى الظلم والفساد خوانا
م ستقدوا ان اهلكت افغوانا
ف حتى لا ترى فوق ارضنا فتانا!
كلام نعهده هديانا
ر وازكى من الحيا هتانا
ي الذي بذ رايه الشجعان
وتوافيه بالمشى حيث كانا
ر وشهم يشرف الميدان
ك وهز القلوب والاركانا
ك وساق الفخار من عدنان
رد طير وعانق الافنانا
د وعشتم لمثله ازمانا

من سفح اجياد

للاستاذ: خير الدين الزركلي

تحية المشرق للمغرب
من طيب تهدي الى طيب
من صادق البارق لا الخلب
اسماها ندا ، وعن يغرب
ومن يقربه الهوى يقرب
كلاهما شرق على الاجنب
شعبا على الايام لم يشعب
والتصق المنكب بالمنكب
ضواهما في المأمل المخصب
اخاك في « سلهامه » فاصحب
واستوحى بالابعد في السبب
دهر معا ، وانطلق المحتبي
مطوفا في العالم الارحب
من كوكب ينزو الى كوكب
يذل المصعب بالمصعب
يوما ، يبدو النور من غيب
فهر ، وفهر من بينه النبي !
للناشيء اليافع والاشيب
للمفصح الموجز والمطنب
بيومها الخالد في الاحقب
نحن امام الهيكل الاعجب
مصونة اللاء ، لم تنقب
نقصاد ، لم توحد ولم تحجب
في الامصر الاولى وقال : اكتبني
وشرقي بالرشد او غربي
وما وراء الله من مذهب

من سفح اجياد ، ومن يشرب
علوية النفحة قدسية
للوحي في اشراقها ومضه
تغرب عن مدنان ، فواحة
تحية النائي ، على وجده ،
ما مشرق الضاد ، وما غربها ؟
من دوحه اغصائها ظللت
الاخوان انضم صفاهما
عينان في وجه الزمان التقى
قل لفتى « الجلباب » في شرقه
لا تامن الاقرب في بحر
سرنا معا ، اعتاقنا في السرى
اين مدى الانسان في وثبه
ضاقت به الارض ، فمد الخطا
ما يعصه اليوم يطعمه غدا
وما توارى عنه باد له
ام البنين ازداد مجدا بها
ارست صخيرات فكن الهدى
وكن للاجيال احدوثة
القرويون التي تحتفي
ليست بذكرى او بأسطورة
الدرة الفراء لما تزل
وروضة المرتاد ، بل كعبة ال
املى عليها الدهر اسراره
سيرى بابنائك مهدية
أمنت بالعلم وما بعده ،

من دحي جامعة ابن يوسف

لفضيلة الأستاذ مبارك أحمد

طيب الله تربة الحمراء
وجباها من الجمال فتونا
سميت بهجة الجنوب ولكن
منحتها يد الطبيعة وضعا
تنباهي بحسنها في وقار
وصدي مجدها فشا وتناهى
دبحته البراع في كل عصر
كم اباد لها على العلم تترى
شيدت دوره معاهد تزهو
فقدت هذه المعاهد تروى
وترامت لها الرواد تباها
انجبت سابقا وتنجب دوما
حملوا راية العلوم واذكوا
نهضت بالفتاة نحو المعالي
فدعتهن للمدارس طرا
تلك اسراهن في كل فج
فتراهن في الفصول حريصا
يتسابقن للنجاح بجهد
ومتى فزن بالشهادة جدد
وتدرجن في المعارف يرقى

وسقاها دوما ندى الانواء
وكساها محاسن الاغراء
هي ابهى واجمل الانحاء
فائقا مشرقا على الارحاء
وشموخ وعزة العظماء
منذ باتت في ساحة الصحراء
من اديب ونابه الشعراء
قدمتها لخدمة السمحاء
بجلال الابداع والاعلاء
من اتى ظامنا من الاذكياء
من جميع البلاد والانحاء
عبدوا وافرا من العلماء
شعلة النور في دجى الدجاء
لتصون التهذيب للابناء
فتسابقن عن رضا واعتناء
لارتداد المدارس الفيحاء
ات على درسهن بالاصفاء
وطموح وهمة وذكاء
ن طموحا لرتبة علياء
من ذراها لفاية قمماء

سي وقدرن قيمة الادباء
ثانيا في كلية الحمراء
رغم انف العيون والرقباء
حق شريفا وعفة وحياء
را وكل المدارس القراء
يلوغ المنى ونيل الرجاء
اي طور او معهد بنساء
من ثريا مليكة زهراء
جح نحو الوصول للجوزاء
وقنال الرضى وحسن الثناء

وتذوقن لذة الادب الحي
ها بنات الحمرا تخطين طورا
وانتزعن النجاح منه غلابا
فتيات عرفن بالجد والخل
تباهى بهن جامعة الحم
فهنيئا لكن يا طالبات
وهنيئا لكل ناجحة في
لم اخصص بذلك أي فتاة
فلتواصل فتاتنا سيرها النبا
كي تضاهي فتاة شرق وغرب

* * *

قد عهدناك منبع العظماء
في احتياج لقادة اكفاء
حاملات راية الهدى والضياء

ايه ، كلية ابن يوسف اننا
فاستمري في ثمر نورك اننا
وليعش معهد ابن يوسف دوما

للشاعر الاسلامي سالم بن وابصة

احب القنى بنفي الفواحش سمعه
كان به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصبر لا باسطا اذى
ولا مائعا خيرا ولا قائلا هجرا
اذا شئت ان تدعى كريما مكرما
اديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
اذا ما انت من صاحب لك زلة
فكن انت مختالا لزلته عذرا
غى النفس ما يكفيك من سد خلة
فان زاد شيئا عاد ذاك القنى فقرا



للأستاذ إبراهيم الهولري

هذي يدي
فلتسمدي

اقسمت بالزحف المقدس .. بالفقد
بالحق غلغل في فؤادي المجهد
بالدمع بلل جفن قاصرة اليد
ارضى التضيعة لي أنا

وحدي أنا
انني هنا

يا شهب هيا واخفطي عني القسم
وليسمع الليل المدلهم والخضم
وليتهني الاحرار في ساح العدم
لن اشكي ولن اخاف ايا ابنتي

اميتني
في ثورتني

أنا لم اكن ندلا تداس كرامتي
أنا لم اكن طعما بلد بلقمة
هذي مشاعري لم تزل مثل التي ...
فحريتي حق تباركه السما

والانجما
لسنادمي

هذي الاراضي ارضنا حتى الدما
نحن الاباة افاقهم صوت الحمى
افريقيا لنا .. وطن الجدود المتعما
افريقيا لنا .. ياويحهم فليجملوا

من عدة
ايا ابنتي

قسما بقلبك طاهرا .. بالنسمة
بالحب رفرف حانيا .. بالثورة
لن تشهدني النش الكريه ببلدتي
فحريتي

لك يا ابنتي
ولامتني .

عَيْنُ اسْرَدُونِ

للاستاذ

نيازيه احمد نديم

غذبة تجري بنيه وخفر
وصفاء ناعم بين الحجر
او غزال اذ راي القوس نقر
فقد شعرى وحى فى خطير
هذه الانعام فى شئ الصور
بجمال حسنه يبي البصر
فى اطار من لجين قد سحر
وكذا حى مع الشعر استقر
فى ربى المغرب تغري من نقر
لبنينا ... ليفنوا بالانـر
ل قصيدا فاض عفوا وانهمر
درى حلك فى احلى البـر
صورة تمسح آلام البشر
وجمالا يانع بين الشجر
جوك النادى يعطر معتبر
يعرف الضيق ولا ادنى ضجر
مر فى روضك يوما او عبر
فى صباح او مساء حيث خطـر
ل مع الشمس وفى ضى القمر
همت جبا بك فى يوم اغـر
سحرك المطبوع يا احلى الصدر

غازلت عيني مياها كالدرر
تنثني فى دلال ناعم
خطرت مثل مها مدعورة
يا له من منظر ايقظنى
كيف استخدم شعري واصفا
كيف استخدم حسي شاعرا
تحفة ابداع من صورها
ان شعري عاجز عن وصفها
انها حقاً - وربى - درة ...
درة لا بد من تخليدها
فيك يا عين اسردون اقـو
ربما امكننى اوفيك يسـا
ابدع الرحمن تكوينك فى
جنة ضمت عبرا وشذى
وزهورا عيقت انفسها
كل من ياتي الى واديك لا
بل يرى زهرا نديا كلما
ويحس الانس والامن معا
ايها الروض هنيئا بالجـمـا
وانعمى عين اسردون فقـد
واغفري لى ان كبا شعـرى فى



هياك سحري

للأستاذ: محمد الصباغ

كم تمنى السهاد أن يظل طول حياته مستيقظا ،
خيفة من أن تحلم زهرات الدفلى أنها ورود .

★
ما أجهل الإنسان بكل ما تتناوله أصابعه ،
ويدركه خياله ، وعراه عينه ، وما أجهله أيضا
بأصابعه نفسها !

★
أن مجدا يتكئ على القصور ، لابد أن يهوي من
قبابها فيمسي خرائب وأطلالا وجثة كبرياء تضحك
منها الرياح .

★
كل ما يحييه الليل في سكينته ، يقتله النهار في
فضوضائه .

★
الشمس تصطدم بذاتها كلما اتمت دورة من
دوراتها ، وكذلك الشأن في القمر ، والارض ، والافلاك
الآخرى .

★
من المستحيل أن تضبطوا معلوماتكم عن تاريخ
أي عبقرى .

★
كلما حسبت أصابع يدي ، إلا وحسبت معها
أصابع جميع الناس ، الذين ولدوا وماتوا ، والذين
سيولدون .

★
الفن هو أن ترى مثلا تلك الشجرة النابتة في
قارعة الطريق ، فتحسبها نابتة فيك . كلاكما نابت في
الآخر ، وكلاكما له جذور ، وأغصان ، وعصير وثمار .

★
هكذا تقول أوراق الخريف ، في وداعها :

اموت شهيدة الجمال ، وضحية الغرام
ومن يمت فداء الربيع يولد كل ربيع

النسر المرفرف في رفيف النجوم ، لا يثقله ظله
الملقى على الارض .

★
البذرة عندما ترسل جذورها الى جوف التراب ،
وأغصانها الى ملاعب النسيم ، لا تفكر في الجفاف الذي
يميتها ، والصيف الذي يحرقها ، والمنجل الذي
يحصد أوراقها ، والدودة التي تعبت بجذورها ،
والنحلة التي تقتات من رحيقها . كل هذه الظروف
من حياة البذرة ، بل هي البذرة نفسها .

★
صحراء يسكنها السلام ، خير من قصر يقيم
فيه الشر والآثام .

★
اطلبوني أن شتم من الكلمة التي لا تكتب ، ومن
النبي الذي يغور ، ولا يغور إلا بالظلم . اطلبوني على
حقيقتي من موقد الشفق الشفق الذي يحترق فيه
النهار ، فيهمر وكأنه وبر الفحم .

★
من يعيش في السلام ، ويلبأس السلام ، وقلبه
في سلام ، لا ولن يموت أبدا .

★
لولا احساسي بمحبة وجه بلادي الحلو الطريف ،
لما تعرفت على شعوري وعواطفى .

★
لو عرف الإنسان قيمة الصمت ، لادرك عندئذ
ثمرته التي يصبح ويفقد عليها من سامعيه وخجسل
منها ، ومن نفسه . ألا ليت تغذى مرة واحدة بالصمت
فيشبع حتى يتخمد ، فيصوم عن الكلام !

★
ألا ألا اجعل لحمي يارب طعاما للحرف ، ودمي
شرابا له ، وضوء عيني وقودا لسراجة .
اللهم اني آمنت بك وبسطوتك .

★
كل ما تؤلفه الطبيعة في حضنها الام ، برحمة ،
وعدل ، وإضاف ، ومحبة ، تفرقه الحياة في شعاب
سراديبها بقساوة ، وأجحاف ، وكراهية .

قصة العدد



للهويع للهباني خوستاف بيكين
ترجمة محمد الزمين محمد

لست أدري ان كان هذا تاريخاً يبدو قصة ، او قصة تبدو تاريخاً ،
بيد ان ما استطيع قوله هو ان في اعماقه حقيقة ، وان تكن حقيقة جد
حزينة ، وربما اكون احد من سيفيدون منها ان واتني ظروف الخيال .
وان فكرة كهذه لكفيلة بان تكون مادة لسفر من الفلسفة الباكية . . . كبت
هذا الى اولئك الذين ان فاتهم ان يكتنوها الحقيقة ، فلا اقل من ان
يستمعوا بالقراءة فطرة ما :

- 1 -

سحابة يرقبها في الفضاء . . او متاملا للهب المتواهب
من القس المحترق هنالك قرب البحيرة .
سيكون في اي مكان ، ما عدا الامكنة التي السف
الناس جميعا ان يرتادوها . . فقد كان « مانريكي »
يحب الوحدة . . يحبها كثيرا . . لدرجة انه في بعض
الاحيان كان يتمنى او لم يكن له ظل . . لان الظل
يتبعه في كل مكان .

احب الوحدة كذلك لانه في اعماقه كان يطلسق
اخياله الفنان ، فيتصور عالما خياليا تسكنه مخلوقات
عجيبة ، هي من نسج خياله ، وبنات احلامه الشعرية . .
اذ كان شاعرا تعجبه تلك الصور التي يركز امامها
تفكيره ، وان كان يعجز عن تركيز فكره عندما يكتب . .
كان يعتقد ان ارواحا نارية ذات الف لون تكمن بين
الجدوات الحمراء لجذوع الاشجار المحترقة . . ارواحا
تسبح كأنها حشرات ذهبية . . وهكذا كان يقضي
الساعات جالسا بلا حراك مركزا بصره نحو الضوء .

كان يعتقد كذلك ان في امواج النهر ، وبين
الاعشاب الطافية فوق البحيرة نساء خيالية مرحة

كان نبلا ، وله بين قعقة السلاح ، وبين
موسيقى الحرب التقليدية المؤثرة ، ولم يكن يستطيع
ان يرفع راسه او تفارق عيناه لحظة ما كتاب الاناشيد ،
حيث يقرأ آخر تشيد لشاعر حماسي . . ولم يكن
من اللازم على من يريدون لقاءه ان يبحثوا عنه في فناء
برجه الفسيح ، حيث يعنى السيوس بصغار الخيل ،
او حيث يقوم الخدم بتدريب الصقور على الطيران
او حيث يقضي الجنود اوقات فراغهم في شحذ
حراهم فوق الاحجار . .

ولقد كانت امه احيانا تسال عنه خدمه : اين
« مانريكي » ؟ اين سيدكم ؟ وكانوا يجيبونها : لا ندري ،
ربما يكون هناك قرب الصخرة جالسا على حافة جوت
وقد ارهف سمعه الى ما عساه ان يدور بين الموسيقى
من احاديث ، عله ان يفاجيء بسماع احدى كلماتهم
او يكون فوق قنطرة النهر جالسا يتأمل جريان الموج
طائفة اترطائفة وهي تعبر القنطرة ، او مستلقيا فوق
احدى الصخور منصرفا الى احصاء النجوم خلال

وغامضة تعيش ثم .. هي عرائس النهر ، تفني أو تضحك فتذهب اصواتها مع صوت الماء الجاري الذي يسمع في هدوء وصمت ، كأنما الصمت يحاول ترجمة ذلك الصوت .. في السحب ، وفي الهواء ، وخلال الغابات ، وفي فجوات الصخور ، كان يتخيل انه يرى اشكالا أو يستمع الى اصوات غامضة .. اشكالا ليست آدمية .. واصواتا لا تكاد تفهم ..

الحب .. لقد خلق الحب لكي نحلم به ، لا لكي نحسبه .. ومن اجل هذا فقد احب « مانريكي » كل النساء فترة ما .. احب هذه لانها شقراء .. واحب تلك لان لديها شفتين حمراوين ، واحب ثالثة لانها تتأدد في مسبتها كفصن البان .. وقد يصل به اضطراب الخيال الى حد ان يظل ليلة كاملة ناظرا الى القمر السابح في السماء في هالة فضية ، او الى النجوم الخافقة في افقها البعيد كأنها الدرر ..

ذات ليلة من لياليه الشعرية النابغة الراقصة تتم فيما بينه وبين نفسه : نعم انه حق .. كما قال لي هاتف الصخرة .. انه من الممكن ان تكون تقط الضوء هذه عوالم .. وان يعيش اناس في تلك الهالة المحيطة بالسحب ، وستكون فاتنة تلك النساء التي يعيشن في تلك المناطق المشرقة ... سوف لا يستطيع ان اراها ولا ان احبها .. الى اي مدى ستكون ساحرة ؟ وكيف يكون حبها ؟ .. على ان « مانريكي » لم يكن مجنونا الى حد ان يتبعه الصبيان ، ولكنه كان من الحمق بحيث يقوم بحركات تعبيرية اشارية اذا خلا بنفسه ..

- 2 -

فوق النهر الذي يجري ممهدا طريقه بين الجنادل والاحجار السوداء القائمة على ضفافه ، تقوم قنطرة تؤدي الى المدينة بطريق تقود سالكها الى تلك الدار القديمة التي يقطنها جماعة من رجال الدين ولهبؤلاء ممتلكات تمتد بعيدا على حاشية النهر . . وفي الفترة التي تتصل بحديثنا هذا كان رجال السلطة قد تخلوا عن سلطاتهم التاريخية ، ولكن كانت هناك بقية من جدران قلاعهم المربضة لا تزال قائمة وقد غطيت اصولها ببعض الحشائش وبعض الازهار البيضاء ، فاذا هبت ريح حركت الحشائش والازهار فاحدثت صوتا كأنه الشخير ...

ومن حول تلك القلاع ترى بعض الحداثق اهملت طرقاتها فلم تصلح منذ اعوام طويلة ولم يعن بالزروع ، كأنما يخشى ان تشوهها الايدي الادمية لو مستها ، وكان

يعتقد انها هكذا جميلة ، اما الزروع المرتفعة المتسلقة جذوع الاشجار فقد كانت ظلالتها تنعكس على الطرقات ، كما كانت تعلو حينما حتى تختلط باغصان الشجر ، وكانت هنالك بعض عيون يغيب مأوها بين الزروع والحداثق ، كما كانت طرقات الحداثق مغطاة بالرمل ، وترى هنا او هناك ازهار جافة متساقطة تعلن انتصار الزمن على الكائن الحي ..

كانت ليلة من ليالي الصيف المعتدلة تتزوع عطرا ونهمس نجوى ، يزينها قمر مشرق ابيض في وسط سماء شغافة مشرقة .. عبر « مانريكي » القنطرة بعد ان تأمل برهة بخياله الشاعر المدينة من خلفه وقد بدت سوداء شاخصة ، تحيط بها مجموعة من السحب البيض الخفيفة المتناثرة في الافق ، ثم ما لبث ان لجأ الى تلك الانقاض حيث كان يقسم رجال الدين من قبل .. بلغ الليل منتصفه وكان القمر في سيره الهادي الرتيب قد وصل الى اعلى مكان في السماء فانعطف « مانريكي » في سيره الى اكمة على جانب النهر حجبته عنه الاغصان فيها ضوء القمر ، ثم ما لبث ان ارسل صيحة خفيفة مخنوقة ، هي خليط من الدهشة والخوف والفرح ، فقد رأى تحت ظلال الاشجار شيئا ابيض يتحرك ، بدا ثواني ثم اختفى في الظلام ، وقد رأى بعين خياله ان هذا الشيء هو طرف ثوب ابيض .. ثوب امرأة ما لبثت ان اختفت بين الاغصان المتشابكة ..

- 3 -

وصل « مانريكي » الى الحد الذي أصبح فيه ضائعا بين الاشجار والاغصان في البحث عن المرأة الغامضة ، لقد اختفت .. ولكن .. في اي مكان ؟ هناك بعيدا .. اعتقد انه رآها بين الاغصان ولو انه لم يرها بوضوح تام ، رآها كشيء ابيض يتحرك .. انها هي .. انها هي التي لها في قدمها اجنحة ، وقد هربت كالظلال ، اندفع يبحث عنها ممهدا يديه طريقا لنفسه بين الاغصان المتشابكة ، حتى وصل الى مكان مضيء تظهر فيه السماء وجعل يقول : لا احد ! آء من هنا ذهبت انني اسمع وطأ اقدامها فوق الاوراق الجافة ، وحفيف ثيابها وهي تجرهما فوق الارض فتحتك بالكلا وجعل يجري ويجري من هنا الى هناك كأنه احمق ولكنه لم يرها ونأجى نفسه ثانية قائلا : ولكن لا زال وطأ اقدامها مسموعا ! .. اعتقد انها تكلمت .. لا شك في انها تكلمت .. ولكن .. الريح التي تصفر بين الاغصان وخشخشة اوراق الشجر التي تبدو كأنها

وضع ان امله كان ضعيفا في ادراكه من كانوا في الزورق ، وانه لم يستطع ان يعرف اية دار من دور المدينة ستكون نزلا لهم ، الا ان فكرة دارت في رأسه جعلته ينخرط بين جماعات الناس ويتجه نحو حي « سان خوان » ليبدأ في التجوال بين طرقاته على غير هدى ، وقد كانت طرقات المدينة ضيقة مظلمة ، متعرجة يخيم عليها صمت عميق ، صمت لا يقطعه الا عواء كلاب يأتي من بعيد بين الفينة والفينة ، او صرير باب يفلق ، او صهيل فرس يتجاوب مع سلسلة من الصهيل تتصاعد من اسطبل ..

اما « ما تريكي » فقد كان يسمع من طنين يسمع عادة في سكون الليل ، بيأ له انه يسمع خطوات شخص ما .. خطوات تأتيه من منعطف طريق خال .. واحيانا كان يخيل له انه يسمع خلف ظهره اشخاصا يتحدثون بصوت مبهم ، وانه يتوقع ان يراهم الى جانبه ، هكذا قضى عدة ساعات يسعى على غير هدى .. وفي النهاية توقف عند باب دار قديمة مظلمة ، وما كاد يقف حتى لمعت عيناه بانطباع من الفرح لا يكاد يوصف ، فقد رأى من نافذة عليا للدار التي يمكن ان يسميها قصرا .. ضوءا هادئا يتراقص شعاعه فيخترق ستائر حريرية في لون الورد ويتعكس على الدار المقابلة ، فهمس فيما بينه وبين نفسه : هنا تنزل مجهولتي .. هنا تعيش .. ولم تبرح عيناه النافذة لقد دخلت المدينة من باب « سان ساتوريو » ولا بد انها جاءت الى هذا الحي .. ولا زال بعض الناس ساهرين .. اناس ساهرون ماعداها .. اناس يأتون من عملهم او من جولاتهم الليلية ، ويستطيعون قضاء الساعات الباقية من الليل هنا .. ليس ثم مزيد .. انها دارها بايمانها بفكرته هذه وبخياله الاحمق انتظر مطلع النهار امام تلك النافذة التي لم يتطفئ ضوءها طيلة الليل ، كما ان بصره لم يتحول عنها لحظة ما .

وعندما طلع النهار كان من السهل ان يرى الشعار الذي يميز صاحب الدار منقوشا على الحجر الذي يفلق الباب بواسطته .. الباب العام المؤدي الى الدار .. تحركت الابواب في ثقل محدثة صريحا لفترة ما .. وقد ظهر خادم يحمل في يده حزمة من المفاتيح تقدم عيناه بالشرر وهو يتشأب فيبدو فيه وكأنه علبة من الاسنان رؤيتها كقيلة بأن تبعت الغيرة في قلب تمساح ..

صلاة في صوت خافت قد منعاني ان اسمع ما قالت .. لاشك في انها تكلمت .. قد ذهبت الى هناك .. قد تكلمت .. بآية لغة تكلمت ؟ لا ادري ! انها لغة اجنبية .

ورجع الى التجوال ثانية عدة مرات باحثا عنها ، حينما يعتقد انه سيراها ، وحينما يفكر انه سيسمعها متأملا الاغصان التي اختفت خلالها ، متخيلا انه يستطيع ان يميز آثار اقدمها الخفيفة فوق الرمل .. وانه قد استنشق عطرا خاصا في فترات متقطعة هو عطر تلك المرأة التي سخرت منه ، وكان يجد لذة في هربه بين تلك الاشجار .. ولكن بلا جدوى .. ولقد ظلل يتسكع بضع ساعات من مكان الى آخر .. وهو ذاهل عن نفسه ، وكان يتوقف متمعنا او يزحف فوق الحشائش في هدوء وحذر كبيرين .. هي جولة للذة ولكنها يائسة دائما يرى مصعدا بين الحدائق التي لاتخصى .. تلك الحدائق التي كانت بمثابة حاشية للنهر وفي النهاية وصل الى مقبرة « سان ساتوريو » المنعزلة .

وذات مرة وهو يثب من صخرة الى صخرة معتمدا على عصاه تتمم قائلا : من هذا المرتفع سأستطيع متابعة بحثي عبر تلك الطرقات الغامضة .. ثم تسلق القمة حيث استطاع ان يكشف ببصره المدينة وما هو ابعد منها وما لبث ان كر راجعا في طريق متعرج مظلم .

ومرة اخرى كان فوق مكان عال من الصخور فارسل بصره وانعم النظر فيما حوله ، وثبت عينيه عند نقطة لم يستطع عنها حولا .. كان ضوء القمر سطع منعكسا صغيرا على المنارة التي وضعت قرب ضفة النهر كي تهتدي بها السفن ، وقد رأى خلف المنارة زورقا صغيرا يتحرك مجدافاه في عنف متجه نحو الشاطئ الآخر للنهر ، فاعتقد انه ميز في الزورق شكلا ابيض .. انها امرأة .. ومن غير شك المرأة التي سبق ان رآها من قبل ، انها امرأة اخلامه .. ثم اتحد من القمة في خفة الغزال والقي بغطاء رأسه وبحدائه الطويل على الارض وشرع يجري نحو القنطرة كأنه قذيفة منطلقة فكر ان يعبرها وان يصل الى المدينة قبل ان يصل الزورق الى الضفة الاخرى .. انه احمق ! وعندما وصل الى مدخل المدينة ينهج تعباً ، ويتصب عرقاً ، كان ذاك الزورق قد عبر النهر من جهة « سان ساتورالو » ودخل من فيه المدينة من باب آخر يخترق السور المحيط بها وقد كان سور المدينة في ذلك الحي يصل الى ما يجاور النهر .

وما كاد « مانريكي » يراه حتى انطلق نحوه مسرعا وبدأ يسأله : من يعيش في هذه الدار ؟ وما اسمها ؟ من اين هي ؟ لماذا جاءت الى هذه المدينة ؟ أهي متزوجة ؟ أجب .. أجب يا حيوان ! ثم لطمه بقوة .. وبعد ان نظر اليه الخادم فترة ما بعينين خائفتين بلهاوين اجابه في صوت متقطع بما فاجأه :

في هذا الدار يعيش السيد العظيم « السونسودي فالديكوس » الرائد الاكبر لمولانا الملك ، وقد جرح في احدى الحروب وهو هنا للاستدواء والاستجمام ..

فقاطعه « مانريكي » في قلق : ولكن ابنته .. او اخته .. او زوجته .. او كائنة ما كانت ؟ فاجابه الخادم : ليس معه اية امرأة . اذن فمن الذي ينام هناك ؟ هناك في تلك الحجرة حيث رايت الضوء طول الليل لم ينقطع ؟ هناك ؟ .. هناك ينام سيدي .. ولانه مريض يترك الضوء حتى يطلع النهار .. فلو ان ساعة نزلت على « مانريكي » لما سببت له ما سببته هذه الكلمات ..

- 5 -

يجب ان القاهها .. يجب ان القاهها .. واذا لقيتها فانا على يقين من اني ساعرفها بماذا ؟ ذاك هو الذي لن استطيع قوله .. ولكن .. يجب ان القاهها .. صدى خطواتها او كلمة واحدة من كلماتها اعود الى سماعها من جديد .. او جانب ثوبها اراد ثانية شيء من هذا يكفيني ان الاحقها ..

في الليل والنهار تتراعى امام ناظري طيات ثوبها الابيض الناصع .. في الليل والنهار ينعكس في رأسي حفيف ثوبها .. وهمساتها الخافتة التي لا تفهم .. ماذا قالت ؟ ماذا قالت ؟ آه .. لو انني استطعت فهم ما قالت .. ربما .. ولكن من غير ان اعرف ما قالت سألهاها .. قلبي يحدنني بذلك ، وقلبي لا يخدمني ابدا .. حقيقة انني قد جلت كل طرقات المدينة بلا جدوى .. قضيت ليالي وليالي كأنني عمود مقام على ناصية الطريق ، وانفقت كثيرا من النقود الذهبية في سبيل كسب معرفة وخلق احاديث مع ربات الدور والخدم فقد لقيت مرة سيدة عجوزا مدثرة بثوب صوفي من ذلك الذي يستعمله رجال الدين ، فأعطيتها ما كان معي من ماء مقدس نظير مباركتها لي .. وعند خروجي من احدى الكنائس

ذات ليلة تابعت بحمق محفة يحملها خادمان ويبدو منها طرف ثوب نسائي ابيض معتقدا انه طرف ثوب مجهولي .. ولكن لا يهم .. يجب ان القاهها .. وستفوز لذة لقائها على متاعب البحث عنها ..

كيف ستكون عيناها ؟ يجب ان تكونا زرقاوين .. زرقاوين منعشتين كالسما الصافية في الليل ، اذ يعجبني كثيرا ان تكون الاعمى في هذا اللون .. ستكون عيناها مسبرة جدا .. وحيوية .. بلا شك زرقاوين يجب ان تكونا ، وهما زرقاوان بالتأكيد .. وشعرها فاحم فاحم جدا وطويل قد استرسلت غدائره هنا وهناك يبدو لي انني رأيتها على هذا النحو تلك الليلة .. لست مخدوعا .. كان شعرها اسود .. وماذا تحس به عينا زرقاوان ناعستان ؟ وخصائل من الشعر مطلقة فاحمة ؟ وامرأة فارعة ؟ لماذا ؟ لانها فعلا فارعة معتدلة القوام جذابة .. كأنها ملك من الملائكة .. صوتها ! قد سمعته .. صوتها هاديء كأنه همس النسيم في اوراق الشجر ، ومشيتها ، مشيتها رتيبة كأنها رجع الالحن الموسيقية .. هذه المرأة الجميلة كأجمل مآدار في احلامي هي في ربيع العمر مثلي ، تفكر كما افكر .. ويعجبها ما يعجبني ، وتكره ما اكره ، انها روح آدمية من روحي ، انها متممة لوجودي .. لست ادري اي شعور يجب ان يخامرها عند ما تلقاني ؟ سوف لا تحبني كما احبها .. وكما احبها فعلا بكل كياني وبكل قوى روحي .. هيا .. هيا الى المكان الذي رأيتها فيه لأول مرة .. وهي المرة الوحيدة .. من يعلم ؟ لعلها مثلي مولعة بالوحدة والفموض ككل الارواح الحاملة ، لعلها محبة للتجول بين الانقاض في هدوء الليل ..

- 6 -

مر شهران بعد الحوار الذي وقع بين « مانريكي » وبين خادم السيد (السونسودي فالديكوس) شهران شيد خلالهما « مانريكي » قصرا في الهواء ما لبثت الحقيقة ان ذهبت به في نفخة .. شهران قد بحث خلالهما عبثا عن تلك المجهولة ، وكان حبه الموهوم خلالهما ينمو في روحه بفضل خياله الواهم حتى اصبح ضائعا في خيالاته واوهامه .

كان الليل هادئا جميلا ، والقمر يتلأل في كبد السماء وقد بدأ في اكتماله ، والنسيم يداعب اوراق الشجر فينبعث منها حفيف كأنه الهمسات الحلو ..

قالت له امه ذات يوم : انت شاب جميل ،
فلماذا تنفق وقتك وحيدا ؟ ولماذا لا تبحث عن امرأة
تحبها وتحبك وتستطيع ان تجعل منك انسانا سعيدا ؟
فهمس كانه يحدث نفسه : الحب .. الحب انه شعاع
القمر .

وقال له احد ذويه مرة : لماذا لا تفيق من هذا
الوهم ؟ لقد البست نفسك ثوبا حديديا من قدمك
الى رأسك ، فلماذا لا تأمر بان ينشر في الهواء علم
سلالتك النبيلة فتذهب الى الحرب وفي الحرب المجد ؟
المجد .. المجد .. انه شعاع القمر .

هل تحب ان اسمعك انشودة في الليل هي من
آخر ما انشاه الشاعر الفتن (ارنالدو) .. فاعتدل في
جلسته في حركة عصبية وقال : لا .. لا .. لا احب
شيئا .. اعني اذا كنت احب شيئا فانما احب ان
ان تدعوني في وحدتي .. شعر غنائي .. نساء .. مجد ..
سعادة .. كل هذا كذب وخيال لا طائل تحته ، شيء
نتصوره في اخیلتنا ونضفيه على امرجتنا ثم نحبه ونجري وراءه
فلماذا ؟ لاجل ان نجد شعاع القمر .. مانريكي .. كان
احمق .. او على الاقل كل الناس قد اعتقدوا انه
كذلك .. اما انا فعلى الضد من ذلك .. فما قام به
هو في رأيي فلسفة للواقع ..

وصل « مانريكي » الى تلك الدار التي كان يسكنها
رجال الدين ، وجال بصره في فنائها ، ثم مد عينيه
بعيدا خلال الاعمدة الصماء التي تنتثر هنا وهناك في
فناء الدار ، فقد كانت الدار خالية ، ثم خرج واتجه
نحو اكمة مظلمة تؤدي الى التهر ، ولم يكمل يدخلها ..
حتى نادت من شفثيه صيحة فرح ، فقد رأى شيئا
ترأى لناظريه هنيئة ثم تلاشى .. جانب ثوب ابيض
.. هو ثوب فتاة احلامه .. ثوب المرأة التي احبها
بجنون .. جرى هنا وهناك يبحث عنها .. وصل
الى المكان الذي اختفت فيه من قبل ، دقق نظره
الخائف في الارض وظل فترة بلا حراك ، غشيت رعدة
عصبية هزت أعضائه ، غشية تزايدت كأنها ناتجة عن
حمى تدب في جسمه ثم ارسل ضحكة عالية وقبيحة ..
ذلك الشيء الابيض الذي ترأى له من قبل قد عاد
يلمع ثانية تحت قدميه هنيئة .. لم يكن ذلك الا شعاع
القمر ، شعاع القمر الذي تسلل من بين اغصان
الاشجار عندما حركت الريح هذه الاغصان ..

قضى بعد « مانريكي » بضعة اعوام وهو يجلس
في مكان معين من برجه بلا حراك تقريبا ، ينظر نظرات
بلهاء قلقة كنظرات المتوه ، ولم يكن يعير اهتماما لا
الى حب امه له وعطفها عليه ولا الى تفاني خدمته
في خدمته ..

رأي الشبلي في المعاشرين

قيل للشبلي من الرفيق ؟ قال : من انت غاية شغله ، واؤكد فرضه ونفله ، قيل
له فمن الشفيق ؟ قال : من ان دهمتك محنة قذيت عينه لك ، وان شملتك محنة قرت
عينه بك ، قيل له فمن الوافي ؟ قال من يحكي بلفظه كما لك ، ويرعى بلحظه جمالك ،
قيل له فمن الصاحب ؟ قال من ان غاب تشوقت اليه الاحباب ، وان حضر تلقحت به
الالباب ، قيل له فمن النديم ؟ من ان نأى ذكرك عند الكاس ، وان دنا ملك الانتناس

تعليق على مقال ليز في العدد السابق



(2) اسلام المقاربة واخلاصهم فيه لا يحتاج الى اقامة دليل لا عند المقاربة وحدهم بل عند كل من رار المغرب واطلع على احواله وهذه حقيقة مسلمة لا تحتاج الى مرأ ولا جدال .

(3) يقول الاستاذ كنون : اما الصيام فلم يكن احد يخل به حتى طفت علينا هذه الحرية الموبوءة التي نرجو ان يكون الدستور وقاية لنا من عقابيلها الفتاكة ، اقول: سمي الاستاذ كنون هذا التفسخ والفوضى الخلقية حرية موبوءة ، وهي في الحقيقة عبودية للشهوات والاغراض الفاسدة ، وقوله : نرجو ان يكون الدستور وقاية لنا من عقابيلها الفتاكة ، العقابيل جميع عقول وهو ما يخلقه المرض من العواقب والنتائج وما يظهر على الشفة بعد الحمى ، وتشبيهه لعواقب الفوضى الخلقية بالعقابيل من ابلغ التشبيه وغريبه ، ونحن نرجو كما يرجو الاستاذ كنون ان يكون الدستور المرتقب واقيا وشافيا للمقاربة من هذه الامراض الاجتماعية المهلكة ، فان لم يكن كذلك فوجوده وعدمه سواء . وقد امر جلالة الملك محمد الخامس ايده الله ان يبنى الدستور على الاساسين العظيمين كتاب الله وسنة رسوله فاذا كانت الكلمة لممثلي الشعب الحقيقيين الاحرار المخلصين كالاستاذ عبد الله كنون فيسكون الدستور بلسم شافيا وحصنا واقيا من تلك الامراض ، قوله : فالمقاربة علي العربية واذا تعارضت فرضا وتقديرا فهو عربي فكرا وشعورا وانف الوطنية الاقليمية الضيقة راغم ، تماما كما لو تعارضت العربية - وهي لاتعارض - مع الاسلام فهو مستعد للتضحية بها والتكسر لها .

اما المقال الاول فهو بقلم الكاتب العبقري الذي قل ان يفري فرية كاتب لا في المغرب العربي وحده بل في البلاد العربية والاسلامية بأسرها، مقال كحد السيف بين القبائل اذا بان لم يترك مقالا لقائل والمقال الثاني في الجزء نفسه للاستاذ محمد بن احمد بن عبد الله في توحيد الصوم والاعياد .

وابدا بالمقال الاول الموسوم : بالدراسات الاسلامية للاستاذ عبد الله كنون فأقول : ان الاستاذ كنون في ذلك المقال قد تكلم بلسان اثني عشر مليوننا كما قال بحق وصدق ، ومن شدشد في النار ، وتكلم كذلك بلسان الاسلام الذي يدين به مات الملايين ، وتكلم بلسان العرب وعددهم سبعون مليوناً وعزل كل ما ادعاه بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة كما يفعل المحامي القدير امام القضاة ، فيسد على خصمه كبل طريق ، ويقف له بالمرصاد ، ويلحقه بموكله فيسجنهما جميعا في قفص الاتهام ، وكل من قرأ هذا المقال وكان عنده من العربية ما يمكنه من فهمه ومن الانصاف ما يحجب له الحق ويبغض له الباطل يصل الى النتيجة التي وصلت اليها ، وما دام في النواب الذين يتصدون لوضع الدستور مثل هذا البطل فلا خوف على الحق واهله من سطوة المبتليين وتلييس الملبين وخيانة الخائنين . ويتلخص هذا المقال القيم في الحقائق التالية :

(1) ان المغرب قطر يسكنه اثنا عشر مليوناً من الناس كلهم يدينون بالاسلام ويقدمون العروبة ويتمسكون بمغربيته اعظم تمسك ، وهذا باستثناء اقلية صغيرة من اليهود كانت قبل هجرة الكثير منهم الى فلسطين المكتسبة تعد بمائتي الف نسمة ، وبعض ذوي الافكار المضادة لهذه المبادئ وهم مهمما بالفنا في تعدادهم تصديقا لدعواهم فلن يتجاوزوا بضع مئات .

بالفضل الذريع والخذلان الشنيع . وبقيّة مقال الأستاذ كنون ليس عندي ما أزيد عليها الا اني اعيد هنا ما قلته من قبل مادام الرجال المنتخبون لتأسيس الدستور يوجد بينهم مثل هذا الرجل الحر فلا خوف على الدستور ولا خوف على المغرب ان شاء الله .

واما المقال الثاني في توحيد الصوم والاعياد فليس عندي ما اعلق عليه الا اني اقول ان الأستاذ ابن عبد الله قد استوفى الكلام على هذه المسألة من جميع الوجوه اصولا وفروعا وجمع خلاصة مذاهب اهل السنة من زمان السلف الى يومنا هذا ، وخرج بنتيجة حاسمة لا تبقي شكاً عند من له ادنى نصيب من الفقه بمعناه الحقيقي المقصود بقول النبي (ص) (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) ومن سوء الحظ ان الفقهاء بهذا المعنى عددهم قليل في المغرب في الوقت الحاضر فكثير الله من امثاله . فعلى وزارة الاوقاف ان تتلقى هذه الفتوى بما تستحقه من العناية والاعتبار وتسعى للعمل بمقتضاها فان القول بتعدد المطالع اوقع المسلمين في فوضى عظيمة حتى صار اهل القطر الواحد يختلفون في الصوم والعديد من وصار الحجاج يقفون يعرفات يؤدون مناسك يوم النحر على حكم المملكة السعودية ، وكثير من الاقطار الاخرى تخالفهم في يوم العيد . وان علم الفلك ليؤيد ما جاء عن الفقهاء الثلاثة ابي حنيفة ومالك واحمد واحدي الروايات عن الشافعي كل التأييد ، ولو كان المفتون من المسلمين يبحثون ويفكرون بالطريقة التي سلكها الأستاذ ابن عبد الله ويتجنبون الجمود والتعصب والتقليد الاعمى لاتجدت افكارهم وزال الاختلاف بينهم في كثير من المسائل واجتمعوا على مذهب واحد كما كان الامر في زمان النبي (ص) والصحابة والتابعين ، وتلك هي القرون المفضلة بنص الرسول (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) . فنسال الله ان يجمع كلمة المسلمين على اتباع كتاب الله وسنة رسوله ويشفيهم من داء التفرق في الدين انه سميع مجيب .

يشتمل هذا الكلام على قضيتين ، الاولى هي تنافر المغربية مع العربية قال الأستاذ كنون : انهما لا تتنافيان ولو لم يمكن الجمع بينهما لتنازل المغربية عن مغربيتهم وتمسكوا بعروبيتهم . اقول : ان سكان المغرب قسماً او غصنان من شجرة واحدة وهم العرب والبربر ، والبربر شعب يتصل بالعرب في النسب ، وقد ضرب بنسبهم واغفر في بناء مجد العروبة والاسلام لا يستطيع العرب ان يدلوا باكثر منه ، وان علماء اللغات المعروفين في اللغات الاوربية بلفظ (الفيلولوجيين) مجمعون على ما يعلمونه علم اليقين ان البربر وقدماء المصريين يتصل نسبهم بالعرب ، فلا شك عندهم ان اصلهم واحد ، وقد اخبرني البروفيسر ثرمالك : مدير المعهد الافريقي في جامعة فيينا انه القى محاضرات في الجامعة المصرية اثبت فيها بالبرهان القاطع من طريق علم اللغات ما ذكرته آنفا . اذن فالمغربية والعربية شيء واحد ، والقضية الثانية ، هي فرض اختلاف العروبة مع الاسلام وانهما لو اختلفا لتبدنا العروبة وتمسكنا بالاسلام فاننا مسلمون قبل ان نكون عربا كيف وقد قال الله تعالى في الكتاب الكريم : « انما المؤمنون اخوة » . وقال تعالى في آخر المجادلة « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه » .

ونحن نعيد تاكيدنا للشعوب العربية التي تتألف منها الامة العربية انها لن تفلح ابدا ولن تعود لها السيادة والمجد اللذان سعد بهما العرب في صدر الاسلام الا بالرجوع الى الاسلام ، ولا اقصد الاسلام اللفظي ولا الاسلام المشوب بالبدع والخرافات والشرائع المحرفة ، وانما اقصد الاسلام الذي كان عليه النبي والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار بلا زيد ولا نقص ولو مثقال ذرة . وما اجمل واصدق قول الأستاذ كنون : فالذي يريد ان يسوس المغرب ويحظى بثقة المغربية عليه ان يرعى هذه المبادئ الثلاثة في كل عمل يعمله وكل سياسة ينتهجها ، والا فانه سيؤ

استشعر في امرك الذين يخشون الله

عن الزهري قال قال عمر رضي الله عنه لا تعترض فيما لا يعينك واحتفظ من خيلك الا الامين فان الامين من القوم لا يعادله شيء ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفشي اليه سررك واستشعر في امرك الذين يخشون الله .

قراءات أبحاث العدد الماضي

للدكتور فؤاد البهي السيد

التقويم العام :

التي تؤثر في القضاء المعاصر في الدول العربية اذ يعالج ويقارن التيار الاسلامي والتيار الاوربي في القضاء ، وقد وفق الكاتب باختياره للمشكلة ومعالجته لها توفيقا كبيرا .

احتوى هذا العدد على سبع مقالات وابحاث تناولت موضوعات دينية ولفوية وشرعية وتاريخية واقتصادية ، وهي بهذه الصورة تتسع وتمتد حتى تكاد تستغرق النواحي المختلفة للدراسات الاسلامية والثقافية الفكرية ، وهكذا تسامر هذه الخصوبة ، هدف المجلة ، واطارها العام ، وهدف هذه المجلة كما تحدده صفحتها الاولى ، هو « مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر » .

التقويم الخاص :

كما وفق ايضا السيد المهدي البرجالي في مقاله عن حياة الاسلام المعاصر واتر هذه الحياة على الافراد وعلى العلاقات القائمة بين الدول ، هذا ، وقد عالج السيد محمد الصادق البقالي الوظائف الاقتصادية للحكومة وتعرض للنظم المالية المختلفة وعلاقتها بالنظم السياسية ، وهكذا تحقق هذه المقالات والابحاث الفكرة التي تدعو اليها المجلة .

الاصل في البحث ان يتناول مشكلة ويعالجها معالجة فكرية منطقية ، او تجريبية علمية ، حتى يصل بها الى حلها المناسب ، والاصل في المقال ان يتناول موضوعا له وحدة فكرية واهمية عقلية او عملية ، ثم يستعرض جوانبه الرئيسية حتى ينتهي الى تكوين الصورة العامة ، او المقترحات الخاصة بهذا الموضوع ، والابحاث والمقالات التي نشرتها - مجلة دعوة الحق - في عددها الاول من سنتها الرابعة يقترب الى حد كبير من هذا التحديد العلمي للابحاث والمقالات ، ويتعدى البعض الآخر عن الصورة الصحيحة للبحث او المقال .

لكن المقالات الاخرى لم تصل في مستواها التحليلي الى ما كنا نرجوه لها ، فالمقالة التي تناولت معهد ام درمان العلمي ليست الا تقريرا حكوميا عن المشكلات والمظاهر الادارية للمعهد بما في ذلك مكافأة المدرسين ، واخواء سريعة على تاريخ المعهد وكنا نرجو من الكاتب الفاضل ان يعطينا صورة اخصب واعمق عن هذا المعهد الجليل .

وقد توفرت اغلب هذه الشروط في بحث السيد حسن الحجوي الثعالبي وعنوانه ثقافتنا القضائية يجب ان نوحدها ، وهو تحليل ممتاز للعوامل والتيارات

وكنا نود ايضا للبحث الذي تناول الالفاظ الاسلامية ان يتسع ويستمد ويوضح الاسس اللغوية الاسلامية التي قامت عليها المصطلحات الدينية ، لكن هذا البحث اقتصر في جوهره على المقارنة بين كلمتي : صومعة ومئذنة . وقد استغرق الكاتب في مقدمة هذا

تطوان ، وهو بحث لا بأس به في تصويره للفردية في التاريخ ، هذا ويميل اغلب علماء التاريخ الآن الى دراسة التيارات الكبرى التي تصنع التاريخ ويتخففون كثيرا من الدراسات الفردية .

تحية تقدير :

نرجو للمجلة في طابعها الجديد ان تسير قدما نحو اهدافها التي ارتأتها لنفسها ، ونرجو ان يكون هذا النقد تحية متواضعة الى - دعوة الحق - ولا شك ان هذه المقالات جميعا صورة رائعة للتقدم الثقافي في المغرب العربي والعالم الاسلامي لان اغلبها تحية من الامم الاسلامية لجامعة القرويين في عيدها .

البحث 76 سطرا ، ثم عالج المشكلة في 54 سطرا ، هذا ، ولا اظن اننا ما زلنا نعيش في عصر المقدمات الطويلة ، فالكاتب المعاصر يميل في اسلوبه الى ان يواجه المشكلة مباشرة في السطور الاولى من مقاله ويحدد بذلك اهدافه ووسائله ونتائجه .

والمقال الذي تناول مشكلة الاجتهاد في الاسلام لخص موقفا لكاتبه اثناء الاحتفال بعيد القرويين ، فقد اراد الكاتب ان يدلي برأي فحيل بينه وبين ما يريد ، ثم اطمأن عند ما عالج باحث آخر نفس المشكلة التي كان يريد هذا الكاتب تنبيه الازهان اليها .

وتناول المقال الاخير في هذه المجموعة فصلا من كتاب تاريخ تطوان يدور حول قصة الست الحرة حاكمة

من هو الفقيه في نظر الرسول ؟

روى بن عبد البر عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله ص قال : الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا بلى . قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى سواء ، الا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه ، ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر .

القصّة

للاستاذ ب. ك.

وظروف الزلزال اننا نظل مسجونين في عبارات بطل القصة ومحاورته دون ان نعرف شيئاً عن الجو المحيط بهما والاحداث التي ادت الى الكارثة .

ولا شك ان المحاوره في حد ذاتها وقد سيطرت على تنابع القصة تتضمن عناصر جيدة ، فمنها ندرك وقع المأساة على نفس بطل القصة وتكوين عقليته وشخصيته . فهو انفعالي غضوب سريع التأثر تتردد نفسه بين الشر والخير والعطف والحيرة والقيرة العنيفة والتأثر والتشاؤم والامل .

وهي الصفات العامة للمواطن المغربي والذي جعلته البيئة الخاصة يتطبع بها .

كما ان هناك افكارا ايجابية في الحوار تدعو للتفأول رغم مرارة المأساة التي يعانيها البطان . وتربط كارثة الزبوت بمخلفات الاحتلال من حيث تسببه في قتل ضحايا بعض المواطنين . ولكن بنفس الوقت هناك افكار سلبية ، كالقول بان تغيير الحياة مستحيل مثلا . وكالتصريح بافكار وجودية تقول بأنه يكفي ان يمارس الانسان حريته في نطاقها الفردي المحدود لتصلح احوال الحياة . دون التنبيه الى ضرورة ارساء قواعد الحريات العامة الكبيرة التي بوجودها يتأكد معنى الحريات المحدودة .

فالكاتب اذن لا يصل في قصته الى نهاية ايجابية يجعله لفلسفة الحريات المحدودة حلا للمشاكل والكوارث الاجتماعية ، كما انه ينهي القصة بعنصر تشاؤمي (فالحياتة تسير بلا معنى اننا نعيش فيها ثم نموت واذا انتهينا فليكن ما يكون ...) .

ان المساعدة التي منحتها سائر الشعوب للمغرب بعد الزلزال وتضامن الشعب مع الضحايا . ليوحى بان للحياة معنى بعيد المدى وان وجودنا فيها ليس عبثا .

ان قصة (وردتان في عرش واحد) محاولة جديّة في القصة المغربية طالما انها استقت موضوعها من واقع الحياة الحي .

ان اول ما يثير الانتباه الى قصة الاستاذ محمد الامري والتي سماها (وردتان في عرش واحد) هو العنصر التراجيدي فيها .

فموضوع القصة : شاب في مستشفى الرباط من ضحايا زلزال اكادير كان يأمل ان يتزوج فتاة يحبها وتحبه . في الصيف القادم .

وقبل ان يقع الزلزال يعلم منها بصورة غامضة انها لن تتزوجها وانها الآن مع واحد آخر يلازمها وسيطر عليها . فتثور نائوته ويقرر قتل غريمه . وعندما يتوجه اليها يفاجأ بان هذا الغريم الذي سلب فتاته منه هو الشلل الذي تسببت فيه كارثة الزبوت المسمومة والذي كانت فتاته احدي ضحاياه .

تنتهي القصة بكون الشاب ضحية للزلزال والفتاة ضحية لكارثة الزبوت . وهناك ثورة على الحياة الظالمة وامل في مستقبل باسم مع كثير من التشاؤم .

ان فكرة القصة ، في حد ذاتها انسانية ومن واقع الحياة المغربية . بل انها فكرة رائعة تصلح لقصة من النوع الطويل . فالكاتب كان موفقا في اختيار الموضوع الى ابعد حد . وهو امر يجعلنا نقدر هذا الاختيار في وقت يلاحظ فيه اهتمام الادباء في البلاد باختيار المواضيع الفردية البعيدة عن حقائق وواقع الحياة المغربية .

واذا انتقلنا من مضمون القصة الى طريقة عرضها ، لا بد وان نتساءل : هل عرف الكاتب كيف يشرح هذا المضمون ؟ ان الإجابة على هذا السؤال تبدو مخرجة الى حد ما . فبفض النظر عن العاطفة الصادقة المؤثرة التي تصرخ بها عبارات القصة والتي توحى وكان الكاتب فعلا بطل القصة واحد ضحايا الزلزال . رغم هذا .. فان عرض الفكرة لم يكن عرضا قصصيا كاملا . انه اشبه ما يكون بالمناجاة النفسية الذاتية والحوار الطويل الزاخر بالافكار .

بينما لم نحصل على اية رؤيا واضحة لجو المستشفى الذي يعيش فيه والضحايا الذين حوله

أخبار ثقافية

✽ سيطلع كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » لابن عبد الله الادريسي العالم الجغرافي الشهير . ويستند في طبعه الى خمسة عشر مخطوطة منها واحدة في ليننغراد .

✽ وصل الى المغرب مؤخرا الاستاذ حفيظا توفيك الخبير في منطقة الصحة العالمية بدعوة من وزارتي الصحة العمومية والتثديف الوطني لدرس مشروع تأسيس كلية الطب مع الوزارتين .

✽ خصصت كلية الآداب بالرباط اعتمادات لنشر مؤلفات لكتاب مغاربة . وستقوم خلال هذه السنة الدراسية بنشر كتب للاساتذة السادة : الدكتور محمد عزيز الحبابي ، عبد العزيز بن عبد الله ، غلال الفاسي ، الحسن السائح ، محمد الفاسي .

✽ اهديت خمس نسخ من دائرة المعارف الاميركية لجامعة الرباط ، مع خمس نسخ من الاطلس العالمي . وبهذه المناسبة اقام عميد الجامعة المغربية حفلة .

✽ فاز السيد هنري دوشاني بجائزة هنري مانجان للتصوير الزيتي البالغة قيمتها الف درهم .

✽ وصل الى تونس مؤخرا المهندس زرفوس كبير مهندسي المباني المدنية والقصور القومية في الحكومة الفرنسية موفدا من منظمة اليونسكو لوضع مشروع شامل لبناء الجامعة التونسية الجديدة في عاصمة تونس حيث خصصت الحكومة التونسية مساحة 200 هكتار لبناء هذه الجامعة . وقد تقرر ايفاد هذا الخبير على اثر عودته من بعثة استطلاعية كلفته بها منظمة اليونسكو في تونس ، حيث التقى بالسيد رئيس الجمهورية التونسية وبوزيري التربية والاشغال في تونس للمداولة في هذا الشأن .

✽ اوفدت اليونسكو الى المغرب الدكتور البهي السيد الاستاذ المساعد بجامعة عين شمس بالقاهرة واحدمؤلفي كتب علم النفس التربوي . وتستغرق مهمته عاما واحدا يقدم خلاله مساعداته الفنية للهيئات التربوية المغربية في مجال انتاج كتب المطالعة لمن تعلموا القراءة حديثا . ويتولى الاستاذ المذكور مساعدة مدرسي المغرب في وضع نصوص عربية سهلة تستخدمها الحكومة في حملتها لمكافحة الامية ، على ان يراعى في هذه النصوص نفعها في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والمدنية والزراعية والصحية والمهنية . وللاستاذ البهي السيد خبرة في ميدان التربية ، فقد عمل خبيرا محاضرا في مركز التربية الاساسية للعالم العربي في سرس الليان وساهم هناك في وضع سلسلة من المطالعات لمن تعلموا القراءة حديثا . هذا وقد اصدر سلسلة من اربعة مؤلفات تحت عنوان « مشاكل سيكولوجية » .

✽ يستعد المشرفون على منشورات « الروائع » ببيروت لاصدار اجزاء منها على ادباء المغرب والاندلس وسيكون من بينهم ابن زيدون ، وابن رشيق القيرواني ، وابن هاني ، وابن حزم ، وابن قزمان ، وسواهم .

✽ في مطلع السنة القادمة سيعقد في المغرب مهرجان مسرحي لدول البحر الابيض المتوسط وافريقيا .

✽ بمناسبة مرور 25 سنة على تأسيس « المعهد الحر » بتطوان ، اقيم احتفال كبير بهذه المدينة دام يومين 5 و 6 من هذا الشهر ، وذلك تحت اشراف الاستاذ عبد الخالق الطريس الذي يعتبر احد مؤسسيه اما المؤسسون الآخرون فهم الاساتذة : محمد الطنجي ، الشيخ المكي الناصري ، الطيب بنونة ، محمد مصطفى افيلال ، المرحوم محمد ابن الابار .

✽ اجتمع اخيرا في كوتونو فريق من الخبراء جمعتهم اليونسكو لبحث مشكلة تعليم المرأة في افريقيا الاستوائية . وفي هذا الاجتماع اشتركت مفتشات وناظرات التعليم من البلاد التالية : الكمرون ، والكونغو ، وداهومي ، واثيوبيا ، وجامبي ، وغانة ، والفولتا ، ومالي ، ونيجيريا ، وأوغاندا ، وسيراليون ، والصومال ، والسودان وتنزانيا ، وتوجو . وقد اتخذ الاعضاء عدة قرارات ستناقش في حلقة دراسية حول « اشتراك المرأة في الحياة العامة » تنظمها الأمم المتحدة في اديس ابابا في شهر ديسمبر المقبل . وقد اوصى الخبراء بصفة خاصة بان تعمل حكومات افريقيا الاستوائية على تشجيع الحاق الفتيات بالمدارس الابتدائية والثانوية والفنية ، ومساواتهن بالبنين في حق التعليم . كما اوصى الخبراء باتخاذ قرارات عاجلة تكفل توفير المدرسات اللازمة ، ولذلك اوصوا ايضا بمنح بعثات دراسية لاعضاء التدريس وتنظيم حلقات للتدريب وحلقات صيفية ، مع التوسع في تكوين مدرسات متخصصات في التعليم الفني والمهني ، وفي تعليم الفنون والتدبير المنزلي ، فضلا عن انشاء معاهد لتدريب مدرسات رياض الاطفال . ولتشجيع اقبال الفتيات على التدريس اوصى الخبراء في اجتماع اليونسكو بضرورة المساواة في مرتبات المدرسين رجالا ونساء . ومن التوصيات ايضا تنظيم حلقات تعليمية شعبية يحضرها الآباء والأمهات بوجه خاص ، ليدركوا منها قيمة تعليم الفتاة واثار ذلك في تطور الجماعة . واقترحت اللجنة بناء مدارس داخلية وبيوت لطالبات المناطق النائية .

✽ قررت حكومة السنغال اعارة اللغة العربية اهتماما خاصا . وجرى ادخالها في جميع مناهج الدراسة الثانوية في هذا العام . كما تقرر انشاء معهد للدراسات الاسلامية العليا على مستوى جامعي .

✽ صدر اخيرا في السودان ديوان « غدا نلتقي » للشاعر السوداني سيد احمد الحر دلو .

✽ تقوم الجامعة الفرنسية ببناء متحف الثقافة العربية في مقرها الجديد بمدينة التحرير بالقاهرة على اسس فنية حديثة . وسيضم المتحف الوثائق المتعلقة بشؤون الثقافة ونظم التربية والتعليم في مختلف الاقطار العربية .

✽ غادر الدكتور صلاح الدين المنجد القاهرة قاعدا الولايات المتحدة لالقاء عدة محاضرات في جامعتها لمدة سنة .

✽ اتمت وزارة الثقافة بالقاهرة تعريب المصطلحات القرية ونشرته في كتاب وسيكون من اهم المراجع التي سيعتمد عليها في هذا التعريف المؤلفات العديدة التي تركها العالم الموسيقى النابغة الفقيه اسكندر شلقون صاحب مجلة « روضة البابل » الموسيقية ومدير المعهد الموسيقي المصري الذي ترجم الى العربية « دائرة المعارف الموسيقية وقاموس المعهد » الصادر عن المعهد الموسيقي الفرنسي بإدارة البير لافيينياك .

✽ يصدر الدكتور محمد شكري عباد قريبا كتابا جديدا عن تطور القصة العربية القصيرة .

✽ ثلاث راهبات من دير سانت درسن القرآن والتفسير والنحو والفقه بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

✽ من المنتظر ان يبحث المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة اقامة حفلة تذكارية للعالم الموسيقي الاديبي الشاعر اسكندر شلقون الذي اول من وضع دعائم وركائز الموسيقى الشرقية في العالم العربي على اسس علمية واعادة طبع مؤلفاته وكتبه العديدة وجمع مخطوطاته التي تركها .

✽ باع احسان عبد القدوس روايته « لا تطفئ الشمس » بأربعة آلاف جنيه .

✽ وافق المجلس الاعلى للفنون على تشكيل لجنة لوضع المعجم الاثري للعمارة والفنون في الدول العربية في سنة واحدة .

✽ كتاب « المعذبون في الارض » للدكتور طه حسين منتقل فضوله الى السينما .

✽ ستوجه الدعوة الى المجامع العلمية في الخارج لحضور احتفال المجمع العلمي بالقاهرة بعيده المائوي في 16 ديسمبر المقبل .

✽ سافر الدكتور علي الراعي وخالج عبدون واحمد سعد الدين موفدين من وزارة الثقافة بالقاهرة الى يوغسلافيا واطاليا في زيارة استطلاعية للثقافة .

والدكتور الراعي يترجم الآن احدى كوميديات تولستوي وينشرها بالعربية تحت عنوان « المستنبون » .

✽ بعد الآن الدكتور زكريا ابراهيم مدرس الفلسفة الحديثة في كلية الآداب بجامعة القاهرة الكتاب الخامس من سلسلة « مشكلات فلسفية » وعنوانه « مشكلة الحب » . واما الكتب الاربعة الاولى فهي « مشكلة الحرية » و « مشكلة الانسان » و « مشكلة الفن » و « مشكلة الفلسفة » .

✽ « اللغة الشاعرة » آخر كتاب صدر للاستاذ عباس محمود العقاد ، ويعالج فيه المزايا الفنية والتعبيرية للغة العربية .

✽ « حركة التجديد في الشعر العربي » آخر كتاب الفه الناقد الدكتور عبد القادر القط يتحدث فيه عن الحركة التجديدية الاولى في الشعر التي قام بها ابي نواس ثم ابو تمام كما يتحدث عن حركة الشعر الحديث

✽ سيقام في القاهرة في يناير المقبل مؤتمر نسائي اسلامي عربي .

✽ سافر الشاعر عادل الفضبان الى المكسيك لزيارتها بدعوة من رئيس مجلس الشيوخ وقد حمل معه ثلاث نسخ من كتاب « النسي » لجبران خليل جبران الذي ترجمه الى اللغة الانجليزية وقدم له الدكتور ثروت عكاشة . وهذه النسخ مهداة من الوزير عكاشة الى رئيس جمهورية المكسيك ورئيس مجلس شيوخها ووزير معارفها . وتستغرق مدة رحلة الفضبان شهرين .

✽ سافر ستة من اساتذة الحقوق بالقاهرة للتدريس باول كلية للحقوق في جامعة ليبيا ، وبذلك تكون جامعة ليبيا قد اكتملت فيما عدا كلية الطب .

✽ تترجم الدكتورة عقيلة متولي قصة يوسف السباعي « اني راحلة » الى اللغة الانجليزية .

✽ اصبحت « شجرة المعرفة » الشعار الرسمي لوزارة الثقافة بالقاهرة . الشعار يمثل شجرة ثمارها « الادب ، والشعر ، والمسرح ، والسينما والباليه ، والموسيقى ، والاثار » .

✽ قام الاستاذ غالي شكري مؤخرا بترجمة هامة للدراسة التي كتبها الاديب الانجليزي دزموند اسوارث لرواية الاديب المصري عبد الرحمن الشرقاوي وعنوانها « الارض » .

✽ ترجم الدكتور طه حسين مسرحية سوفوكليس « انتيفونا » الى اللغة العربية .

✽ يجري في القاهرة الآن تنفيذ مشروع يهدف الى ترجمة عدد من المؤلفات اليونانية الى اللغة العربية .

✽ جاء في صحف القاهرة في 26 يوليو من السنة المقبلة سيعقد مؤتمر عام لعلماء العالم العربي بمناسبة حفلات ذكرى الثورة المصرية . وقد وجهت وزارة الاوقاف في حكومة الجمهورية العربية المتحدة دعوة الى الآف من العلماء ليقوموا بتمثيل بلدانهم في هذا المؤتمر .

✽ صدرت في القاهرة الكتب الآتية : « الشاعر ابو تمام » لمحمد عطا في سلسلة كتب ثقافية . « الناس معادن » للدكتور ابراهيم عبده « المنظمات الدولية » للدكتور محمد حافظ غانم استاذ القانون الدولي العام « الاتحاد الفرنسي . الجماعة الفرنسية . فرنسا فيما وراء البحار » للدكتور محمد محمد حسين رئيس النيابة العامة « رسالة الى امرأة » ليويسف الشاروني « يوميات آدم وحواء » تاليف مارك توين ترجمة فرج جبران تصدير محمود تيمور « الالعاب الاولمبية » لمصطفى الشهابي في سلسلة اقرا لمدار المعارف « الشخصية الافريقية » لرئيس جمهورية غينيا ترجمة كامل صمويل مسيحة « ضريبتنا كسب العمل والاضافية للدفاع » للسيد مصطفى حرم المفتش الاول لديوان المحاسبة « الاخيار الطوال » لابي حنيفة « الدينوري » تحقيق عبد المنعم عامر وراجعه الدكتور جمال الدين الشبال « ليالي القرية » مجموعة شعرية لعلي عبد الفتاح عيسى بتقديم الشاعر عبده بدوي « العلم القديم والمدنية الحديثة » تاليف جورج سارتون وترجمة الدكتور عبد الحميد صبرة « ميلاد افريقيا » لمحمود الشرقاوي « الجيوبوليتكا » تاليف فيفلد وبرسي وترجمة يوسف مجلى ولويس اسكندر « حرية الفكر في الاسلام » للشيخ عبد المتعال الصعيدي « بورصات الاوراق المالية والقلطن » لابراهيم محمد ابو العلا استاذ البورصات بالدراسات التكميلية سابقا « انطلاق العمالة » تاليف م. باتيكار سفير الهند الاسبق بالقاهرة وترجمة العميد محمد عبد الفتاح ابراهيم « جماعة ابو لو واثرها في

الشعر الحديث « لعبد العزيز الدسوقي « الست عليه »
مجموعة قصص لعباس خضر « عالم اليوم » سلسلة
جديدة يصدرها عبد المنعم حسن صدر منها الكتاب
الاول « الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي
وجنوب الجزيرة » للدكتور سيدنوف « رياح المغيب »
مجموعة شعرية لمحمود حسن اسماعيل .

✽ يعد الموسيقار محمد عبد الوهاب اطروحة لنيل
الدكتوراه في الفن في موضوع « أثر الاغنية العربية في
تقارب الشعوب العربية » وقد جمع عبد الوهاب كل
المصادر التي سترتكز عليها اطروحته .

✽ ستصبح القاهرة اول مركز للدراسات الاسلامية
في العالم بعد انشاء نظام للوثائق الاسلامية تحت رئاسة
وزير الاوقاف . وصادقت على مشروع انشاء مركز
للوثائق الاسلامية ، وستجمع فيه جميع المطبوعات
والمخطوطات الاسلامية المبعثرة الآن في العالم . وذكرت
جريدة الاهرام ان العمل يجري الان لتكوين مكتبة
اسلامية ستكون اكبر مكتبة من نوعها في العالم .
وستجعل رهن اشارة جميع المستشرقين والمستعربين .

✽ نشر معهد الدراسات العربية التابع للجامعة
العربية كتابا عن الامير شكيب أرسلان .

✽ تم في الايام الاخيرة التوقيع على الاتفاقية
الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة ويوغسلافيا .

✽ الدكتور ابراهيم يومي مذكور يرأس اللجنة
التي تقوم بتحقيق كتاب « الشفاء » للفيلسوف العربي
ابن سينا .

✽ حاجم الاديب المهجري نظير زيتون في مقال مطول
نشر بجريدة الايام بدمشق قصيدة للشاعر نزار قباني
عنوانها « ايظن » من حيث قيمتها الادبية والفنية .

✽ نعت دمشق القاضي الكبير بهجة مردم الاستاذ
في معهد الحقوق سابقا .

✽ سافر الدكتور هاشم رئيس جامعة دمشق الى
لندن ، ومنها الى المكسيك للاشتراك في مؤتمر جامعات
العالم .

✽ تعد الادبية وداد سكاكيني كتابا عنوانه
« القومية العربية بين الشعبوية والوصولية » كما
تشتغل ايضا في كتاب آخر عن « شهيرات الشرق »

✽ في مطلع السنة المقبلة سيصدر كتاب « ابو
القاسم الشابي شاعر الحب والحياة » من تأليف الدكتور
عمر فروخ الذي اصدر عليه من قبل كتابا دراسيا .

✽ صدرت في بيروت مجموعة شعرية لتامر نصر
عنوانها « عرائس الشعر » .

✽ ستخصص الحكومة اللبنانية 125منحة دراسية
للطلاب المغتربين منها 50 منحة لافريقيا الغربية يقدم
بعضها لابناء المغتربين والبعض الآخر لطلاب افريقيا .

✽ يصدر قريبا عن دار المعارف بلبنان مجموعة
قصص للكاتب السوري مظفر سلطان عنوانها « ضمير
الدُّب » .

✽ ستصدر منشورات مجلة « شعر » ديوانا جديدا
للشاعر اللبناني الرمزي المعروف اودونيس بعنوان
« اغاني ميار الدمشقي » . وقد سبق لهذا الشاعر ان
اصدر ديوانا آخر بعنوان « قصائد » .

✽ انتهى انطون الياس صابات من كتابة اوبريت
« من القمر الى جهنم » .

✽ ظهر ديوان عوفيق الصائغ بعنوان « القصيدة »

✽ مثل للطبع الاستاذ جورج هارون رسالة جامعة
عنوانها « التيارات الفلسفية عند الكتاب اللبنانيين في
القرن التاسع عشر » تتناول بالدراسة آثار شيلي الملائم
واحمد فارس الشدياق واديب اسحاق ، وفرج انطون ،
ونقولا الحداد وسواهم .

✽ اصدر الشاعر اللبناني جوزيف نجيم ديوان
« الجسد » .

✽ تعد دار ربحاني - بيروت بالاشتراك مع عائدة
لبكي لطبع كتاب عن الآثار الادبية التي خلفتها الادبية
اللبنانية سلمى صائغ ، وعائدة لبكي هي ابنة
المرحومة ، وزوجة الشاعر المرحوم صلاح لبكي .

✽ شرع الاستاذ زكي جميل بوضع دراسة عن الخدمات الاجتماعية في الاسلام .

✽ احتفل في العراق بذكرى الشيخ محمد باقر الشببي .

✽ صدرت اول مجلة فنية في الاردن باسم « الفن والسينما » صاحبها محمد سعيد اشكتنا .

✽ من اخبار الكويت ان الدكتور صباح محي الدين مؤلف قصة « خمر الشباب » بهى الآن دراسة طويلة عن الشاعر الاسباني لوركا مع ترجمة من نماذج شعره نقلها راسا من الاسبانية .

✽ ترجمت مجموعة قصائد الشيخ احمد عبد الجبار وكيل وزارة الخارجية السعودية الى اللغة الايطالية باشراف معهد الدراسات الشرقية العالية بروما . ويقوم الآن الكونت ماريو باولوشي بنظمها شعرا باللغة الايطالية لاصدارها في كتاب مع دراسة وافية عن الشاعر .

✽ « شعراء نجد المعاصرون » كتاب يقع في 400 صفحة من الحجم الكبير للشيخ عبد الله بن ادريس مدير التعليم الفني بوزارة المعارف السعودية سيطلع قريبا في دار المعارف بالكويت .

✽ قطعت السلطات التركية 138 استاذومعيدا عن الجامعات التركية الخمس . وقد احدث هذا القرار قلقا وانزعاجا في اواسط المثقفين الاتراك وادى الى استقالة رئيس جامعة استمبول ، ومدير المدرسة الفنية .

✽ تلقى الاستاذ عباس محمود العقاد هدية من سيدة كويتية تتضمن مصحفا مطعما بالعاج داخل كيس حريري .

✽ وقع العثور اخيرا في مدينة بهامبور القريبة من كراتشي على اثار مسجد . وتدل الخطوط الكوفية التي ظهرت انه انشئ سنة 1090 هجرية وطول هذا المسجد 128 قدما وعرضه 122 قدما . وعثر على ثمانية خطوط كوفية في منطقة المسجد .

✽ كانت شقيقة جبران خليل جبران اقامت الدعوى في نيويورك على ربيع مؤلفات شقيقها الخالد . وكانت النتيجة اعطاء لجنة جبران 47 الف دولار مع ربيع مؤلفات جبران تنفق على الاعمال الخيرية .

✽ تستعد مجلة « الحكمة » البيروتية لاصدار عدد خاص ممتاز عن القصة العربية .

✽ صدر في بغداد كتاب « سبط بن اليعاقبة » ليويس يعقوب السكوني .

✽ يغادر بغداد الى لندن الدكتور داود سلوم لمراجعة بعض المخطوطات التي يقوم بدرستها وتحقيقها .

✽ غادر بغداد الى اوربا الدكتور يوسف عز الدين للاطلاع على بعض المخطوطات . وسيمر في طريق عودته ببيروت للاشراف على طبع كتاب جديد وضعه عن الشعر في العراق .

✽ « التضامن » مجلة ادبية ثقافية يصدرها نادي التضامن العراقي ببغداد .

✽ اكتشفت بعثة اميركية من جامعة كولومبيا اخيرا في جنوب العراق ثلاثة هياكل بشرية لا يكاد يطرا عليها تغيير ، واعلنت المؤسسة الوطنية للعلوم في واشنطن بان احد هذه الهياكل يظهر بانه يرجع الى 45.000 سنة خلت بينما يرجع عهد الاثنين الاخرين الى 60.000 سنة .

✽ انتهى الاستاذ جليل ابراهيم العظيمة مؤخرا من تأليف كتاب عن « المقام العراقي » وسيصدر قريبا وقد اثبت فيه ان المقام العراقي هو اول الفناء العربي ، وأوضح تاريخه من عهد اسحاق الموصللي حتى العصر الحاضر ، وذكر اسماء البارزين في غناء المقام .

✽ انتهى الاستاذ كوركيس عواد من وضع عدد من فصول كتابه الجديد « تواريخ البلدان العراقية » ويتناول فيه المدن العراقية المهمة منذ اقدم العصور ولا سيما العصر الاسلامي .

✽ استأنف المجمع العراقي بحث المصطلحات التربوية .

✽ بدأ العالم يهتم بآثار فيلسوف الهند طاغور .
فقد اقامت الحكومة الهندية متحفا لدراسة حياته
واثاره لتعرض فيه مختلف لوحاته التي رسمها كما
اقامت مسرحا للمحاضرات ملحقا بالمتحف لعرض
اعمال طاغور . اما في روسيا فقد اذاعت وكالة طاس
ان العلماء الروس والتشيك والهنود يعملون معا في
موسكو على اصدار مؤلف ضخيم عن حياة هذا
الفيلسوف . وينشر المؤلف قريبا باللغتين الروسية
والانجليزية ، كما يجري العمل الآن على اعداد
وثائق جديدة تتضمن رحلات طاغور وخطبه .

✽ يكتب المشرق الايراني حسين ايراني كتابا
لتدريس اللغة الايرانية في ايران ، واختار بعض انتاج
الادباء الكبار لتطبيق تلك الدراسة .

✽ تبدي الصحافة اليونانية اهتماما خاصا بالقضية
التي اثارها الاستاذ مالمو من اكسفورد حول التاريخ
الحقيقي للحضارة القديمة في جزيرة كريت .

✽ اصدرت ادارة البريد في الاتحاد السوفياتي
مجموعة جديدة من طوابع البريد خطط رسومها طلاب
المداس . وقد اخذت التخطيطات شارات مختلفة منها
« في حديقة الحيوان » « الصداقة بين الاطفال من
مختلف اجناس العالم » . وقد تم اختيار الرسوم
في مسابقة نظمتها في العام السابق وزارة المواصلات
بالاشتراك مع صحيفة « بيونيوسكايا برافدا » .

✽ صدرت مجموعة اعمال الكتاب الشرفيين
وعدها 104 مؤلف ، وتحتوي المجموعة على اشعار
شرقية فارسية . وقد نشرت في جورجيا ادوع
مؤلفات روداكي ، وعمر الخيام ، والسعدي .

✽ توفي في موسكو عن 74 عاما العالم الزراعي
ايفان ياكشين العضو الفخري في اكااديمية العلوم
الزراعية للاتحاد السوفياتي .

✽ حاز على جائزة لينين ميرز طورسون زاده
شاعر طاجكستان .

✽ بمناسبة مرور 25 سنة على وفاة القاص
الروسي مكسيم كوركي سيصدر الاتحاد السوفياتي
اول دائرة معارف عالمية يكتبها كبار الفنانين
والسياسيين والادباء في العالم .

✽ انشئت اخيرا في هامبورج جمعية المانية
للموسيقى الشرقية لدعم تبادل القيم الموسيقية الفنية
بين شعوب الشرق والغرب . ويتضمن برنامج هذه
الجمعية تنظيم حفلات يديرها موسيقيون شرقيون في
المانيا وحفلات يديرها موسيقيون المان في بلاد الشرق .
وتستغرق هذه الحفلات مقطوعات من الموسيقى
الكلاسيكية والموسيقى الشعبية . ومن ناحية اخرى
تقوم « جمعية الموسيقى الاسيوية » باثناء مقر
لها في نيويورك برعاية « جمعية آسيا » وسيكون
الهدف من نشاطها تعريف شعوب الولايات المتحدة
بموسيقى الشعوب الاسيوية .

✽ اصدر معهد العلاقات الاجنبية في ستوتوتجارت
كتابا بعنوان « اناشيد العالم القومية » الذي يجمع
الانشيد القومية في جميع بلاد العالم والنص الموسيقي
لكل نشيد مع لفته الاصلية والترجمة الالمانية له .

✽ انعقد في بون مؤتمر دولي للعلماء النفسانيين
اشترك فيه نحو 1800 عالم من 45 دولة والقيمت فيه 400
محاضرة ترجمها ونقلها لاسلكيا 24 ترجمانا الى الالمانية
والانجليزية والفرنسية والروسية . وارتكزت ابحاث
العلماء الى التسليم بالظواهرات النفسانية وقرائنها
لدى الانسان والحيوان .

✽ عقدت الصحيفة الالمانية « ي فيلت » عدة
فصول تناولت فيها حياة الدكتور طه حسين .

✽ نظمت جامعة جنيف مؤخرا حلقة دراسية
عن المؤسسات الدولية . وتتضمن هذه الحلقة لقاء
محاضرات وتنظيم زيارات الى المنظمات الدولية التي
اتخذت جنيف مقرا لها كهيئة العمل الدولية ومنظمة
الصحة الدولية . وقد تقرر لقاء المحاضرات باللغات
الانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والاطالنية
وذلك بطريق الترجمة المباشرة .

✽ طلبت السويد من الدكتور القوسي ان يلقي
عددا من المحاضرات في علم النفس في استكهولم ،
وهو يمثل الجمهورية العربية المتحدة في المركز
الرئيسي لليونسكو في باريس ، وحل محل توفيق
الحكيم الذي شغل هذا المنصب لمدة عام قبله .

✽ اصدرت السويد مجموعة طوابع تذكارية
بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الشاعر جوستاف
خرونج .

✽ أرسلت محطة الإذاعة السويدية مائة جنيه الى توفيق الحكيم مقابل اذاعتها احدى مسرحياته .

✽ عقد بعض الطلاب الفرنسيون والاجانب حلقة لدراسة آثار « جان راسين » . وقد عقدت في قرية « اوزيس » ، وطن الشاعر ، قرب « نيم » في الجنوب الشرقي من فرنسا . واشتركت فيها اكاديمية راسين .

✽ في مدينة « بلاك » تبرع ابن الكاتب جان جيرواردو بالبيت الذي ولد فيه والده لبلدية المدينة التي قررت ان تجعل منه متحفا ومكتبة ، كما انها قررت منح جائزة سنوية لاحسن دراسة يكتبها طالب عن هذا الاديب .

✽ عقدت اليونسكو في مونتريال - كندا - مؤتمرا خاصا يبحث موضوع تربية الراشد ، اشترك فيه ما يقرب من مائتي مندوب عن الدول اعضاء اليونسكو وعن المنظمات التربوية العالمية الخاصة . وقد السح المؤتمرون على المسالة التالية ، وهي ان التربية لا تنتهي بانتهاء المدرسة ، بل يجب ان تمتد طيلة الحياة . ومما قاله امين سر المؤتمر ما يلي : « ان انسانا انهي دراسته منذ خمس عشرة سنة وانقطع تماما عن متابعتها ، ثم عاد الى علم ما ، ان مثل هذا الانسان ليجد ان ما تعلمه قد اصبح فاقد لكل قيمة »

✽ سيقام في البيت الذي يعتقد ان فيه ولد « دانتي » متحف يضم جميع اثار الشاعر الايطالي .

✽ عقدت الهيئة الدولية لشؤون الصحافة والانباء مؤتمرها لهذا العام في استكهولم ، وكان مخصصا لتاريخ الصحافة . واشترك فيه مندوبون عن الشرق والغرب .

✽ تعاقد احد المخرجين الاميركيين مع فرانسوا ساكان على اخراج روايتها « قصر في السويد » على مسرح من مسارح « برودواي » خلال موسم الشتاء .

✽ اصدرت اليونسكو الجزء الحادي عشر من سلسلة « معرفة الفن العالمي » ويحتوي هذا الجزء على 32 لوحة بابائية وضعت بين القرن السادس والقرن الثاني عشر ، قدمها الاستاذ « سرج اليزيف »

✽ نظمت الجمعية الدولية لعلم الاجتماع برعاية منظمة اليونسكو حلقة دراسية في دار اليونسكو تناولت خلالها موضوع « بطل الفيلم وفكرة النجاح في الحياة كعاملين للاكتشاف عن القيم الاجتماعية » وقد اشترك في الحلقة مجموعة من علماء الاجتماع في اوربا والهند برئاسة جورج فريدمان وادجار مورين . وقد وضع هؤلاء استفتاء يمكن تطبيقه في كل بلد لمعرفة المعنى الاجتماعي لرسالة الفيلم السينمائي .

✽ عند عشرة اعوام اقر مؤتمر اليونسكو العام في اجتماعه بفلورانس اتفاقية خاصة باستيراد ادوات الثقافة والتربية والتعليم . واليوم في 32 دولة تطبق هذه الاتفاقية التي تكفل حرية استيراد الكتب والصحف والمجلات والاعمال الفنية والكثير من الادوات ذات الطابع التربوي او العلمي او الثقافي . كما تعفى الاتفاقية من ضرائب الجمارك الصحف السينمائية والافلام الثقافية والتسجيلات الموسيقية والادوات المخصصة للمكفوفين وغيرها من اجهزة تستوردها هيئات علمية معترف بها . وقد اعلن نائب مدير اليونسكو بمناسبة هذا الاحتفال بمرور عشرة اعوام على اقرار هذه الاتفاقية ان هناك اليوم حوالي مليار فرد في جميع انحاء العالم يتمتعون بمزايا هذه الاتفاقية الدولية . كما قال ان الرسوم الجمركية التي تقدر بملايين الدولار انما تضحي بها الدول في سبيل ارادتها في تنمية روح التضامن العقلي بين الشعوب عن طريق وسائل التربية والعلم والثقافة .

✽ « امرأة ، وبطل ، وشهير » هذا عنوان كتاب اصدرته دار النشر الجامعية بفرنسا ضمن مجموعة اليونسكو عن التراث العالمي . والكتاب يضم قصيدة شعبية تتناول احداثا جرت في مطلع القرن السادس عشر وتناقلتها الاجيال حتى جمعها الملك راما الثاني في اوائل القرن التاسع عشر ، ووضعها الشاعر سنون في سيفتها الشعرية الحالية . وتعتبر هذه القصيدة من اشهر القصص الشعبية في سيام . وقد قامت بترجمتها الى اللغة الفرنسية السيدة سيبونروانج الاستاذة بجامعة شولانجكورن في بانكوك ، والعضو في سيكريتيرية منظمة اليونسكو .

✽ خلال هذا الشهر نظم المركز الدولي للتعليم العالي للصحافة في ستراسبورج حلقة الدراسة السنوية الرابعة التي دعا اليها اساتذة الصحافة من جميع البلدان . وقد قدمت اليونسكو

سنة عشر منحة دراسية لاساتذة الصحافة في الجمهورية العربية المتحدة والسودان ، وتونس ، والعراق ، والمغرب ، والبنان ، والنمسا ، وبلغاريا ، واسبانيا ، والحبشة ، وغانا ، وليبيريا ، وافغانستان ، وسيلان ، والهند .

✽ اصدرت اليونيسكو كتابا بعنوان « دراسات وثائق تربوية » تتضمن المراجع التربوية الصادرة عن الامم المتحدة والمنظمات الدولية المتخصصة .

✽ كتب ميشال باردو والمستشرق المعروف في المجلة الفصلية التي تصدر في فرنسا بعنوان « المشرق » ان القضية الحديثة في الادب العربي بلبنان يضطلع بها هؤلاء الكتاب : « سجيل ادريس ، جميل جبر ، حليم بركات ، جورج شامي » .

✽ صدر بباريس كتاب لقوران رايس بعنوان « الخط الاخير » وهو مجموعة مذكرات مريض تسم بطابع المראה

✽ تصدر الكاتبة سيمون دي بوفوار خلال فصل الربيع المقبل كتاب « شهيرات النساء في العالم » .

✽ نعت باريس شاعرها شارل دوديه ، وهو حفيد الكاتب القصصي الفونس دوديه .

✽ فاز بجائزة نوبيل للاداب لهذا العام الشاعر الفرنسي سيثت جون بيرس .

✽ تعد مدينة برشيلونة - اسبانيا - متحفا خاصا تعرض فيه اثار الرسام الاسباني العبقرى بابلو بيكاسو .

✽ اجتمع اخيرا في جزيرة بالمادي مايوركا - اسبانيا - فريق من كبار الناشرين في ست دول وقرروا انشاء جائزتين ادبيتين هامتين . وستمنح الجائزتان - وقيمتها عشرة آلاف دولار - للمرة الاولى في اول ماي من السنة المقبلة . وقد اطلق على الجائزة الاولى اسم جائزة فورمنتور ، وتمنح لاحسن قصة لم تنشر من قبل يقدمها احد الناشرين من بعض الدول التي شاركت في هذا الاجتماع . وسيختار الفائز بجائزة فورمنتور كل عام في الاسبوع الاخير من ابريل

ويمنح مقدما عشرة آلاف دولار من حساب حقوق التأليف . وتنشر قصته في العام التالي في الدول الست التي ينتمي اليها الناشر . واما الجائزة الثانية ويطلق عليها اسم « جائزة الناشرين الدولية » فستمنح لاحسن قصة نشرت من قبل او لم تنشر ، دون تمييز في الجنسية او اللغة ، ويمكن ان تقدم القصص من اي ناشر في اي بلد من بلدان العالم . وسيعهد بالتحكيم الى هيئة دولية .

✽ اشتركت الجمهورية العربية المتحدة في مهرجان اغنية البحر الابيض الذي عقد في برشلونة في 25 من الشهر الماضي .

✽ رواية « الاجنحة المكسرة » للمفكر اللبناني جبران خليل جبران قد ترجمت الى اللغة الاسبانية ، وصدرت في اسبانيا .

✽ اصدرت مجلة « كراكولا » التي تصدر بمالقة - اسبانيا - ، عددا خاصا ممتازا في 140 صفحة بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الشاعر الاسباني المألقي منويل الطولاكيري .

✽ « المراعي الخضر » مسرحية وضعها مارك كوني سنة 1930 ، وفازت بجائزة تولوز . وسيجري تمثيلها هذه السنة في المهرجان المسرحي بالبندقية .

✽ تمكن مرشد جامعة كمبودج من اكتشاف سديمية تبعد مسافة 5 الاف مليون سنة ضوئية عن الارض . ولقد اطلق عليها اسم (3 س 295) وهي ابعد سديمية استطاع الفلكيون اكتشافها في هذا الكون . وتعرض في المعرض الذي يقام بلندن الآن بمناسبة الاحتفال بمرور 300 سنة على تأسيس جامعة العلوم البريطانية .

✽ تم في لندن صنع مسرح كامل من البلاستيك او مادة المعجنات القابلة للتفخ . وذلك لكي يكون بالامكان اعداد مسرح جاهز في مدة قصيرة من الزمن وهو يتسع لخمسمائة نسمة من النظارة . وتتوفر فيه غرف الالبسة والتجميل واعداد الممثلين وتحضيرهم بشكل مريح وسريع .

✽ سيتوجه فريق بريطاني من عدة اعضاء من الخبراء الى افريقيا للقيام بدراسة واسعة النطاق

لمشكلة الصمم في عدة بلدان افريقية . وسيصرف هؤلاء الاخصائيون ستة أشهر يدرسون خلالها هذه المعضلة الاجتماعية في 8 مناطق .

✽ « على ابواب الموت » قصة جديدة لعارف نامر صدرت اخيرا مترجمة الى الانجليزية في لندن .

✽ اشترك كاتبان هما روبرت كرافت وايفور سترافني بوضع كتاب جديد بعنوان « ذكريات وتعليقات » .

✽ ظهر في بريطانيا كتاب عن حياة ونستون تشرشل السياسي الشيخ .

✽ اصدرت مصلحة البريد الاميركية طابعين تذكاريين تكريما للممثل الفنلندي جوستاف مثير هيم من سلسلة اعلام الحرية . ويحمل الطابع صورة الممثل المذكور وتاريخ ميلاده ووفاته .

✽ حقق العلماء الامريكيون حدنا علميا عظيما عندما حصلوا على صورة فوتغرافية تبين تكوين البقع الشمسية وهي تلك الزوايا من الغازات الساخنة التي تهب على صفحة الشمس ، وتعرقل الاتصالات اللاسلكية على الارض ، وتظهر الصورة التي التقطت بواسطة « كاميرا » خاصة بعيدة المدى عن ارتفاع 15 ميلا داخل منطاد لم يكن في داخله بشر .

✽ افتتح في غاري بولاية انديانا مركز اسلامي ومسجد في الولايات المتحدة . افتتحه سام حمود رئيس الجمهورية العربية الاميركية . واطلق على المسجد اسم « مسجد المؤمنين » وبني باموال جمعت نتيجة حملة تبرعات ساهم فيها المسلمون والمسيحيون في المدينة .

✽ تباع في اميركا اسطوانات شعرية تنقل الى المستمع مختارات شعرية للشاعر عمر الخيام .

✽ عقد في منتصف اكتوبر الماضي بنيويورك المؤتمر الثالث للتاريخ الاميركي ، بحث موضوع « استقلال العالم الجديد » ومن بين الدول التي شاركت فيه : اسبانيا ، فرنسا ، الارغواي ، براكواي ، شيلي .

✽ ستحتفل مدينة بتمبرغ في اميركا ، وهي مدينة الفولاذ باليوبيل المائوي الثاني لتأسيسها . وبهذه المناسبة وضع الموسيقار الكبير بول هندميت اوبرا غنائية .

✽ احييت جامعة يابل بمناسبة مرور 150 سنة على مولد ادغار الن بو حفلة تذكارية عرضت فيها مخطوطات لاشهر قصائده المسماة « الغراب » . وقد ظهرت في المعرض صورة غراب محتظ كان من قبل في حيازة تشارلز دكنز ، وهو الذي اوحى لبو قصيدته الخالدة .

✽ اعلنت صحيفة (الانسيون) التي تصدر في بوينوس ايريس عن جائزة قدرها 70.000 بيزوس ما يعادل 1.200 دولار لمن يتقدم باحسن مجموعة قصص صغيرة مكتوبة باللغة الاسبانية لاي مؤلف من اي بلد في العالم . ويشترط الا تكون القصص قد نشرت من قبل ، والا تزيد كل قصة عن 5.000 كلمة ، وان تشمل المجموعة من خمس الى عشر قصص . وقد حددت الصحيفة 31 يوليو من سنة 1961 كآخر موعد للاشتراك في المسابقة . وستعلن النتيجة في 15 اكتوبر من نفس السنة .

✽ منحت جائزة نوبل للكيميا هذا العام الى الاستاذ ويلار ليبسي من جامعة كاليفورنيا بلسوس انجليس . وقد منحت الجائزة لهذا العالم مكافأة له على الطريقة التي وضعها في تحديد عمر الاشياء الجامدة عن طريق استعمال الكربون 19 . وتبلغ قيمتها 2187000 درهم .

✽ نعت الارغواي شاعرها انريكي اموريس صاحب « النصر لا يأتي ابدا وحده » .

فهرس العدد الثاني - السنة الرابعة

الصفحة

1	كلمة العدد : العبرة من عيد العرش	دعوة الحق
4	خطاب العرش	

دراسات اسلامية

12	ذواء التاكين وقامع المشككين - 9 -	لتقي الدين الهلالي
14	وذكرهم بايام الله	للرحالي الفاروقي
16	شهادة المرافة بين الاسلام وعلم النفس	لعبد السلام الهراس
19	ووجدك ضالا فهدى	للتهامي الوزاني
24	الاسلام وقوة الدولة	لمحمد الطنجي
26	محمد عليه السلام	تعريب : ادريس الكتاني

ابحاث ومقالات

37	كلمة وزير التربية الوطنية في مهرجان القرويين	
39	مصانع الرجال	للدكتور سليمان الحزين
45	علم العرب	للاستاذ سعيد العريان
50	محمود الفزنوي	لعبد الله السرايري
56	من النقد الى البلاغة	لعباس الجراري
62	الربيع في الشعر العربي	لمحمد زنيير
65	اصول الثقافة المغربية - 2 -	للحسن السايح

شؤون افريقية

70	العالم العربي والاضاع الجديدة في افريقيا	للمهدي البرجالي
77	رسالتنا في افريقيا	لابي فريد
79	ماذا بعد استقلال موريطانيا	لابي فريد

اقرا هذا الكتاب

81	المسؤول	لمحمد المختار السوسي
----	-------------------	----------------------

الجزائر في طريق الاستقلال

85 ذكرياتنا القومية لـاحمد مراد

ديوان دعوة الحق

88 تحية محمد الخامس لمحمد بن علي العلوي

92 تحية لمحمد الحلوي

94 من سفح اجساد لخير الدين الزركلي

95 من وحي جامعة ابن يوسف لمبارك احمد

97 يا ابتني لابراهيم الهواري

98 عين اسردون لنيازي احمد نديم

99 جات سحتي لمحمد الصباغ

قصة العدد

100 شعاع القمر لكوستاف بيكير - ترجمة محمد الامين محمد

قرات العدد الماضي

105 تعليق على مقالين لتقي الدين الهلالي

107 قرات ابحاث العدد الماضي للدكتور فؤاد البهي السيد

109 القصة للاستاذ ب. ك

110 الانباء الثقافية